

مقدمة لدرس لغة العرب

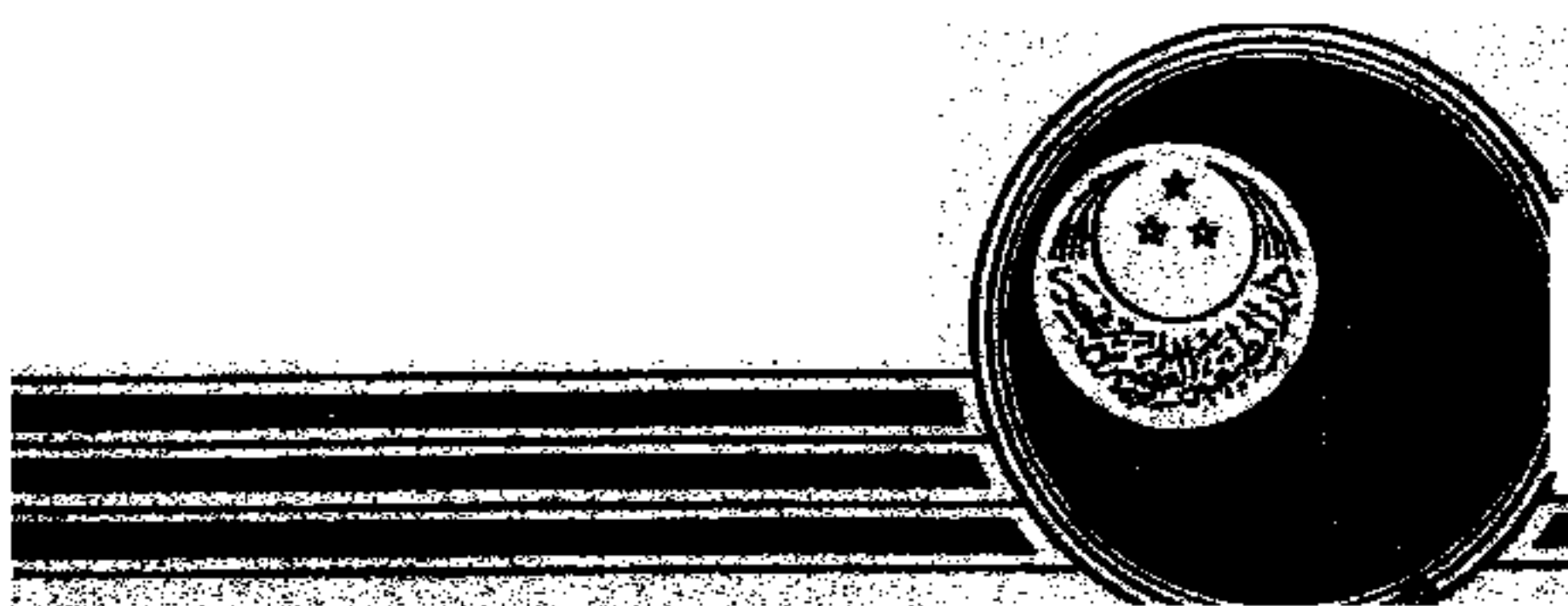
كيف نضع المعجم اجتدي

تأليف

عبد الله العلامى

المطبعة العصرية

بالفجالة، بشارع الخليج الناصرى رقم ٦، بمصر



اهداءات ٢٠٠٣

عبد الرزاق باشا السنهوري

القاهرة

الرهاء



حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الاول

« إِنَّمَا بِسْمَةِ الْحَيَاةِ أَمَانِيٌّ . فَأَعْظِمُ بِبِسْمَةِ الْأَمَالِ »
« يَا مَلِيكَ . بَدَتْ طَلَائِعُكَ الْغُرَا . فِي مَجْدِ أَعْظَمِ اسْتِقْلَالِ »
« عِلْمٌ فِي الْجَنُوبِ قَدْ ظَلَّلَ الْأَ . نَجِيَالَ نَبَهَا وَآخِرٌ فِي الشَّمَالِ »

« صَفَحَاتٌ مِنْ الْحَيَاةِ نَوَاقٍ كَمْ تَضِرُّهَا ذَانِيَّةُ الْأَفْعَالِ »
 « رَجَعَتْهَا قَيْشَارَةٌ الْخَلِيدِ لَحْنًا وَشَدَّتْهَا الْأَمْثَلُ فِي الْأَصَالِ »
 « مِنْ وَرَاءِ السُّجُوفِ يَنْتَسِمُ النَّاسُ رِيحُ عُجْبًا لِلطُّهْرِ فِي الْأَنْعَمَالِ »
 « ضَفَرُ الْغَارِ » فَوْقَ مَفْرِقِكَ الْوَضَاءُ أَكْرَمُ بِوَاحِدٍ الْأَبْطَالِ »



« يَوْمٌ مِصْرِيٌّ » وَأَيُّ يَوْمٍ لِمَصْرِ ضَمَّهَا الْحُبُّ غُورَهَا وَالْعَوَالِي »
 « مَوْكِبٌ رَائِعٌ تَنْظَمَتِ الْأَهْوَا فِيهِ أَكْبَرُ بِهِ مِنْ مِثَالِ »
 « نَضِجَتْ فِي الْجُمُوعِ نَفْسِيَّةُ الْمَوْ طِينَ فَالْتَأَمُوا فِي عُرَى الْأَوْصَالِ »
 « يَا مَلِيكَ « الْعَهْدِ السَّعِيدِ » عَلَى الدَّهْرِ دَوَامًا فِي ظِلِّ الْأَسْتِقْلَالِ »



« وَفُؤَادٌ » قَدْ شَادَ لِلْغَةِ الْفُصْحَى مِثَالًا يَبْقَى عَلَى الْأَجْيَالِ »
 « كَانَ حَامِي الْبَيَانِ فِي مِثْلِهِ اللَّيْثُ فَاخْلِدْ بِذِكْرِهِ وَالْمَعَالِي »
 « كَانَ رُوحًا يُشِيعُ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ مَعَانِي الْحَيَاةِ رَشَحَ الظَّلَالِ »
 « أَوْ كَأَنْدَى مِنَ الظَّلَالِ بِأَلَا وَهْنَاءَ مِنْ الْقَرَّاحِ الْخَالِي »



شكر

أريد أن أقول كلمة واجبة ، أشكر بها العالم اللغوي الياس أنطون الياس صاحب المطبعة المصرية ، الذي جعل من الكتاب حقيقة ذاتة تعيش مع جمهور كبير ، قد يرضاها وقد يتسخطها . بعد ان كانت تعيش دون ما به يكون الحي ، أي فكرة فقط وشخصية أيضاً .

وأية كلمة ، شهد الله ، لا أراها كفيلاً بما أشعر نحوه من شكر وتقدير ، وليس لأنني أفدت بنشره ، بل لأنه يخدم فكرة ويبشر بمبدأ ويوجه الدراسة العربية وجهة أخرى ، ربما كانت أصح وأكثر ضماناً لحاج العربية ، ووفاء بمحاجتنا منها كلغة .

وهذه الداعية التي تنتظم كل مشاكل اللغة ، والتي لا تفتأ جاهدة في تهيئة الوضع الثابت للعربية هي الدافع الحقيقي للأستاذ الفاضل الى نشر كتاب يعرف بسبيل جديد عليه يأتي محموداً ، أولاً ، فلا أقل من أن ينبه الى معالجات أخرى غير ما كنا نعرف . والإستاذ بعد ذلك ليس بغير عن المحيط اللغوي ، فله فيه أثر كبير أو أكبر الآثار . وبمحبته أنه ركز الترجمة القاموسية على شكلة الصواب . وفي الحق انها معاجم مبنية على مبالغة في التحري ، وزيادة في التنقيب ، ومرعاة صحة الدلالة ، وأخذها على الوجه الطباقى .

فاذا كان لي أن أشكره على أن نشر كتابي ، فاني لأجدر بأن أشكره على أن خدم جمهرة المثقفين ، بانجاده لغة العلم ومدته لغة التعليم .

مقدمة

بقلم الاستاذ الكبير اسماعيل مظهر

أما أن أتصدى لكتابة مقدمة لهذا الكتاب ، فذلك مهم لا بحسنى عليه أحد ممن يعرفون الحالة العقلية التي خلفتها عشرات القرون في العالم العربي . ولا يقتصر إشتاقى على نفسى ، فأنى لا كثر إشتاقاً على الأستاذ عبد الله العلايلي فإنه بنشر هذا الكتاب ستدور عليه رضى تلك القرون التى تعد بالـعشرات ، وسيظل غرضاً يرمى بثقالها وبلهوتها ، حتى يفتح هذا الشرق العربى عينه على الحقائق ويروى نفسه على مواجهة الواقع تاركاً من تقاليد القديعة ما ينافى روح هذا العصر ، مستمسكاً منها بما يلائم الحضارة الحديثة متخذاً منه دعامة لارتقاؤه وسنداً . فان الجرى على قواعد وضعها اللغويون القدماء — لهم من الله الرحمة ولهم منا عظيم الاجلال والاحترام — واتخاذ تلك القواعد أساساً للغة العرب ، قد ألبس الحالة التى انحدرت اليها لغة آبائنا حلة من القداسة ، حتى لقد يخيّل للكثيرين ممن لا يدركون أسرار اللغات ان المساس بتلك الحالة ، عن بعد أو عن قرب ، انما يكون تهجماً على حرمتها وانها كالقداستها .

أما القول بأن القواعد التى خلفها السلف الصالح من اللغويين قد لا يستلزم حالة من القداسة ، فأمر لا جدال فيه ، وهو من حيث أنه بديهي ولا ريب فيه ، لا يقل عنه بداهة قول التطوريين^(١) ان سلفنا الصالح لم

(١) القائلون بمذهب التطور ، وهو مذهب تخضع له اللغة خضوعاً تاماً .

يلجأ إلى تلك القواعد ولم يقررها إلا لحاجة غلبت على عصورهم ، فأرادوا بهارد عادية الرطانة والعجمة عن اللغة . ولقد استطاعوا بكدم وجدهم وصفاء قرائتهم أن يضعوا للغة العرب سوراً أشد من الصلب مرة بحيث تقصر عنه هجمات الشعوبيين وأهل العجمة ، حفظوا بذلك هيكل اللغة صافياً وموردها عذباً غير مدّس بأكدار الدخيل من لغات الشعوب التي اختلطت بالعرب بعد القرن الثالث الهجري .

لقد نظم السلف الصالح ظلماً كبيراً إذا نحن رميناهم بالجهود أو نسبنا اليهم ظلامية العقل والتفكير وحكنا على القواعد التي وضعوها وقسناها على حاجتنا في العصر الحاضر ، من غير أن نلّم بالحالات التي قامت في عصورهم ، ولو أننا رجعنا إلى الحالات التي شهدناها أهل العربية في أوائل القرن الرابع الهجري ودخول أقوام بعيدين عن العروبة في جسم العالم العربي يستعملون لغة القرآن فيفسدون من كيانها ويهدمون من بنيتها ، حتى لقد طغى على العربية في ذلك العصر مدّ من العجمة ، رأينا أن سلفنا الصالح لم يجد من سلاح يقاوم به ذلك الطغيان إلا تلك القواعد التي سور بها اللغة واتخذها حصناً لها حصيناً . نضرب بذلك مثلاً من القواعد التي وضعوها في القياس والسمع ، إذ قالوا بأن الكثرة حد القياس والقلة حد السماع . فما اعتبر قياسياً كان لك أن تصوغ على منواله ، وما اعتبر سماعياً فلك أن تستعمل ما ورد منه عن العرب من غير أن تقيس عليه . هذا المتل وحده يظهرنا على جلال الحكمة التي لجأ إليها قدمائنا . فانهم بها حفظوا هيكل اللغة كاملاً . فكانت تلك القواعد في لغة العرب بمثابة المنطق في الفلسفة ، كلاهما قانون ثابت : ذاك للسان ، وهذا للعقل .

وبالرغم مما في هذا المذهب من صلابة وبعد عن المرونة ، فقد قبله المتكلمون بلغة العرب في العصور الأولى . ذلك بأنهم قد شعروا شعوراً باطنياً بأنه السياج الذي يحول بين العربية والعجمة التي كادت تغزو لغة العرب وتذهب بريحها . وإذن يكون المذهب القديم في اللغة ضرورة اقتضتها حالات اجتماعية وسياسية واقتصادية قامت في تلك الأزمان . هذا فضلاً عن أن لغة العرب وهذه حدودها قد وسعت العلوم والمعارف التي ذاعت اذ ذاك ولم تقصر عن التعبير عن شيء منها ، فلم يشعر أهل اللغة بحاجة الى التوسع في أقيستها توسعاً يلائم حاجات قامت في عصرهم قياماً فعلياً . الى جانب هذا المذهب الصلب الشديد قام مذهب آخر يوسع من أقيسة اللغة جهد ما يصل تصورك .

مذهب يقول بأن كل ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب . فاذا سمعنا من العرب قولهم خِنُوسٌ للأسد ، وقسنا عليه أسماء لحيوانات تعيش في الأشجار وقلنا لواحدٍها شَجُورٌ فذلك من كلام العرب . واذا سمعنا من العرب لفظة كوسج وقلنا شوَجَر فذلك أيضاً من كلام العرب . غير أن انتشار العجمة في ذلك العهد وكثرة الموالى والدخلاء جعل الغلبة للمذهب الاول . ذلك بأن العربي كان يعتز بلغته اعترازه بقوميته ، فلجأ الى الآمن من السبل احتفاظاً بترائه اللغوي أن يستهدف لأذواق لم تصقلها السليقة العربية .

كلا المذهبين على جلالهما وعظيم ما قدما للغة القرآن من خدمات لم يدرك أهلها ما ندرك اليوم من تصور اللغة . فاللغة في تصورنا الحديث جسم حي ، يولد ثم ينمو ثم يتوالد ، واللغة حي يموت كما تموت جميع الاحياء ،

إذا امتنع عليه الماء وتعذر التوالد . ولغة كل خصائص الأحياء مع قياس الفارق . فإذا لم يكن في اللغة القدرة على التغذى بعناصر جديدة ، وتمثيل تلك العناصر تمثيلاً يحولها جزءاً من أصل بنيتها ، فإن اللغة تموت كما يموت الحي إذا فقد القدرة على هذه الأشياء .

أصنف إلى ذلك أن اللغة تنمو بنماء الحضارة وتقوى بقوتها . فإذا انحدرت الحضارة في مهاوي الفساد انحدرت معها اللغة إلى الجمود والاستحجار . وهناك تجري عجلة الزمان بغيرها من اللغات التي يتكلمها المتحضرون ويستعملونها في أغراضهم الثقافية ، فإذا مرَّ الزمان وكرَّرت القرون على لغة جمدت ، تعذر عليها أن تلاحق غيرها من اللغات في مضمار الرقي والحياة العملية ، مالم تنشط نشاطاً كبيراً في استخدام مواردها وأصولها ونواحي المرونة فيها لتستكمل عدتها وتستوفي شروط البقاء بقدرتها على التعبير عن مختلف الأغراض التي رُصدت اللغات لتحقيقها . هذا الذي نعلم الآن من أمر اللغة يحملنا على أن ننبت المذهب الأول ، مذهب الصلابة والتقيّد ، ويرميننا في أحضان المذهب الثاني ، مذهب التوسع والسماحة ، وعلى قدر ما شعر أو ائلنا من حاجة إلى المذهب الأول ليدروا به عن اللغة مدّ العجمة ، نشعر بحاجة إلى المذهب الثاني لننفض عن اللغة العربية الحنيفة ثوب البلي الذي لا يسها مع كر السنين وتلاحق الأعوام ، ولتقابل به حاجات هذا العصر ومطلوباته العلمية والفنية والادبية .



ان الاستاذ العلايلي بكتابه هذا أول من يرسل الصيحة الاولى لقيام

مذهب التوسع في اللغة . واذا أردت أن تعرف ماهية هذا الكتاب فاعرف أنه تحقيق عملي قويم لمذهب الامام ابن جني القائل بأن كل ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب .

وإني لأرجو أن يكون صدور هذا الكتاب قائمة عصر جديد . عصر يقتنع فيه القائلون بقصور اللغة العربية عن تأدية الأغراض العلمية والفنية ، بأنها أوسع اللغات قاطبة وأقدرها على التعبير بذات مواردها ، وإن فيها من عناصر الحياة ما سوف يجعلها لغة العلم والفن في الشرق القريب كله ، وإن كلام شاعرنا حافظ بلسان الشرق :

لم يبق شيء من الدنيا بأيدينا إلا بقية دمع في مآقينا
كنا قلادة هذا الدهر فانقرطت وفي عين الملا كنا رياحينا
كانت منازلنا بالعز شامخة لا تطلع الشمس إلا من مغايننا
والشهب لو أنها كانت مسخرة لرجم من كان يبدو من أعادينا
فلم نزل وصروف الدهر ترمقنا شزراً ونخدعنا الدنيا وتلهينا
حتى غدونا ولا مال ولا نسب ولا صديق ولا خل يواسينا
إنما هو كلام أترى نستدل به على حال غبر ، وعهد غبر ، وإن لنا من قوميتنا ولغتنا وجامعتنا العربية لقوة سوف تضعنا على هام الأمم عما قريب ما

استأجلت نظره

سكرتير المجمع الملكي المصري للثقافة العلمية

فهرس

صفحة	صفحة
	الاهداء ٠٠٠
	شكر ٠٠٠
	مقدمة للاستاذ الكبير اسماعيل مظهر . . . ٠٠٠
	دياجة ٢
	تصدير ٣
	القسم الأول :
١٢٢ عرض ومقابلة	اللغة غاية لا وسيلة ١٥
١٢٥ الدور الأول ؛ الانسان الفطري	العربية واللغات ٢٥
١٢٦ لغة الانسان الفطري	الخط ٣٩
١٣١ الدور الثاني	الاملاء ٣٩
١٣٧ الدور الثالث	البيان ٤٢
١٣٩ الحلقة الأولى	المعاني والبديع والنحو والصرف . . ٤٥
١٤٠ الحلقة الثانية	المروض أيضاً ٤٦
١٤٢ الحلقة الثالثة	داء العربية ودواؤها ٥٣
١٤٦ الحلقة الرابعة	المجمع ضرورة ! ٩٦
١٥٢ الحلقة الخامسة	المجمع والمصطلحات العلمية . . ١٠٣
١٥٦ التطور في اللمجة !	اقتراح ومناسبة ١٠٦
١٦٠ العهد الصوتي ؛ الدور الاول	المعجم كيف نضمه ؟ ١٠٧
١٦٤ الدور الثاني	دراسة التخصص في اللغة والأدب ١١٥
١٦٥ الدور الثالث	
١٧٤ العهد اللفظي ؛ الدور الاول	
١٧٥ الدور الثاني	
١٧٨ تأريخ النظرية	
١٧٩ تطور اللغة	

صفحة	صفحة
٢٢٤	١٩١
الرد إلى الأصل	نعليق وامتناع
٢٢٤	
الضد	
٢٢٦	القسم الثالث :
الترادف	
٢٢٧	السمع أو ليس في كلام العرب . ١٩٧
تداخل اللغات	
٢٢٩	الثلاثي ١٩٩
الرابعي	
٢٣٢	تاريخ فكرة الاشتقاق الكبير . ٢٠٥
الرابعي المثلي أو الجملي	
٢٣٤	القلب أو قاعدة الدوائر . ٢٠٩
الرابعي غير الأصم	
٢٣٦	مناقشات ٢١١
النحت	
٢٣٩	القلب الفعلي ٢١٤
الابدال الاشتقائي أو المعاقبة	
٢٤٢	الاعلال ٢١٥
التعدي وال لزوم	
٢٤٢	الاتباع ٢١٧
الافعال « ت »	
٢٤٣	المزاوجة ٢٢١
التعريب « ت »	
٢٤٣	التخفيف بالاسكان ٢٢٢
الاعراب « ت »	
٢٤٣	فعلية المصدر ٢٢٢
التذكير والتأنيث « ت »	
٢٤٨	نمذجات من المعجم الجديد



مَقَالَة

للدرس لغته العرب

و كيف نضع المعجم الجديد

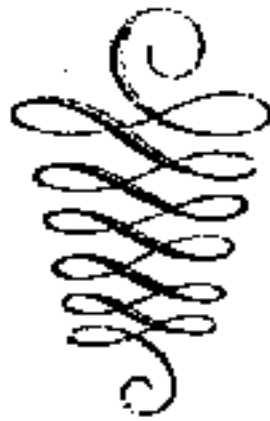
تأليف
عبد الله العلايلي

عُنت بنشره إدارة
المطبوعات العصرية
بالفجالة ، بشارع الخليج الناصري رقم ٦ ، بمصر

ذبياجة

هي ، أي المقدمة ، تبتدىء الدرس على فروع العربية مرة ثانية فتناول النحو والصرف والاشتقاق والبلاغة وتصل من وراء دراسة موزونة الى إقرار كل شيء في موضعه وعلى اعتباره وهي من وجه آخر حكاية تطور العربية في كل أشيائها . ولا يهولك أنها جاءت كما يكون المخلوق الجديد بكل مميزاته قرب غير معروف صار لا يعرف سواء وشعار كل الدرس الذي انشرنا به على العربية كلمة وردت في التصدير :

(ليس محافظة التقليد مع الخطأ ، وليس خروجاً التصحيح الذي يحقق المعرفة)
وأنت أيضاً في خلال ذلك بكلام على المجمع ودور التخصص وتناولت الخط العربي والاملاء وسائر شكليات اللغة بحلول هي أقرب من كل ما اقترح حتى اليوم .



تصدير

تبتدى. محاولتى فى هذا الذى اقدمه من مجهود بعمل لغوى بحث . كان القصد منه اولاً ان يكون عملاً قاموسياً فقط . يقوم برم النشر الذى تركه سبعة فى وجه اللغة مد التطور العريض . وليس كذلك فحسب . بل زاد حتى ترك من العربية شيئاً منحللاً متهاقلاً لا تستقيم معه على تعبير . ولا تنفى بتحديد تام على وجه علمى دقيق . وضرورى ان تكون على هذا التخلف لاتنا نقصد مجتهدين ان نلز بلغة جلية تعبر عن اهواء وميول وافكار تبعد جداً اشد البعد عنا . نحن اليوم فى كل اولئك جميعاً .

وهذا منطقتى ومعقول لان اللغات التى هى بدون ادنى ريب وليدة البيئات المحدودة بالمستوى العقلى والذوقى معاً . لا تنهض الا بالتعبير عن وسطها الذى انبرعت عنه فى حدود آفاقه على نسبتها من الاتساع والضييق .

والحق لولا مرونة العربية الطبيعية . ولولا ما افاض القرآن عليها من معنوية قوية لوقت فجأة ولتخلفت دفعة واحدة بدون هذا التريث البطيء . على ان هناك سبباً آخر هو كل السبب فى واقع النظر وفى الواقع الصحيح ايضاً واعنى به المدرسة اللغوية التى قامت كذا محافظة على نحو تقليدى محض ظهرت فائدته فى اول العهد الذى كان الغرض منه الجمع والرواية لياتى على اثره الدرس والاجتهاد عليه . لا ان يظل كذلك رواية وتقليداً فى شكل الحركة ولون الصيغة على موردهما من المادة .

ولقد شعر بضعف هذا الاساس الذى يقوم عليه درس العربية . متأخرو اعلام هذه المدرسة فاتجهوا اتجاهاً آخر فيه نوع من تحلل . ولكن لا يبلغ الغرض المطلوب . واذا كان لنا ان نصفه فقد نصفه بانه شكلى صرف خذ مثلاً ابا على الفارسي فى كتاب القياس . وابن جنى فى الخصائص وسر الصناعة والخطاريات . وسائر كتبه التى انكشف فيها عن اراء لها قيمتها ولها سموم ملحظها العبقرى . تلبس الاثر المدرسى متجسماً على نحو لا يسمح لهم بالاستفادة من الاتجاه العصرى الجديد الذى اخذوا فيه وخطأ هذا الاساس التعليمى من وجوه .

(١) انه طريقة استدلالية ضعيفة جداً ان لم نقل عليها بانها تهافت محض وخلف وذلك لانها نوع من الاستقراء يعتمد الشاهد والشاهدين ليصبح عليهما ويقرر منهما مذاهب متشعبة . وعنه نشأ تزايد الاقوال فى المسألة الواحدة ودعوى الشذوذ كثيراً عندما يعثر على الشاهد لا يتمشى مع مقتضى النظر . واذا اصح لهم الاستقراء احياناً فانهم يفقدون المقارنة دائماً .

(٢) انه حمل على الترويج للزيف فانا لانكاد نطمئن الى كثرة من الشواهد التي تنصب في محال الخلاف . ونحن على حق في عدم الاطمئنان . فان نظرة عابرة تأتي بها على مثل خزانة الادب للبغدادى وشواهد العيني . تجعلك تنطوى على حذر غير قليل . وتفوت الحصر الطرائف التي تذكرها كتب النوارد عن اختلاق اللغوى بسبيل تأييد وجهة نظره .

(٣) انه افسح المجال للعرب والتعريب بصورة مطلقة .

(٤) انه دعى الى الوضع الخاطئ الذي تولاه الفنى والعالم . فكل الاوضاع التي عرفناها في العلوم والصناعات والحكومة لا يمكن ان تنسب الى الشعبة اللغوية . بحال . فهي جهد من جهد العالم والفنى والحكومى . وزاد بهم التحرج الى حد انهم لم يذكروها في معاجهم . وانما تولوها بالحصر ارباب العلوم انفسهم . خذ الكليات والتعريفات ودستور العلماء واصطلاحات المتصوفة . ومن قبلها الديوان للاسعد بن عماتى وصبح الاعشى وهكذا مما تسقط على الشاهد . بان اللغويين لم يكن هذا من عملهم ولا كانوا راضين عنه ايضاً .

وكما قلت في سאלفة المقال لم يكن من قصدى في اول الامر ان اتجاوز العمل القاموسى الى هذا الاخذ العريض . الذى يتناول العربية فيما استقرت عليه من القواعد ومناقشة هذه القواعد ان كانت صحيحة ام لا . ثم مجاوزة المناقشة الى شىء غير قليل من التصحيح فيما احسبه كذلك .

وانما كان منى هذا التزید وتلك المجاوزة لانه لن يتأتى لى ما اقصد على وجهه من الدقة بدون ان آخذ فيما اخذت به . وهى دراسة في غير ما تكون من قصدى او دون القصد جاءت في مناسبتها من الحاجة والتساؤل .

والشئ الوحيد الذى ترمى اليه مجموعة ما اتينا به من امرها ان ما ثقناه ولا نزال نتقنه اصبح في حاجة كبرى الى معاودة الدرس مرة اخرى . وتجديد تدوينة ثانية على وجه يكون اقرب مجازاً . واكبر حظاً من العقلية . واوفر نصيباً من الصدق . ولربما كان هذا العمل متيسراً لنا نحن اليوم . لانا قد اصبحتنا وبين ايدينا اشياء كثيرة مما تبلغ بنا الى ما نريد ونقضى بنا الى الغاية من اقرب طريق . وبالاخص حينما تقدم بين يدي بحثنا الجديد نتيجة ما انتهوا اليه وهى نتيجة مهما قلنا فيها ومهما احصينا من اوهاما فلا يسعنا الا ان نعتز بان فيها كثيراً من الواقع ونقف من مجموعها موقف التقدير .

ويسرنى في هذا الدرس الذى نبدؤه ان لانكون شخصيين في نتائجه ولو على مقدار فيجعل فيها سيويه والكسائى مرة اخرى . بل علينا ان نعطي نتيجة جماعية او اجتماعية تفنى فيها الفردية تماماً وتذوب . هذه الفردية التي كانت وتكون على الدوام مبعثاً للاتصار العصبي . على ان مما تخشى بوارده الاختلاف القطرى الذى نرى اثره في البيان مستفحلاين

ما يريد جماعة ان ينعته بنعت اقليمي . فيكون منه ادب مصري وسوري وعراقي وهكذا وهو اختلاف لا يرهب امره اذا ظل في محيط البيان غير متجاوز له . بل على العكس ربما كان مفيداً جداً اذ يحمل على المنافسة التي توفر الانتاج وتقرى على التجديد من حواشيه ولكنه ويل الاثر اذا انتقل الى المحيط اللغوي البحث على مقدار ما هو في نظري صالح في حدود البيان . واطنه غير منتقل اذا اخذنا باعداد متن اللغة اعداداً صحيحاً وافياً بحيث لا يستضيق عما يطلب له ويستخدم فيه . بل من شروط ما به نأمن شعوب هذا الاختلاف . ان يكون متن اللغة مادة حقيقية للفكرة لا اداة فقط تستخدم للكشف عنها وقد يرى غريباً ان تكون اللغة كذلك مادة تعين على التفكير . وهو حقيقة غريب في بادى النظر . ولكن من يعاطى شأن البيان سواء في التراث والنظم يستطيع ان يرى هذا شيئاً واقعاً وحقيقياً للغاية

فكثير ما يكون خيال الفكرة هزلاً ليس على شيء من الابداع العبقري . وليس على شيء من الافتنان النافذ . ولكن لا تكاد تتناوله الالفاظ حتى تبعته بعثاً آخر . وتخلقه خلقاً اوفى . فيه قوة ونفوذ ودقة وخولة . بل كثير ما تغير في مذهب التفكير عما يجعلنا ندين الفكر الحكيم والصور العبقري في جوانبها الخاصة للالفاظ واللغة . وعليه فغالب من براعة الخيال يرجع الى اللغة التي افرغت عليه ما افرغت وزودته بكل ما نسميه بسمو الفكرة حيث تطالع الانسان في دهشة باللغة ومطرقة ايضاً واقرب شاهد اسوقه لهذا قول ابي العتاهية في ارجوزته المشهورة :

يا للشباب المرح التصابي روائح الجنة في الشباب

قف عند تعبيره الخلاب (روائح الجنة) الذي تسقط منه على سري من المعنى لانظن ابداً بان صورته كانت كذلك على تمامها وبكاملها في خيال ابي العتاهية وانما هو من فيوضات الالفاظ وحدها وهو سر اللغة وسحر البيان . واليك ما يقوله ابن بابك ايضاً

« الاليت شعري هل ايتن ليلة لقي بين اقراط المها والمحابس »

فان من يتنوق مقدار ما افاض تعبيره (لقي) على جمال الصورة التي يريد ان يظهرنا عليها حيث رسم لنا في خط شديد الوضوح ما كانت عليه المقامة من غمرة في مستوى الشعور الطافح على سداجة غير متكلفة . وسننوق كثيراً من هذا في فصل (اللغة غاية لا وسيلة) .

واظنني قد انتهيت الى ما من قصدي ان انتهى اليه . وان اقرره في صراحة ولقد تقدمت ببعض منه . وهو ان الضرورة اصبحت تدعو الى تغيير منهاج دراستنا اللغوية وطريقة قياسها في الوضع والاشتقاق وما يتبعه من اشكال الاستعمال . ولذا اثرناها مناقشة ضافية

الذيول ليس من غرضنا فيها الا ان تكون بعثرة لفكرة المحافظة على التراث الاجتهادى الذى لايزيد عن انه اراء مرسلة افضى بها العالم اللغوى واقتنع بها كما اقتنع من قبله الطبيعى واللاهوتى ولكن ما يقتنع به شخص احياناً يجد كثيرين لا يقتنعون به ولا يكاد يطعمون اليه او لا يواتيهم هذا الاطمئنان . على شدة تعرفهم الى تلك الآراء ومبالغة تعلمهم فى ان يقتنعوا بها فنازعوها وخطأوها وازروا عليها كثيراً . وتهاقوا منها اشد ما يتعاطى التهاق ورأوا فى انفسهم ما يعتدون به على امثال ابن جنى وهذه الطبقة . وهذا ما يحكيه (١) شيخ الادباء فى القرن الخامس رشيد الدين الوطواط عن فخر خوارزم الزمخشري فى مراجعة كانت بينهما والعجب ان ما نأخذ انفسنا به من تقييم اقلب خشية . واحترام اقلب عبادة . لم يكن حتى متأخرة اللغويين يأخذون انفسهم على نسق من مثل ما تفرض على انفسنا فرضاً غنياً ونوجهه ايجاباً قاسياً . لانسبيح معه ولو مثالة من التنكب والاخذ فى وجهة اخرى . بينما نجد من متأخرة اللغويين الذين اصبحت اللغة وعلومها عندهم دعائم ثابتة لا مساغ للتردد فيها من مثل الدعامينى والشمى والرضى والجار بردى . كيف يجوزون بسباح وفى غير دهشة لانفسهم الاجتهاد والتنقيح . وهذا العلامة محى الدين الكافيجى النحوى شيخ السيوطى يفرد برأى اجتهادى حكاه (يس) فى حاشيته على التصريح وحاصله ان تنوين (اذن) فى مثل (من فعل كذا اذن يحمد) تنوين عوض والكلام فى قوة قولك (من فعل كذا اذا فعله يحمد) ويرد رأى الجماعة النحوية السابقة . وهو هو الذى نراه اشد ما يكون محافظة فى رسالته (وجوه اعراب جاء زيد) التى يذكرها السيوطى تليذه فى بغية الوعاة ويزعم انها تقع فى رقم السبعين وجهاً . واليك الراعى الاندلسى صاحب شرح الاجرومية والالفية . فهو يظهرنا فيهما على اجتهادات لم يابه لكونها جاءت مخالفة لرأى النحويين . مما يجعلنا ندرك كيف كانوا يفهمون ان التنقيح شئ . يوجب الاحترام ويفرضه التمسك والمحافظة . وليس محافظة التقليد مع الخطأ والوهم وليس خروجاً عن التنقيح الذى يدل على وجهه وبحقق المعرفة .

ومهما يكن من شئ فقد قررت ما اراه معقول العرب فى اللغة من وجه . ومقابل عثار العربية بحيث يعدها للمستقبل الممدود من وجه آخر . وهى اراء لا اقول بان كلها حق وصدق وان كنت لا اشك فى انها تقارب الواقع كثيراً . واعتقد بان عملية الوضع التى تأخذ غير الطريق الذى تقرر معالمة ونعين حدوده . ليست فى الواقع الا مداورة للغة لا تخدمها ولا تحفظ وجودها فى شئ .

ولقد آن لنا ان نأخذ بمذهب الجد والا وضعنا العربية فى موضع قلق . لا يتسع لها ولا تقوم فيه . ونحن اذا كنا نجد من مثقفة الجيل . تريثاً وانتظاراً للتأجيل التى ضمنتها لهم

المجامع. فان ناشئة الجيل سيلقون بكل ذلك حيث لا يركنون اليه ولا يابهن له. وسيقدمون على مقدم خطر جداً يعرض الحرية للتلاشي السريع او للانقلاب المطلق. الذى يجعل منها لغتين لغة القرآن. ولغة تبتدىء في حدود القرن العشرين. تتفاوت كلتاهما تفاوتاً يكون لا اقل في اساليبه ومفرداته من اللاتينية والفرنسية. ويكونون من بعد لم يفعلوا هذا الا عن حسن نية وطهارة ضمير واخلاص للغة مع ذلك وخدمة للفكرة العامة. وتبعة كل هذا انما تقع على كاهل اللغويين وحدهم. الذين وقفوا موقفاً سليماً لا يحيد عما تواضعه سالفو اللغويين. من معقول لم يكن في اوله الا وهماً خاطئاً. ونتيجة درس غير مستقيم ولا محقق. كما كثير ما نرزع تحته اليوم من تقاليد وعادات. لم تكن في الواقع الماضى باكثر من مغالط صيرها التاريخ عقائد. ولا تحقر عمل التاريخ في تأسيس التقاليد وتأكيدها وتوجيه النفوس وخلقها خلقاً مطلقاً وما اصدق ما قيل (التاريخ مصدر كل وجدان) وكذلك تجد. اذا اخذت في تقدير أثره وتنزيله من الوجهة النفسية. والتحرر من الانفعال بالتاريخ (كما يقولون) ميزة العبرى وظاهرة النابغ... وبالجملة فان المجموعة اللغوية التى تلقنها جاهدين وتدرسها مطمئنين ونسير على ازاء منها شديد. ليست الا كتلتها بمجموعة تقاليد فقط وخواطر أو خاطرات. يقدرها اللغوى في غير بعد عن حدود تفكيره وفي غير تناء عن شكل ثقافته. ويؤمن بها ويبشر لها كحقيقة لا ينبغي الريب فيها او الشك. ولقد يكون اكثر امانة لو بشر بها على انها افكار مجردة تعنيه بالذات اكثر مما تعنى اللغة. ويكون من بعد قد ادى الواجب العلى في غير مكابرة لغوب. واما ان يعالين بهذا الشكل الذى يصورها وكانها ملحظ العربى. ومذهبه الوضعى وينحلها شواهد ما اراد كثرة فهذا ما نأخذهم به في غير لين.

والمضحك في استشهادهم احياناً تنازع الشاهد الواحد لمذهبين ونصبه دليلاً على جمع الرايين من نحو قول الشاعر : كأن ظية تعطو الى وراق السلم .

ويقين انى لا اجد منصفاً يتقن وسائل الدرس. يرتاب في ان تقديرات اللغويين التى ندعوها اليوم علم اللغة. لا تتجاوز كونها من هذا النوع الذى نسميه (الفكرة الشخصية) فهى تعبر عن ملحظ مقدرها أكثر مما تعبر عن ملحظ العرب انفسهم. وعليه فن العبث البارد جداً ان نقف عند حدود ما سمعوه قياساً وسماعاً الذى ستجد في فصل (السماع) من المقدمة ان انبساطه لم يكن الا على كثرة الورود وقلته. وان نعجب من بعد فلقولهم على لسان ابى عمرو بن العلاء في عبارة (ما انتهى اليكم عما قالت العرب الا اقله ولو جاءكم وافراً لا تنهى اليكم علم وشعر كثير) وفي عبارة (انما نحن بالاضافة الى من قبلنا كبقل في اصل رقل) فإى معنى اذن لقلة الورود الا الضياع وعدم التحمل... ومن هنا نجد للجماعة تفاوتاً منطقياً يقضى بالتناقض التام. على اتنا بين هذا وذاك. نستطيع ان تهتمهم بالتهجم على العربية تهجماً لا يميزه هذا الورع الذى يأخذون الناس به واعنى به جمع لغات

الجزيرة وبعبارة أدق لهجات الجزيرة. والمداخلة بينها مداخلة مطلقة في غير تمييز ولا تنبيه والاستنتاج منها هكذا مجتمعة قواعد اللغة. وبينها ما نعلم من اختلاف شهدوا به بصورة مؤكدة. وإن كنت ستجد أنا لا تقرر هذا الاختلاف على معنهم به وإنما تقول بأنه تطور فقط يأخذ سنة ارتقائية. ولكنه منا اخذ بمنطق الجماعة على سبيل التزل لبيان مقدار التناق على مواطن الرأي. وربما تأتي لنا تعليل هذا الموقف المتفاوت بأسباب أهمها:

عدم تفاهم المصريين البصرة والكوفة. واتخاذ هذا الاختلاف صبغة تعصية صرفة فتشددوا بمنطق السماع وعدم الحفظ أخذاً على منذهب الخصوم. وليس معنى هذا أن السماع كان من أوله كذلك. ولكن أريد أن أقول بأن هذا الاتزاع الشديد فيه هو من جرى التعصب القائم والتعامل البالغ.

وهذا مأخذ شعروا به ولكن سمروه تنقيحاً واليك ما يحكونه في هذا الصدد قالوا (١)
[ينظم التنقيح للغة العربية بأربعة أدوار :-

(١) كان يعمل يعرب بن قحطان (٢) كان يعمل اسماعيل لما اصهر الى جرم
(٣) كان يعمل قريش بالتدريج انتخاباً من لغات قبائل العرب التي كانت تفد عليهم في كل عام (٤) كان يعمل علماء المصريين اذ قصروا اختيارهم على لغة قريش وست قبائل من صميم العرب لم تحتك بغيرها الخ]

في هذا تنظم ادوار التنقيح عندهم وما احرانا ان نأخذ بسبيل لا يخرج على العربية في اساسها ابداً ويكون من بعد اقل ابتداعاً من اخذهم السابق ونسميه تنقيحاً خامساً وسترى أنه ينحصر عند رأى :

(١) في حذف السماع من اللغة الاعلى المعنى الذى اقررنه في بحث (السماع) من المقدمة .

(٢) في اباحة صوغ موازين الثلاثى برمتها من اى ثلاثى وكذلك موازين الرباعى (٣) في تخصيص الموازين مفردة او بمجموعة بدلات قارة ثابتة لا تختلف على اختلاف المواد (ففعال) يخص بما يدل على الزائدة (auto) في الاجنية و (فعالية) يخص بما يلاقى في الاجنية (ism) وبذلك تسهل مهمة الوضع ويكون ايضاً اكثر عليه .

(٤) في توحيد معانى المشتقات جميعها للمادة . على شكل ان تتوسل بورد المرجاس من رجس بمعنى مقياس الماء الى ان نشق من رجس بمعنى مقياس الماء . وليس في هذا خروج على مذهب الوضع العربى . فلن العرب قالوا (رجس الماء بالمرجاس) قاسه وقدره وعليه قد ا كتبت مادة الاصل من معنى الفرع بالتخصيص . واليك مثلاً آخر من

(١) راجع خطبة حنفي ناسف ص ٧٦ من مجموعة خطب نادى دار العلوم

العربية قالوا دقق الماء بمعنى صب أو انصب ثم قالوا ناقة دقق أى سريعة ثم اشتقوا من دقق بمعنى أسرع فقالوا مشى الدققى الذى هو ليس من . معنى الاصل وإنما معناه بالتأصيل عن الفرع بلا ريب . وإيضاً قالوا تهز هزاليه قلبى ارتاح للسرور . واهتز عرش الرحمن لموت سعد أى ارتاح بروحه . الذى يرينا تعاوناً بين فروع المادة على اشد قارعة من الصيغة ويظهر انه قانون عام فى اللغات فى الانجليزية ترى أيضاً نوعاً من هذا التعاون والتأثر الشديد قالوا (plain) أى بسيط الذى قالوا منه (plainness) أى ببساطة بتأثير هذه اللاحقة التى هى بمنزلة الصيغة فى العربية وانظر كيف تأثرت المادة بمعنى الفرع بقطع النظر حينما قالوا (plainly) أى ببساطة الذى يظهر فيه ان نفس المادة الجامدة (plain) اكتسبت معنى الفرع الذى هو (plainness) . وفى الفرنسية قالوا (automobile) بمعنى السيارة ثم قالوا (autocanon) بمعنى المدفع على سيارة وانظر كيف تأثرت (auto) بمعنى الفرع (automobile) واكتسبت معناه بعض الشيء . والافهى فى الاصل لاتدل الا على الواحد والنفس . ولو اردنا ان نفهم (autocanon) على نحو لغوى لكان معناه الحاصل . المدفع المنطلق وحده او بنفسه .

هذا أم ما فى الدعوة الجديدة أو التنقيح الجديد من أهداف ، ويحى . فى الدرجة الثانية من الاعتبار .

(١) الاستفادة من قاعدة الدوائر أو القاعدة الدائرية التى سترها مبسوطه فى المقدمة بوضع مواد جديدة لم يسبق للعرب انهم وضعوها أو وضعوها وأميتت .

(٢) الاستفادة من سنة الرباعى وما اليه بزيادة الحرف على الآخر بعد تحرير معانى الحروف الهجائية

(٣) المعاقبة أو الابدال .

وما بقى مما جاء فى المقدمة فلواحق فى الواقع لا يؤثر أبداً عدم اعتمادها كالمجاز والتضمين . والفك فى محل الادغام لدلالة . والتصحيح مع موجب الاعلال لغرض وهكذا مما بسطناه فى المقدمة

والغرض منه انبساط رقعة الوضع أمام الواضع الجديد بحيث لا يصادفه عناء . ملحف ولا مجاللة جهيدة ولا عنت مرهق .

ولشد ما يحفظنى اعتماد لغويتنا اليوم لوحى وجداننا استولده التاريخ عندهم على حدوده من المحافظة . وهم يشهدون من مطالب العصر على اللغة ما كان واجبا أن يجعلهم يغيرون من هذا الاعتماد . وينتجون له وجهاً آخر يكون أكثر ملائمة للعربية . وأكثر استهجا فيها وإنتاجاً عليها . وبرغم اتنا حيل طغيان على العربية تكاد لا تثبت له نجد من اللغويين من يجهد ناصباً بترقيع أمزاق الماضى . على أى وجه وان كان لا يستقيم . وأغرب ما بلغنى أن

استاذاً يوسم بالاعتقاد في النحو هنا في مصر . لم أعد أذكر اسمه ويظهر أنه كذلك باقعة نحوية أو نحوى عرض للكلام على (لو) في مصنف يقع في ثلاثة مجلدات أو أجزاء لا أدري أسماء (ترويق الجوى في تحقيق الكلام على لو) ثروة عظيمة من الكلام في كلمة . وكتاب في أجزاء تزيد على حروفها : هو يستطيع أن يخرج ثلاثة أجزاء في الكلام على (لو) ولا يستطيع ينهى حيرتنا في الآيات المثلثة الأعراب . أى التى تجوز بالوجوه الثلاثة الرفع والجرو والنصب . وهو فن ابتدأه بالتأليف احد نحائنا هناك في لبنان وقد أطلعنى عليه يوماً كنت فيه نجياً له . فذهلت حقاً من كثرة ما اسمعنى ويسمعنى . حتى انتهى إلى قول الشاعر (تحيرت والرحمن لا شك في أمرى) وراح يسرد على وجوه أعرابها فقلت بحسبك رحماك فقد تحيرت والرحمن على الوجوه الثلاثة . فكانت ضحكة عريضة طويلة . وكان معناها في نفسى على غير معناها في نفسه . وما درى هؤلاء أنهم وهم يخدمون اللغة على ما يظنون ينحرونها نحراً جهيزاً . والحق لو كانت مجلدات (لو) هذه وحياً لكفرنا به وما اطمئنا إلى مغالطاته . وهل يكثر الكلام هذه الكثرة في حرف بسيط الوضع والمعنى . الا وان يكون مغالطات لنحويين . كان لديهم من الفراغ ما يهين لهم أن يقولوا كذلك بدون حساب والوقع أنه الفراغ فقط . فهو الذى جعل (المقرئ الزيدى) يخرج كتاب (عنوان الشرف) الذى وضعه على أنه في الفقه ولكن يستخرج منه النحو والعروض والقافية والتاريخ بتحليل حرفى عجيب . يملك على التقدير الممزوج والا كبار الآسى . وهو شئ . وضعه الفراغ لنفسه فأتى على يقين ان من يريد هذه العلوم لن يأخذها منه أبداً . وانما يقف عنده للفراغ واشباع نهمة ومن ثم يلتقى فيه المورد على المصدر

وأقل ما فى هذا النهج الخاطى . ان لا يتأتى لزلقنا العربية بأزاء قريب من اللغات الحية . الا بتوسيع باب الاشتراك على صورة مرعبة مخوفة . ونحن وان كنا لا نتكر كون الاشتراك قانوناً لغوياً عاماً تخضع له اللغات كافة . ولكن على هذه الصورة فلا قطعاً .

هذه الصورة التى يكون التعريب أقوم منها سيلاً . حين يعتاص على أحدنا التعبير عن تمام أفكاره الا بضعفى موضوعه قرائن . لتكشف عن المعنى المراد فى مشترك الألفاظ . عدا عن ان العمل اللغوى يظل بظاء جداً . ومتخلفاً حقاً فلا يخرج للقرن العشرين الا مولدات القرن الثامن عشر . وهكذا على نسبة لو كانت لا يتسنى لها أن تخدم العربية فى شئ . وشاهد هذا أنك لو ذهبت تحصى ما استطاع كل لغوى عمله على نبالة جميعهم . فى مدة طويلة لو جدتها تقع فى رقم دون المائة ، وهو ما يدهش بحق . على أن أحدهم يتمدح بأنه انكشف عن ميحاد هذا الرقم . فهذا العلامة المأسوف عليه الشيخ عبد الله البستاني (١) يفخر فى مناظرته مع الشيخ عبد القادر المغربى . بأنه أول من أستعمل كلمة (عقيلة) لتقابل كلمة (مدام) إلى كلمات أخرى ، واذا أردت أن تقف على احصاء واف تقريباً عن ثروة ما

انتهى به الوضع الجديد فارجم (١) إلى مقال للاستاذ المعلوف . وفيه تشهد مقدار ما يعاني اللغوي . وما يصادف من توعير يعطى عمله إلى حد كبير . على أن اللغويين اليوم رغم ما يأخذون أنفسهم به من محافظة . بدأوا يشعرون أو اضطروا إلى الشعور بخطورة شأنها وانهم إذا راموا خدمة اللغة فلن تكون عند غاية هذه المحافظة على شكلها . ولكبير قمع على أثر للتساهل (٢) حتى عند المأسوف عليه الشيخ عبد الله البستاني الذي يمكننا اعتباره رمز المحافظة اللاحقة في غير تنكب .

وهناك في الساحل المعروف إلى مصر كثيراً (بيروت) يوجد لغويان بكل المعنى ومع انهما شياً وشاباً على كونها من سدنة اللغة فهما يفهمانها على غير ما يعهد باللغويين فهما أما أولها (٣) وهو الذي كان يخيل إلى فيه صورة كاملة عن (الحاتمي) في فلسفته على اللغة . فكنت أعجب لاجتهاداته التي لا تقيد ولا تتعبد . وإنما يتناول علوم اللغة على أنها لم تستوف غايتها بعد . وهي فيما يظهر وكأنها وافية بالغرض على كثير من الخطأ . وربما انكشف عن شيء منها في رسالته التي وضعها للرد على المأسوف عليه الشيخ ابراهيم البازجي ولقد استوقفني رأيه في فهم الغلط الذي يدعو إليه الارتجال حينما تناول ما أخذت به (زهون الغرناطية) وهو في غايته يريد أن يظهرنا على أن هذا الغلط كثيراً ما كان في العربية الأولى سرّاً من أسرار تزيدها في الجوع والمصادر . وإلى جانب هذا لا يشيح عن الاجتهادات الجديدة بل يأبه لها ويهتم بها . ويرى العربية ليست في كثير مما قيل . وربما كانت في كثير مما يقال .

وأما ثانيهما (٤) فله أراء يتحدث عنها في مناسبات كثيرة . بواسطة الصحف والكتب من أهمها ما سفتكلم عليه في (بحث اللهجة) وأيضاً انكشف عن شيء منها في كتبه النحوية وفي كتاب (نظرات في اللغة والأدب) حتى خيل إلى في هذا الأخير . أنهم أنصار الغلط الشائع ولكن بالتماسات قاعدية . فهو من هذه الناحية قد يكون لنا رأى آخر لا يستوى مع المقصود من الكتاب . ولكن على كل حال كأنهما يعطينانا بعملهما ان الأدب إذا وقعت منه مجاوزات شكلية . فلا ضير ان تنسج لها اللغة وتحتويها المعاجم . باعتبارها أصبحت

(١) منشور في مجلة العرفان ج ٦ مجلد ٢٧ سنة ١٣٥٦

(٢) راجع كتاب مناظرة لغوية أدبية .

(٣) هو الشيخ عبدالرحمن سلام لغوي قديم أدرك عهد اللغة الزاهر في بيروت وكان من عيونه وهو إلى هذا يتمتع بخواطر عبقرية بكل المعنى وله من الكتب دفع الاوهام في الرد على البازجي وشرح وتصحيح ديوان أبي تمام . والمثلثات استدرج على الهي في والاذواء اتسع فيه لاكثر مما استوعبه ابن الاثير في المرصم وله ترجمة واسعة في كتابنا (طبقات علماء وأدباء بيروت) .

(٤) هو الشيخ مصطفى الغلاييني لغوي أدرك العهد المذكور وهو معروف بتواليفه الكثيرة ومقالاته العديدة وله ترجمة واسعة في كتابنا المذكور .

واقفة الدلالة صحيحة الغرض . ولينبه إلى الفرق بين الغلط والاستعمال المتجاوز بعض الشيء عن الوضع .

والجملة في هذا القول المتشعب المديد . ان العربية ستظل في موقفها وعلى وضعها ما دمتا تفهمها على لونها من المسحة التقليدية . ولم نسمع لأنفسنا بما سمح العربي لنفسه . ولشدها يحز على نفسي . أن أسمع المتفرغين (١) إلى اللغة أو الفارغين اليها . يتمنون عليها الأمان . ويجهدون بأن يعملوا ويصدقون في العمل ولكن لا يكون لهم من بعد عملهم الشاق الا شيء كبير خة (٢) المهاج لا تنقل بالسيارة ولا تغير من موقفها . رغم أنه قد كان لها دوى وهدير . وذلك لأنهم لم بشخصوا الداء على وجهه كما يقولون وهو يستفحل يوماً بعد يوم ويتزايد خطره رغم الضمادات التي تتخذ له . والاسعافات الوقية العجلى التي تجري عليه . وهذا الداء أصبح يشعر به كل أحد . وأيضاً يشعر بأن الوسائل التي يحتاط بها . لم تعد صالحة أو لا تفي بالمطلوب العصري .

وعلى كثرة ما قرأت وسمعت من عبارات تصور مبلغ الداء . لم يمر بي ابلغ من نادرة ارسلها عفواً اخي الشقيق (٣) في محاضرة من محاضر السمار . كانت حقيقة حكيمة وان كان لها وجه النادرة العابثة . وفي عبثها وجه آخر من حكمتها . قال وقد اخذنا بالحديث عن اللغة . ومقدار ما عراه من تخلف عن مطالب العصر الذي كأنها تعيش على هامشه او في ضميره :

(كانت العربية تنسج لمطالب السماء فاصبحت تضيق عن قطرة الماء) هذه الكلمة التي اخذتها في اول الامر مأخذاً لا استغراب فيه . لاني ظننتها مزاجية وتسجيلاً ولا تعنى شيئاً وراء النادرة . ولكن بعد لاي وقت منها موقف الدهشة . اذ فهمت انه يعني بقطرة الماء ما تنحل اليه من عناصر كيميائية . لم ترم العربية من وجدانها على وجه يقى بالتعبير عنها .

وفي غير ا كثار ومعاودة . فاني ارى الحديث يلغ على قلبي التفافاً . فلا يبتدىء الا على وجه ما انتهى . وربما كان السبب فيه ان الموضوع اصبح متجهاً مركزياً لمجموع تفكيري فهو يظهر في اشد حالات اغفاله . والاعراض عنه والانصراف الى مواه . وفي غير ما اكون كخباز ابن الرومي اقول . هذه افكار نصتها مدة لم تكن يسيرة فتحسب من الخاطر الهائم . ولم تكن طويلة فتحسب في جميعها من الناموس الخي بل فيها ما هو حق لامرية

(١) راجع مقال المرحوم زكي مغامر عضو مجمع الشام في مجلد العام الفائت .

(٢) هاتان الكلمتان من وضعا الجديد ومعنى الثانية فراشة الاتوميل ومعنى الاولى حركة الفراشة المذكورة اذا كانت في غير فائدة وبتعبير العربية الشائعة (على الفاضي)

(٣) هو الشيخ مختار الملايلى المشرع الاصولي الفقيه وله ترجمة واسعة في كتابنا المذكور

فيه كله الصدق والواقع . وفيها ما هو تقدير شديد الوضوح . لا يعدم وجهاً من الحق قريب ولا يخفى ان الحقيقة لم تكن حقيقة في اولها بل كانت مجازة وتجربة . والواقع ان المجازة العلمية الحقائق وناموس النواميس . وهي وان جاءت في بعضها دون ما به تكون الحقيقة . فان لها من بعض مقدماتها ما يحمل على التعويل عليها حتى يتبين وجه خطأها . كما هو الشأن العلمي في اسلوب التعليل والشرح في كل نحو . في كل عصر .

ونحن ندعو بمجموعة ما اتينا اليه درساً ومناقشة وتصحيحاً (مقدمة) يد ليس لها مفهوم المقدمات . وانما كان منا هذه التسمية وكان منها ذلك القبول . من حيث سبب اليها المحجم . فبدأت ولم يكن لها موضع من القصد . وانتهت وقد انصرفنا اليها بكل القصد . فمالجنا بها الناحية الصرفية والاشتقاقية بكثير من التطويل . ووقفنا على مقدار اللحظات عند تعليل بعض ظواهر العربية . واستطردنا بين التصدير والخاتمة . بابحاث دعت اليها حاجة وجرت اليها مناسبة . فتناولنا المجامع ودور التعليم وبعضاً من تشكيلات العربية . وابدينا آراء في البلاغة والعروض . والاملاء والخط . من حيث كانت المقدمة تعبيراً عن آراء شخصية تعالج العربية في دورها الاخير . وكنا اضفنا فصولاً (١) تعلل النحو والادوات وتدرس ظواهر الاعراب والبناء . ولكن عدنا فاسقطناها لننشر في مناسبة اخرى كتاباً مستقلاً لا يتناول سواها لما اتسع بين ايدينا من مجال القول .

والمقدمة تقع في اقسام ثلاثة . تناولنا بالقسم الاول متفرقات لا يجمع بينها الا ملابسات الموضوع الواحد . واهم ما جاء فيها تحقيق ان دلالة الكلمة من اللغة على المعنى الحاصل في خيال المستعمل دلالة مقايسة وموازنة . وابحاث اخرى لها خطرها ولها نبل مخاطراتها . واتينا في القسم الثاني على تاريخ النشوء اللغوي وتطور اللهجة فبدأ عاجلاً من حيث الوقوف عند تحقيق كل فكرة على ما يقتضي الاسلوب العلمي الخالص . فقد تجد فيها آراء مرسلة ولكن يطمئن اليها من حيث الشرح والتفسير . واهم ما اتينا اليه من آراء فرض ان الجدول الهجائي باصواته (حركاته) هو لغة الانسان القديم . وتقدير ان نشوء العربية كذلك كان احادياً فثنائياً فثلاثياً الخ . وتحقيق ان العربية انتقلت من دور كانت فيه صوتية تماماً على ادوار متعاقبة . وان القرآن تناولها ولما تستقر بحيث كان سبباً قوياً في تهيتها للاستقرار على اكمل الوجوه . وظلت غير خالصة من علائق الفوضى في الموازين وصيغ الجموع وابواب الافعال . الخ

(١) وضعنا كتاباً بعنوان (دراسات على فنون العربية) النحو والعرف والاشتقاق والبيان والمعاني والبديع والعروض والقافية والاملاء والخط افردنا بكل فرع منها قطعة واسعة من الكتاب بمقتضى فيها تاريخاً وتقدراً وتهدياً على الوجه المطلوب . وانا اسقطت ما اسقطت مضطراً بين تخوف الناشر ودلال المشترك . والذي اضمه بين يديك من المقدمة هو اقل ما كنت احب ان اخرجها عليه .

وجاء القسم الثالث فتناولنا فيه القواعد على النحو الذى يجب ان تكون عليه . فكان فيه نقد لما تعارفنا من قواعد الاعلال حين فرضناه باعتبار آخر . وما اليه من اقرار الافعال على باب من الابواب . واستجد انا عانيتنا كثيراً فى التقدير والافتراض حتى اتينا الى اصحه فى اسلوب النقد والتعليل . ومسترى كيف نعيد مدار الحديث حول استنكار المحافظة فى كل فصل . فى كل بحث . لان المقدمة فى غايتها لاتعنى سوى هدم ما تعارفنا . ان فى تاريخ اللغة او فى القواعد . وهى ان تكن تتكشف فى بيان وجه النقض عن قاعدة تفرض فيها الصحة على مقدارها فلم تكن معنية الا على القدر الذى يستقيم به النقض ويتمتع اسلوبه . ولذا جاءت القواعد مختلطة اختلاطاً كبيراً لم نجتهد بتنقيتها والتفريع عليها . وكما سبق فرغمت الى سبكها باسلوب قاعدى تعليمى فى كتاب (دراسات على فنون العربية) وانما قصدنا هذا القصد وتعمدناه نظراً الى ماثيره المفاجئة . والفرع انما يفرغ اليه بعد تصحيح الاساس . وبحسنا ما نخرج الآن من هذا المقدار . ليكون اعداداً للظرف المناسب والثروة الصالحة . وموجهاً للافكار لتعمل تحت أيحاءات اخرى . اولاً تحت ايحاء بطابع مخصوص . الذى يأخذ دائماً السيل دون الوصول الى الحقيقة .



القسم الاول

« اللغة غاية لا وسيلة »

ان ما نفيض به في هذه المقالة سيجد قلة تؤمن به وتسيغه . وانما كانت قلة لأن ما اشتهر من أن اللغة الفاظ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم . جعلها شيئاً دون الغرض تتناوله للكشف عنه ومشاركته . وهو ملحظ حق وصحيح . حينما نتجه بنظرنا إلى اللغة في دورها النشوي . وأما هي بعده فمجموعة من الأفكار والتقاليد والمواظف والاحاسيس والنزوات وشتى المشاعر والاعتبارات . تنظمها الألفاظ انتظاماً أصبح منها كما يكون الشيء من الطبيعة .

فللألفاظ بعد هذا الدور . وجود معنى على مقدارها لا تنزل دونه في الاعتبار كما لا يقع دونها كذلك . ونحن وان كنا لا نختلف مع الجماعة في أن الذي أنزلها هذه المنزلة هو الوضع والاصطلاح . وهو أيضاً الذي أفرغ عليها ما أفرغ وحملها بما ترى عليه . فإنا لا نوافق على اطلاق القول اطلاقاً يشمل اللغة حتى في دور كمالها . فإنها تكون على ملء الالهاب . وإذا تناولنا بها (وهي على ما هي) أية صورة ذهنية . كان لنا أحياناً من فضول الألفاظ زوائد لا تكون أبداً في خيالنا حينما نريدها على تأدية ما كان اليه القصد . فهذه الزيادة التي يتأتى لنا أن نصفها بالطائفة . لا يسهل تعليلها إذا كانت اللغة وسيلة . فقط تكيفها المعاني المتجددة على مقاديرها . وانما نكون أقرب قصداً في التعليل حينما نجعل للألفاظ في وجودها شاخص أو للشاهد قياماً معنوياً . وبعبارة أكثر اصطلاحية كوناً معنوياً . تحكيه أفكارنا حكاية نرسل إلى الكشف عنها بالقياس على كون الألفاظ : وهذا رأى لا نفرد به بل سبق اليه (صاحب النهاية) أبو المعالي الموصلي المعروف بابن الخباز . حين حد الحقيقة باتها (لفظ يستعمل لشيء وضع الواضع مثله لمثله لأعينه لعينه) راجع الارتشاف لأبي حيان : فالألفاظ اللغة عندي تتناول الأفكار كما تتناول المقاييس الأبعاد . وللمقاييس حقيقة في نفسها ووجود زائد على وجود الأبعاد قطعاً . وفي النتيجة هي غاية دون الأبعاد والامتدادات . وان كان بالنظر إلى ما يفيدنا منها تكون

غاية يلاحظ من الوصيلة . وأكثر الغايات يكون لها هذا النصاب من الملحظ فهي غايات غير استقلالية . يفرض فيها التعاون مما يتأتى لنا تسميتها بالغاية ^(١) المطاوعة . والمقصود من هذا المتعنى في أسلوب الشرح . يبان ان دلالة الألفاظ على المعانى المتجددة لا المستقرة دلالة مقايسة فاذا أردنا أن نؤدى صورة ما كمثل (شعر) ^(٢)

« فِتْنَةُ الْعَابِدِ فِي مَحَرَّابِهِ وَرُؤْيَى الشَّاعِرِ فِي لَوْحِ السَّمَاءِ »
« نَشْوَةُ الْقِيثَارِ فِي أَوْتَارِهِ وَلَحْنُ الزُّهْرِ فِي زَهْرِ الْفَضَاءِ »
« وَحَنِينُ الْحَبِّ فِي تَطْرِيهِهِ وَرَجِيعُ الشُّوقِ مِنْ أَنْفِ النَّشَاءِ »
« زُرْقَةُ الْأَمْوَاجِ فِي إِزْبَادِهَا وَخَرِيرُ الْمَاءِ فِي أُذُنِ الضِّيَاءِ »

فانما نؤديها بضرب من المقايسة المحضة بين ما هو حاصل في خيالنا وبين معانى الألفاظ المستقرة فالفاظ « فتنه العابد » و « نشوة القيثارة » الخ مما وقع في الآيات تدل على معانيها المتجددة دلالة مقايسة . فكان لألفاظ اللغة أية لغة . التي تستخدم للتعبير عن مختلف الصور زوائد أحياناً تفرغ على الصورة ما يزيد في معناها بحيث لا يظن انها كانت كذلك على كماها في خيال الأديب أو العالم . وهذا طبعاً غير الجمال التعبيري الذي تأثر به من جهة ذوق البيان لأن ما نغني به . نقص وزيادة على الصورة لا اشراق الدياجاة وروقة الالفاظ ورصاعة التعبير . وسنسوق لك مثلاً من الشعر المقارن يظهر فيه ما نمجده باظهار الفرق بينه قال الشاعر

« وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِثْي كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ »
« وَشُدَّتْ عَلَى حُدُبِ الْمَهَارِ رِحَالُنَا وَلَمْ يَنْظُرِ الْغَادِي الَّذِي هُوَ رَانِحُ »
« أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ يَتْنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْإِبَاطِحُ »

هذه الايات التي هي مثال قديم من اشراق الالفاظ وجهالها على بساطة المعنى . ويقول عمر ابن ابي ربيعة من قصيدة .

(١) ووجه الاصطلاح بالنظر إلى اصطلاح المطاوع في الصرف الذي هو بمعنى الفعل المنفعل فتخوف مثلاً فاعل منفعل فالغاية المطاوعة منهاها الغاية التي تنفعل فتكون وسيلة .
(٢) من قصيدة لنا رحلة الى الخلد .

« نَظَرْتُ إِلَيْهَا بِالمُحَصَّبِ مِنْ مَنِي وَلِي نَظَرٌ لَوْلَا التَّحَرُّجُ عَارِمٌ »

« طَلَبِنَ الصَّبَا حَتَّى إِذَا مَا أَصَبْتَهُ نَزَعْنِ وَهْنُ الْمُسْلِمَاتِ الظُّوَالِمُ »

هذان البيتان اللذان انماقتون بهما منهي الفتنة عند عمر. وكما كان فاتنا في نفسه وادبه. وقد اتهم باني سأتكلم عليهما كلاما مفتونا على مقدار ما أجذني منها وقد يكون صدقا وحقا ما يقتضيني به هذا الاتهام. ولكن يجعلني امضي فيه ان الاتهام سيكون له جهة مشتركة تلتقي عليه وجهة النظر وترفع معه الخصومة. وهذه ظاهرة الابداع.

لا اجد حاجة الى ان اقف عند الايات الاولى التي ليس فيها اكثر من مشهد طريق جميل التصوير متروك البيان. لا فرغ الى بيان بيتي عمر وأدُل على ما يتخلني منهما.

يقول في وضوح بالغ. انه ارسل اليها من على المحصب نظرة كانت شديدة وناقذة لولا تخرج الرقباء فقط. دون تأثم المشهد القدسي طبعاً عند من كان يستغل اغراء القداسة لارواء العاطفة. ويجب ندا، الذين لانه استحبال في وقدة الهوى صدى الرغبة الثائرة. فهو يسمعه قبل أي آخر. اذ يسمع فيه صوت هند والثريا والرياب وزمرة عشيقاته الكثيرات. فهو لا يتأثم ولكن يتخرج. واذا رهب فما يرى الله وانما يرى الناس ذوى القالة المتطفلة. المتطلعة ونظيل بيان هذا القول لتدل عرّضا على ما في قوله « لولا التخرج » من فحولة زائدة على جمال موقعه الشعري. ثم يسوق صوراً اخرى نظويها سراعاً لتقف معه عند قوله في ختام القصيدة

« طَلَبِنَ الصَّبَا حَتَّى إِذَا مَا أَصَبْتَهُ نَزَعْنِ وَهْنُ الْمُسْلِمَاتِ الظُّوَالِمُ »

الذي يريد فيه ان يصفهن بِنزاهة الهوى. وطهر التزوع فقد طلبن الصبا وأصبتنه ولكن لم يتهاوين. بل نزعن في شيء من العقوق او في كل العقوق. هذا معناه في البيتين وليس هو شاهدنا منهما. وانما في قوله « نَظَرْتُ عَارِمٌ » و« الْمُسْلِمَاتِ الظُّوَالِمُ » وهو مانسيه (بزائدة الالفاظ)

وبيان الاول . ان المرَم حينما نذهب مستعرضين لاستعمالاته الكثيرة نجد معناه الشدة المتدافعة . ووجه الوصف حينئذ فأن غاية الفتنة جميل غاية الجمال . اى نظر يتهاوى نحوها على مثل ما يكون التدافع الشديد . وفيه تصوير للنظر الملتهم الجشع . ونحن على غير شك فى ان المعنى الذى كان فى خيال شاعرنا ليس شيئاً وراء انه نظر شديد حَسْبُ .

وبيان الثانى . (المسلمات الظوالم) الذى وقع بعد المسلمات موقفاً غاية فى الملاحظة وحسن القصد البيانى . وشاعرنا بدون ريب لا يقصد اكثر من انهن ظلمن بنزوعهن وما بقى مما نُهَوِّلُ بجماله آت من موقعه بعد المسلمات موقفاً يقتضى انه صفته . وربما يوضح هذا الذى نريد ان نصل اليه منه . قول (بشار) خريج مدرسة (عمر) وتلميذه الخنيس

« أَتَسَّ غَرَارُ مَا هَمَّنَ بِرِيَّةٍ كَطَبَاءِ مَكَّةَ صَيْدُهُنَّ حَرَامُ »
« يُحْسِبَنَّ مِنْ لَيْلِنِ الْحَدِيثِ زَوَانِيَا وَيَصُدُّهُنَّ عَنِ الذَّنَا الْإِسْلَامُ »
فبشار كعمر . يريد ان يقول بان الاسلام حافظهن دون الحنا . وسيأجنن دون نبالة الاحساب . ولا اظن بان (عمر) يريد ان يظهرنا على شئ . وراء ذلك واما الظوالم التى هى زيادته . فليست الا تديلا اقتضته القافية . ضمنه شكوى مريرة نكاد نشعر بشديد طعمها . وما تبقى فن (زائدة الالفاظ) والزائدة هنا على ما نرى هى فى انهن نزعن نزوعاً فيه عقوق شديد . فلم يقفن عند حدود ما يقتضى الاسلام . بل تجاوزن بالصرامة الى ما لا يتحرجه الاسلام ولا يثأمه . فهن مسلمات وظوالم لهذا ، او ان صُبُوتهن كان ملوفاً العقاف . فلم تكن على شاكلة ياأياها الاسلام . فلما نزعن كن مسلمات ظوالمنا بنزوعهن عن صبوة لا يتحرجها الاسلام عليهن . وربما دل لهذا قوله من قصيدة .

« حَافِظَاتِ عِنْدَ الْهَوَى الْأَخْسَابَا »

وكأنه اوقع لفظ (مسلمات) كناية عن عفيفات فى ماضى الصبوة . واقاده لفظ مسلمات غير المقصود .
الظوالم

وهذا موضوع على ما فيه من جلاء ملا غموضاً . ولذا غير وهو محل للاخذ والرد بين ادباء الجيل . وكان ان استقر في رُوع الكثيرين . ما ليس الى المنطق الحق . وراح من لم يذَرَب على فَصَح العربية او العربية اصلاً . يركب مركباً ذَليلاً وينشي مثل الوعث والطبع . اخذاً بقاعدة الانانية والشهوة (الغاية^(١) تبررالواسطة) اى على اى اعتبار . فلم يَأْبِهوا بعد ذلك ان يؤدوا ما يقصدونه على اى نهج . استقام اوالتوى مادام لايتوى مع غايتهم التى من اجلها يعملون . وهي اذا جوَّمل بها العلماء والفنيون فما يجامل بها الادباء الذين هم اهل اختصاص في الواقع . وفي الحق انى مُفْرَض جداً ومُحْفَظ من لز منطق الغاية هذا . في محيط الادب بل في محيط البيان العربى عموماً . وجدير بى وحري بكل عربى . ان ينطوى على حفيظة مفرضة من هذا النوع واسمها مفرضة لاني ابتغيها غير قابلة للتفاهم ابداً . اولا تسمع بأية مناقشة دون رعاية اسامها .

والمعجب في نهضة مصر الادبية . انها تسير بخطى ثابتة في جُدد من العربية الصريحة . وعلى مقدار تعلقها بتجديد الفكرة تعلقها بسلامة اللغة وعربية التعبير . وواجب ان اسجل وان لم اكن في مقام تأريخ . ان نهضة الاسلوب العربى تدبّر لمصر وحدها كما تدبّر النهضة المغربية للبنان القديم .

ولهذا فقط قصدت ان اهدم . بتحقيق ان اللغة غاية كما يكون الحساب والهندسة وما اليهما من انواع الرياضى . مايفرغون اليه اذا راموا اللغة عابدين . وقررت ما لم يكن في معرفة الكثيرين . من ان دلالة مفردات اللغة على المعاني المتجددة دلالة مقايسة وموازنة . والا لودلت بالنفس لكان لها (على نهج الفلسفة القديمة) وجودات متعددة بتعدد الاشخاص اللاغين . والتلازم خُلف قارتفعت الملازمة على وجه الاقتضاء . وبحسبنا من حديثه ما انتهينا اليه . لنفيض في يانه على آيات من الشعر نذل فيها على ما يجدر بالناقد البصير تميزه . واعنى به تحقيق الفرق بين اشراق اللفظ

(١) راجع مقدمة كتاب (السفس) لدكتور ابو جرة وكتاب الغربال للاستاذ نعيمة

وبين زائدة القفط وينبني عليه في درس الادب والاديب كثير من التصحيح . قال

قيس بن الملوح مجنون ليل

« بِعَيْشِكَ هَلْ ضَمَمْتَ إِلَيْكَ لَيْلِي قَبِيلَ الصُّبْحِ أَوْ قَبَّلْتَ قَاهَا »

« وَهَلْ رَفَّتْ عَلَيْكَ فُرُوعُ لَيْلِي رَفِيفَ الْأُفْحُوانَةِ فِي مَدَاهَا »

يكاد يكون هذا القسم عاماً على لسان الشعراء والعرب جميعاً . وهو لا يزيد في

اعتبارهم على (بربك) و (لعمرك) وامثالهما . ويقين انه لم يكن من معناه في خيال

المجنون اكثر من الحلف والتأكيد على هذا الذي حظي بالسعادة كلها مجموعة بين

يديه دونه . في غير مكابدة . ولا علاقة لاغية . وعلى خيال الحلف وحده اكاد المجنون

على مخاطبه . او بعبارة اقرب مزاحه فقال (بِعَيْشِكَ) ولكن اى معنى ترى . لو

ابدل لفظاً مكان لفظ . واقام تعبيراً في محل تعبير . لما كان يزيد عن انه قسم عادي

جداً لا نشعر معه بشدة الزفرة . التي في مثل ما يكون من الموقد اذ يصيبه الماء ثم يخمد

في غير ضجيج . ليعبر عن الامسى المضممت بثوبه الفخمي الدّاكن . وهذا البيت جاءت

به الرواية ايضاً على وجه آخر من التعبير فلم يكن من وقعه الاطنين القسم اجوقاً .

« بِرَبِّكَ هَلْ ضَمَمْتَ إِلَيْكَ لَيْلِي قَبِيلَ الصُّبْحِ أَوْ قَبَّلْتَ قَاهَا »

ولكن كيف يشعر ذلك التعبير بما نُهَوِّلُ به . سأجيب بأنه من زائدة الالفاظ

وذلك حين تمثل المجنون يرى العيش في ظل التي يهوى سعادة دونها السعادات .

وهو من نُشَدَاتِهَا ظل يبكيها ابدأ في انشودة الحُزْنِ المرة . بهذا النظر طالع القسم

حين يستفهمه عن شكل من اشكال تلك السعادة . ولون ترى من الوانها مرسوماً

بضمة السحر وقبلة في عين الصباح . بربك اما تشعر بما يبتلع في افاسه . ويذوب

في نبراته . مع القسم اذ يرسله جامعاً بين الامانى العذاب وتاوهات العذاب وهو

أروع^(١) قسم سمعته في الشعر على تاريخ البيان

قالت نزهون الغرناطية

(١) راجع الكلام عليه مبسوطاً في بحث (القسم في القرآن من مقدمة التفسير)

« لِّلّٰهِ دَرُّ الْيَاسِرِ مِمَّا أَحْيَيْتَهَا وَمِمَّا أَحْيَيْتَ مِنْهَا لَيْلَةً الْآخِرَةَ
« لَوْ كُنْتَ حَاضِرًا فِيهَا وَقَدْ غَفَلْتَ عَيْنُ الرَّقِيبِ فَلَمْ تَنْظُرْ إِلَى أَحَدٍ »
« أَبْصُرْتَ شَمْسَ الضُّحَى فِي مَاعِدَى قَبْرِ بَلِّ رِيمٍ خَازِمَةٍ فِي مَاعِدَى أَسَدٍ »

لا اجتهد بان ادل على مواطن الجمال في هذه الايات ، التي ينزل البيت الاخير منها منزلة اربع الشعر وامته واخلقه بكلمة الشعر . وانما اقتصر منها على محل الشاهد الذي هو (زائدة الالفاظ) وابن تقع منها . وفي غير كبير تعمّل . تثر عليها في (فلم تنظر الى احد) وفي (بل ريم خازمة) ولكن كيف يكون هذين التعبيرين مائذ كر من ابداء الصورة على شكل ما تظهره من سرى وثرأ . فهذا ما تناوله ونجهد في تمثيله على وجه قريب من الاصل . ولكن طبعاً لا تكون له تلك العذوبة التي لاصله تقول في البيت الثاني كلاماً عادياً حتى تنتهي الى (فلم تنظر الى احد) فنشر بكل إفتان صورة من غفلة الرقيب . التي لم تكن عادية ولم تكن غفلة مختلة كما هو شأنها . بل كانت غفلة على معنى الاباحة . حتى كأن الرقيب جعلها منحة لقضاء في الحب والاغراق في النشوة . فكنت تشهد مناظر من النجوى المطمئنة التي لا ترتقب مفاجئة من الارحاء . ولا تخشى عبثاً يسترها الهواء . فهي نجوى مُتَبَسِّطَةٌ تزيد تبسطاً في مر النسيم فلا ترهب من حفيضة حساً . ولا تحذر من غناؤه صوتاً . وانت لا تسمع في خلالها الا قبلة لا تنتهي الى موضع اللام^(١) منها . وهذا منظر لسنا نحن نرسمه على افراد بل بريشة (نزهون) وحدها . واسمع كيف تقول لم تنظر الى احد . فقد كان هناك آحاد . وعين الرقيب لم تنظر اليهم . فهو اذن مشهد ممتد . يحوى مناظر عديدة من هنا وهنا تنشئ الحب من رآووقه الصافي وتهيم في رواقه المشرق الهاني . وانا على غير ريب في ان (نزهون) لم تقصد تصوير كل هذا . حين ارسلت (فلم تنظر الى احد) وان ما اعتقد انها تصوره لا يزيد عن ان عين الرقيب غفلت في مشهد ما تريد ان تطلع عليه . مرسوماً في البيت الثاني على لوحين . تزدادان براعة مع

(١) كناية اجريناهما بجري الصناعة عن استدامة القبلة وطولها لانه ينطق اللام تنفرج الشفتان وتنتهي القبلة

دوام النظر . تبدو اللوحة الاولى منها دقيقة ومشرقة على مقدار ما لوحدث في الطبيعة . وكانت الشمس في ساعدي القمر حقيقة . وتجاوزها الى اللوحة الثانية التي فيها مانعني بالزائدة . بيد أن الصورة نفسها لا تعبر عن شيء وراء ما تعبر عنه الصورة الاولى فلا تشرحها . وانما تقف عند اللفظ الذي اثار في نظرنا زائدة حقيقية وهو (بل) وهي اي نزهون لو قالت بعبارة (او) لما كان لها ذلك الوجه الذي نحكي عنه . وانظر كيف تثيره (بل) هذه ونحملنا حملا على التنبه اليه . فهي تقول ما كنت تبصر جملة في ساعدي جميل فقط بل فتنة مشبوبة . تؤلف من اختلاف الطبائع طيبة تجدد معناها وحقيقتها فيما كان يمتاز عنها بالمعنى والحقيقة . وتجعل من القسوة الشرس حملا وديعا . ينطوي بتحايل وخنوع نشوانا بالمعنى الذي هو وراء وجوديهما فيشدده في خدر صليب . وسبات هاني . لذيد . وفي اللوحين تعرض مثلا من الجمال في الحب . ومثلا من الفتنة في الحب . ومثلا من الجمال العاشق . ومثلا من الفتنة المحبة .

حقيقة ان معني الصورة الثانية في صميم الالفاظ ولكن (بل) وحدها هي التي تثيره وتنبه اليه . ولولاها لكانت غفلة الخاطر عن المعنى الحقيقية . (ونزهون) من بعد لم تقصد الا تنويع الصور كما يظهر

قال حافظ^(١) بك ابراهيم على ما أنشدني بعض خلطائه لما زار لبنان .

« يَا غُلَامُ . الْمُدَامَ وَالطَّامِسَ وَالنَّكَاسَ وَهَيْيَ لَنَا «شَرَابًا» كَأَمْسٍ »
« وَاسْتَقْنَا يَا غُلَامُ حَتَّى تَرَانَا لَا نَطْبِقُ الْكَلَامَ إِلَّا بِهَمْسٍ »
« خَمْرَةٌ قِيلَ إِنَّهُمْ عَصَرُوهَا مِنْ خُدُودِ الْمَلَّاحِ فِي يَوْمِ غُرَسٍ »

وروايتها في الديوان (وهي : لنا مكانا كأمس) ونحن سنمضي بالكلام عليهما على التسق الذي بلغنا منها . فانه التعبير الذي يستوقفنا اي (شرابا كأمس) على تقدير ان متعلق الجار والمجرور . صفة الشراب لا (هي) والا فهو يعدل رواية (مكانا

(١) الشاعر الفذ الذي لم يحسن المصريون شرحه وقدموه فهدموا من نهضة يانهم طما خالداً

كأس) ويبدو البيت بعد ذلك عادياً صرفاً وحديثاً منظوماً . ووجه الجمال فيه والزائدة انه وضع الـأس هنا كناية عن الذكرى . اى شرباً يفعل بنا نشوة كما تفعل الذكرى . واذا صححت هذه الرواية لحافظ . فيكون قد وقع على معنى مرقص غير مسبوق به . ولما ان حديث الادب ذو شجون وقد جاءت مناسبة . فما احبلى (قيل) عنده . واظن بانها لم تحسن في شعر باكثر مما حسنت هنا . وما ابرعه تظرفاً لو قال (قَطَرُهَا) في محل (عَصَرُهَا) ولا اقول هذا لما استدرك به بعضهم ^(١) من ان عصر تقال في الاستعمال العامي على الدماطل . فانا لو اردنا ان نحمكه اى الاستعمال العامي . لآتى على اكثر الادب واستبح اعلق الالفاظ بالملاحه . وادهاً ظرفاً كمعرس وعلق . وما اليهما . مما لو اعتبرناه لاسقطنا ثروة من اللغة . وكفى الشاعر انه ينظم بالعربية الخالصة او عربية البيان الرفيع على انها لفظة عربية في الادب العربي بهذا الاستعمال والمعنى . وفي هذا الموضع بعينه . وارفع الالفاظ نسباً بهذا الاعتبار . فقد وقعت في القرآن (اِنِّى اَرَاَنِى اَعْصِرُ خَمْرًا) ووقعت عند ديك الجن قال .

« وَقَهْوَةٌ كَوَكْبَهَا يَزْهَرُ يَنْفُحُ مِنْهَا الْمِسْكُ وَالْعَنْبَرُ »
« وَرُذِيَّةٌ نَجْدَهَا شَادِنٌ كَأَنَّهَا مِنْ خَدَمِ نُعْصَرُ »

ووقعت كذلك عند كثرة من الادباء . لم يعد يحضرني منها الا ما ذكرت . على انه في غايته استدراك بارد بارد كما يقولون . وما مثله في الواقع الا كمن يأخذ على متكلم بالانجليزية مرادف كلمة هواء . لانها في العربية تقال على مايقبح ذكره . او كمن يدخل متحرشاً بين محبين يطلب المدلة منهما قبله تئدى عليه حبه فيزجره لانها تقال في العربية ايضاً على الصنوا الآخر . وانما ملحظنا ان عصر في موضعها الشعري قلابة من حيث ان الخمرة التي يردها كالدكرى لايتسق معها (عصر) . هذا اذا صححت الرواية التي بنينا الكلام عليها . والا فهي سائغة كما تكون المقار في خلق شاربها .

(١) هو المرحوم مصطفى صادق الرافعي الاديب الواحد في نهج من الادب امتاز به واما في النقد فانه يبدو كما هو اديباً فقط . فيه صورة من الادب وليس فيه صورة من النقد

قال الصافي^(١) من قصيدة

« وَاسْكُنْ كُوْخًا مَا بِهِ أَيْ زُخْرُفٌ وَلَكِنَّهُ كُوْخٌ أَقَامَتْهُ لِي يَدِي »

هو بيت برى على اشد ما يكون الوضوح . حتى كاد يكون حديثا عاديا ولكن رغم ما يبدو عليه من بساطة سابقة . اشعر بأنه مُتَّقِي نَزَوَاتِ شَتَّى وَفَلَسَفَاتِ وَجْدَانِيَةِ عَمِيقَةٍ . وهو بين القناعة والكبرياء . والزهد والإدلال . يَحْقِرُ الْعَظَمَاتِ الَّتِي تُقِيمُهَا أَيَادٍ أُخْرَى . ويسخر من الْقِنْفَخَرِيَّاتِ^(٢) الدليلة التي تَصْطَنِعُهَا جِهَاتٌ . تستعبد لها استعباداً يدعو على كل حرية . ويرى العظمة غير المزيقة والقنفخرية الحقيقية فيما تهب اليد لصاحبها .

وكذلك يَطَّلِعُ على كل الناس من كوخه مُدِلًّا نَبَاهًا وهو بعدُ كوخ حقير . وأنا لم اسمع اشد نكايَةً . ولا أكثر سخريَةً . ولا ابلغ تهكُّماً . ولا أَمْرًا تعريضاً . من قوله (أقامته لي يدي) وهذا كله ليس محل الشاهد وإنما اردت التعريف (بيت) يمر به أكثر الناس . ولا يشعرون بالجانب الروحي فيه . والزائدة في البيت (ولكن) هذا الاستدراك الموطأ له بكلمة (زُخْرُفٌ) . ومن ثم استمع لإِذْنِ بِلَاغِيَةِ شاعرة . تدرك مقدار ما تثير من معنى عميق تنزل عنه الالفاظ . ويبقى حيث هو في تسام مدهش .

قلت من قصيدة^(٣)

« مَنْ رَأَى الرُّؤُوسَ يُغْنِي السَّحَرَا مَنْ رَأَى الْعَظَمَى يُنَاجِي الْجُودَرَا »

« مَنْ رَأَى الْفِتْنَةَ فِي رَأُوسِهَا سَكَبَتْ فِي الرُّؤُوسِ حَتَّى نُورَا »

« مَنْ رَأَى الطَّيْرَ يُعَاطِي الْفَهْ رَشَفَاتِ الْحَبْرِ فِي جَوْفِ الْكَرَى »

(١) احمد الصافي النجفي ، شاعر عصرى تأثر حتى في صموته . وشعره لا يشف عنه كثيراً . ولو استطاع ان يفرغ كل نفسه في شعره . لجاء به شعراً فوق الشعر . وشعره على وجه العموم سامت واعني بالشعر الصامت . الذي ينزل عن مستوى المعنى ، ولا يتناول الا على غموض

(٢) من وضعنا الجديد بمعنى (الارستقراطية) و (قِنْفَخَرِيٌّ) في محل الارستقراطي من قول العرب (قِنْفَخَرٌ) للمقتخر بنسبه التاريخي

(٣) هذه أبيات من قصيدة قلتها في خطبة اخي الشقيق

« مَنْ رَأَى الْبَلْبَلَ يَشْجُو صَادِحًا مِثْلَمَا يَشْجُو مُجِيبٌ هُجْرًا »
 « مَنْ رَأَى الْجَدْوَلَ مَضِيًّا عَلَى ذِكْرِيَّاتٍ أَسْكَرَتْهُ فَجَرَى »
 « مَنْ رَأَى الْغَابَ يَصْبِيحُ خَاشِعًا لِأَلْفَيْنِ اسْتَمَاحًا الْقَدْرًا »
 « مَنْ رَأَى الْخُودَ اخْتَوَاهَا مَرْجَزًا ^(١) لَعِبَ الرِّيحُ بِهِ فَاسْتَكْرًا »
 « مَنْ رَأَى الْخُودَ تَعَاطَيْنَ مِمَّا يُوْهَازُ ^(٢) يَسْتَبِي كُلَّ الْوَرَى »
 « مَنْ رَأَى هَذَا فَأَنِي مِثْلُهُ لَعِبَ الْمَيْدُ بِهِ فَازْدَخَرَا »

تأمل في ذوق النقد (استمحا القدرا) تجد تحته سرياً من المعنى . هو من هبات
 لالفاظ وحدها . التي لم يكن من عوالقها في الخيال الا معنى غامضاً اشد الغموض . او
 كان في سماء من الدهن تائهة . ارتسم في نسج الالفاظ خلقاً سويّاً . وهذا
 نبي . لا احكيه عن الغير فاتهم به . ولا اقدره تقديرأ مرسلأ فارمى بالتخطئة . وانما هو
 شعور النفس بالنفس .

« العربية واللغات »

يوم هذا العنوان شيئاً لا أقصده الآن بالحديث . وايضاً لا أفرغ اليه فيه .
 فلست أريد أن اتشر بمقارنة دقيقة على العربية واللغات . ولا غير دقيقة . ولست
 نعيّاً كذلك بأن أمثل من طبيعة اللغات وطبيعة العربية . ما نخرج بعده بموازنة
 نحكي عن المميزات الحيوية لكلا الطبيعتين .

وانما أريد أن اتناول بالتحليل التربوي والبيكولوجي عناصر الشكوى التي
 لا يفتأ يطالع بها كتاب العهد الجديد . ومن ورائهم الناشئة على اختلافهم بالدار
 والبيئة والنشأة .

هذا الشكوى التي يخطئ . أكثر المدرسين بتمثيل أسبابها على الوجه الصحيح .

(١) من وضنا الجديد للاتومويل الذي لا يسع الا اثنين اولوتوسكل السل « السبت »
 (٢) من وضنا الجديد للرقص التوقيعي

فهم يعزونها أحياناً إلى ما في طبيعة العربية من صعوبة تنزل منزلة الشخصية . وأحياناً إلى حَظِّ الأُسلوب التعليمي . وأحياناً إلى أشياء أخرى يجهدون في التماسها ظناً منهم أنهم يُستردون أو يقاربون . وما هم منه الأعلى مقداره مما ابتدؤا بشرحه وتعليقه .

وذلك لأنهم يطلبون أسباب الشكوى في العربية طبيعتها وبيئاتها وموسوع استعمالها وما يَرَحُّوا إلا عكُوفاً على هذا النظر . فإن تكون لهم إلا هذه النتيجة بكل ما عليها من تهافت ومجانبة وضعف . وإن أسبابها الحقيقية تقع بعيداً عن العربية في مُلابسات حياة العربي .

ومن ثم كان ضرورياً علينا أن تأخذ ببيان الأسباب الحقيقية عند نظرنا . لأنه يترتب على جلائها تصحيح الأُسلوب التعليمي وتقويم المنهج التربوي وتخفيف النصب الذي يقع دائماً دون ثمرته .

والأسباب التي نسميها حقيقية . ونراها كذلك (لا تتجاوز الواقع ولا تقع بعيدة عنه على اعتباراتها وأشياءها من النظر) . أدت إلى صبغ النفس العربية بصبغة من التُّروع . شديدة الأثر رمت العربية بما أثار الشكوى . ويتأتى لنا حصرها في وجوه . (١) عدم الثمرة العملية التي يصادفها متخصص العربية . فإن شدة الاتصال الأوربي بحياتنا من أقطارها . فرض علينا لوناً لا أظن أننا نتحلل منه بسرعة . وصبغ محيطنا بصبغة لا يمكن أن نعيش بدونها في سهولة . ولقد أصبح العربي في وسطه ومحيطه بل في ذوى قرابته يشعر بأنه غريب عن عصره بعيد عنه غاية البعد . فأساس المعاملات حتى الضروري منها يقوم بالأجنبية بله التبائع وما إليه . وقصارى القول قد أصبحت اللغات الأجنبية (أى الأوروبية الرئيسية طبعاً) تنزل من الحياة العامة منزلة اللسان من الانسان .

(٢) عدم الرُّكُون الثقافي . لأن الإنتاج الفكري اجنبي من كل نواحيه وسيلتنا في التعرف إليه اللغة حسب . فأتقان أي فرع من فروع العلم . وتحقيق أي بحث من الأبحاث إنما نستطيعه إذا ضربنا بسهم وافر من لغات الغرب . فليس لنا أفكار

برغب الغرب في ان يتعرف اليها . بينما نحن في حاجة الى ان نتعرف بكل افكار الغرب .

فبدت لذلك العربية اثرية بكل المعنى . وهزيمة في نواح عديدة . ما لم تستوفها فلن تكون عصرية تكفل مطالب الحى .

ومن هنا يمكننا ان نمثل مقدار تقصير حكومات الشرق العربى في عدم انشاء مؤسسات خاصة شتى اللجان على فروع الاختصاص . تهتم بترجمة كل كتاب وكل فكرة . ونشرها على نسق كتب دورية تصدر بالتتابع (serial) . العمل الذي به ينشط الفكر العربى لثقافة وتفهمها ومناقشتها والمساهمة في اعدادها .

واما الاعتماد على العمل الشخصي الذي يقوم به في فترات طائفة من الادباء والعلماء . فلا يكفي ابدأ لاغداد العقل العربى على الوجه الاكل ولا على اى وجه . فان كثرة من العفريات المحزونة في محيطنا العربى لم يسعها الحظ بدرس اللغات . فلا يتسنى لها الانتاج الصحيح . وانما تقضي كذلك وافكارها الثرية الغنية لاتزال في غلاقتها .

واقرب مثل اسوقه الشاعر البقرى المرحوم (صادق الزهاوى) فان شاعراً كما هو في لغته . وفيلسوفاً كما هو في ذهنه . يضرب في كل وجه . ويفكر احياناً على نهج علمي . وينتج ثروة بالغة عظماً . وفيها افكار لاتنكر قيمتها . يشاء ان يناقش نيوتن . ويفهم داروين وهيكل وسبنسر وهكسلى وستيوارت وماركس وبرجسون . ومن اليهم من الكثرة التى لا تحصى وهو لا يتصل بهم الا عن طريق (المقتطف . والهلل) وتنف من الكتب المترجمة ويتجاوز هذا وهو غير جامع للنصيب الكافي من الثقافة الى مناقشة الشرائع الدينية والتقليدية . والنحل الاجتماعية من حيث ملائمتها لمقدرات العصر . ومقادير الاستعداد الشخصي للاجتماع .

وبهذه المناسبة امكن من التصريح بان هيمنة السوريين وبالاخص اللبنانيون منهم ودحاً غير قصير من الزمن على التفكير المصرى . انما كان بالترجمة وحدها . ومن ثم قيل عنهم . بانهم باعثوا البقطة الفكرية الشاملة بما القوا من لقاح في محيط العرب الراكد .

وربما كان شاهداً حقيقياً (الدكتور شبلى شميل) . بما ترجم من افكار جريئة في ذلك الحين . وبما تظاهره به من استفزازات أَثَرَتْ بالنطلع وحملت على التساؤل الذى هو طريق المعرفة (كما يقول ارسطو)

وبالجملة فان من التخلف الذى يؤخذ على العرب ان كتاباً ككتاب (داروين) وهو بحق منقطع النظير في منهج تناول النظريات واسلوب تقريرها . وبسطها ومنطق مناقشتها . لا يعرف في محيطهم حتى يقوم بهذا الواجب لسنوات خلت استاذ^(١) يدفعه اليه الشغف الموضوعى . واعنى بهذا ان الفكرة لو لم تكن تعنيه او لو لم يكن من انصارها لما وقف عنده وعنى نفسه باخراجها .

وايضاً كتاب (ماركس) لا يجد من يتصدى لنقله وقد اصبحت الاشتراكية من دوافع العصر ومعنوياته . وهو في واقع النظر من اجل ما عرف حتى اليوم . في تحليل حوادث التاريخ بعقل اقتصادية بحثة . والنقل لايبنى ملائمة الفكرة للحق .

والذى يضعف من وجه آخر . الركون على المثقفة في ان يقوموا بهذا الواجب وحدهم دون معونة الحكومات الشغف المثلّكهم بان يظهروا بمظهر المؤلفين قبل كل شيء . ومن هنا اصبحت لا تعرف بفكرة الا مثوية ممسوخة او مشوهة غاية التشويه لان الكاتب او المؤلف حل نفسه على ان يتجاوز النقل الى كثير من التصرف . والاحتجاج بفداحة النفقات احتجاج يقصد به التنصل فقط . فان كثرة^(٢) من الاعتمادات الاضافية في غير داعية اليها ابداً .

(١) هو الاستاذ اجماعيل مظهر صاحب مجلة المصور وعضو مجمع الثقافة المعري ويمتاز بدقة الترجمة وانزال المصطلح منزله من الاعتبار .

(٢) منها الميزانية المخصصة لطبع الكتب القديمة في الدار الملكية هنا بمصر . اذ حركة المطابع الحرة النشيطة اليوم تنفي عنها وتسكن امرها واذا كان القصد نشر النفاثات الخطية ذات الخطر . فان هذا (عدا عن انه ياتي دون غايته اذ لا يقوم الا بتعريف النذر منها) يمكن الاحتياط له بأخذ صور فتوغرافية عديدة عن عموم الكتب الخطية الموجودة في الدار وإباحة استعارتها كالكتب المطبوعة بحيث ينسني للجميع الاستفادة منها وبهذا نحفظ شيئين (قيمتها العلمية) بالاستفادة منها الغير الحاصلة اليوم لانه لا يسمح بها الا بمعاملات مخصوصة على وجه مخصوص . وايضاً لاشخاص مخصوصين . فهذا الخصوص في الخصوص يجعلها على مثل النصوص تسمع ولا ترى او ترى ولا تسمع . و (قيمتها الاثرية) بالابقاء على النسخ الخطية بدون كبير مساس يجعل اليها التاف

وإذا استطعنا أن نفهم مؤسسة من هذا النوع . ضمننا التهوض بالمستوى الثقافي العام . والتهوض بالمستوى التعبيري . الاصطلاحي والبياني للغة . وبموجبنا الآن هذا المقدار من التعريف بالفكرة . ونشرها لتتناولها في مناسبة أخرى . تكون موضوعها فإن الاستطراد قد فسم عروة ما أنا آخذ بالكلام عليه .

وخلاصة هذا السبب الثاني . أن عدم الركون إلى تحقيق أية فكرة وفهمها إلا عن طريق الأجنبية . وفقر العربية من هذه الناحية . نفي السأم عن دراسة الأجنبية فبدت على ما هي من سهولة تقابلها صعوبة مربية في العربية التي لا تدرس إلا بانصراف وازورار .

(٣) كون اللغات الأجنبية بالنظر العام عنوان الحضارة في الحياة والشخص وعنوان الترف العلمي والعقلي والاجتماعي من كل الوجوه . ومن ثم أصبح الناشئ إذا ذهب يعبر عن آرائه يعترض بينها بكلمات أجنبية . ليس فيها شيء من الاصطلاح فيعذر له . وأحياناً يكون مرادفها مما يجاوز الحصر في العربية المشهورة . بحيث لا يعزى إلى شيء سوى أنه يقدم البرهان على امتيازها .

(٤) تعلق المرأة (التي هي ذات فطرة شديدة الولوع) باللغات الأجنبية حتى غدت ولا يلين لها لسان إلا بها . ولا يحقر أثر المرأة في موائيل الاجتماع والحياة العامة . فإن المرأة من الحياة بمنزلة العنوان من الكتاب . الذي يبدو في كل سطر من سطوره الكتاب . أيا ن قلبت من صفحاته . والواقع كذلك نجد المرأة وحدها . كيفما التفتنا إلى الحياة .

ولقد أذكرني هذه المناسبة . قصة تحدث بها إستاذ^(١) من اقدراساتة العربية في لبنان . كان مغزاها أن المرأة دائماً عدد صحيح . والرجل بجانبه (صفر) فليعرف الرجل كيف يقف منها . فهو لا شيء إذا لم تكن . وقد يكون كل شيء إذا كانت . ولكن المرأة هي المرأة في كل دور . وكذلك هي (الدِّرَّاز)^(٢) الشاخص في حياة الناس .

(١) هو الاستاذ جورج المقدسي مدرس اللغة العربية في جامعة الاميركان ببيروت
(٢) من وضعنا الجديد بمعنى (model) واشتقاقها من مادة (درز) التي من معانيها (النسق العالي من اللبوس)

واذكر من ويل أثر هذا التعلق . أن سيدتين عربيتين رأيتهما في (ذهبية)^(١) على النيل . وصادف أن نادتا أحدهما (البربري) بلهجة كلها قحة (an arab) فأنطلقت وأنا أشهد وأبصر كيف تذوب حصاة الأمة في بوتقة التقليد إلى حد إنكار الشخصية وإنما نجعل المرأة وحدها سبيكاً نفسياً في هذا التخرج . لأنها سرية الانطباع سرية التحلل . فهي لا تأسف على ما تركت في نشوة ما تأخذ به . وهذا سبيلها في الحياة الداعة فهي سرية التأثير إلى حد التجاهل . ثم سرية التقليد إلى حد الانكار . وهي مع ذلك (الطابع)^(٢) للمجتمع من أطرافه تغير كل شيء على هواها بين الفتنة والبدالة . هذه هي الأسباب التي أراها حقيقية في الشكوى المذكورة . والتصعب في غير هُؤن . ومعنايَ بهذه الأسباب . أن مَثَارَ الشكوى نفسى صرف أى ذاتى يعبد أشد البعد عن أن يكون موضوعياً بالمعنى المجرد .

هذه الأسباب انكرت العربية فانكرها الناشء بتحليل . وكيف يرجى أن تهون عنده . وهي مكروهة غير محببة . يدرسها بازورار فيشعر بما يشعر فيها من التواءآت . والا فالعربية شهد الله أسهل من كل اللغات . إن في قانون نحوها أو صرفها أو املائها أو اشتقاقها أو خطها . بل أكثر من جميعها آلية إذا صح هذا التعبير . على ما فيها من فوضى اجتهدنا بفهمها ومداواتها في بحوث المقدمة المقصودة .

ولا بأس من أن نأخذ بمقارنة عجمية تشمل النواحي البارزة على صورة موضوعية صرفة نستبين منها مقدار ما يجازف في زعم ما يزعم .

الخط العربي

هو أى الخط العربي أشغل الرؤوس في أقدم ما كان . وما فتىء شغلة على جانب عظيم من صعوبة الحل . وكذلك لا يزال يراخى بالرؤوس بين الأكف لتناهى في تفكير عميق .

وعلى صعوبة ما صادف الأولين من عنائه . فإن ما يصادقنا نحن منه يزيد على

(١) كلة في العامية المصرية بمعنى حراقة

(٢) من اوضاعنا الجديدة بمعنى الاكليسيه

أعضائها أو عليها كاقبها . وربما كانت هذه آخر معاضله . وإذا استقامت فيه فليس أجهل منه . وما أخصره قلماً .

وتلك هي مشكلة الخط المَعْرَب . أي الدال بنفسه على الحركات . وممبناه مُعْرَباً بصيغه اسم الفاعل أو المفعول بملاحظة الاعراب بمعنى اليان . وهو مطلب خطير الشأن غني الجانب . ضروري أن يشترك اللغويون والفنيون من كتبة الخطوط بالسعي الحثيث إليه حتى يستقوا منه على ما يكفي حاجة العربية

والحق ان متن اللغة في أحوج ما يكون إليه حاجة . فكل ما يرمى به من صعوبة آتية من سداجة الخط . فإذا كفت العربية أمره . لم يعد مفر من ضبط كل كلمة على ما هو في الأجنبية . وتلقيها كذلك وتداولها على وجهها من الصحة . بله تربية النشء على أقوم اللهجات وأصحها . بحيث يمكن أن نضمن بمرور ربع قرن على شيوع هذه الحروف أن تصبح اللهجة القوية الفصحى . هي اللهجة المشتركة العامة

وفي هذا شيء كبير من تشذيب العامية ورفع مستواها . وقريب ما بين مختلفها كالمصرية والسورية والعراقية والحجازية واليمينية والمغربية . وما إليها مما يكبر على الإحصاء .

وبالأخص حين يصبح التعليم اجبارياً في عموم المحيط العربي وهو آخذ في تحقيق هذه الصفة له . على أنه وإن لم تكن له أية صبغة رسمية . فالتهمزة التي شملت الناس عامة . والصحافة التي شغفت الجميع . وانبهت كل امرئ . إلى تقدير المسؤولية ولو من بعض وجوها . مستحقان هذه الغاية من وراء الخط المذكور على شكله . وسيجمعان الأقطار العربية على ثقافة لسانية لم يكن العصر العباسي الذهبي على شاكاة منها .

ولا تعجب إذا سمعت أن الأجنبية فيها كثير من هذا الاختلاف وهذا الضبط والضبط وحده شغل جزأ كبيراً من المعاجم . وربما كان على وجه أصعب من العربية ولكن انما سهلت على الأجنبية واستعصت في العربية . لما أنها تلقن كذلك وتقرأ كذلك . ويتخاطب بها كذلك . ومن ثم لم يعد لها مناسبة تتجاوز فيها فصيح نطقها فيلتوى الدهن على الخطأ . وتنطبع كذلك على الهوى .

واليك المثل عليه من الانجليزية فيها .

(pear) بمعنى الاجاص . وتضبط هكذا (par)

(pear) بمعنى أميراوند . وتضبط هكذا (par) واليك مثل منها على وجه آخر

(patrol) وضبطها (patrol)

(patron) وضبطها (patrun) وهذا كثير يفوت الحصر . ولذلك كان واجب

المعجم عندهم . كما هو الحال عندنا يقضى بضبط كل كلمة حتى يكون المرء على بينة من فصيح نطقها .

ومنه تبين أن ليس الخط العرب . هو كل السبب لشبوع الفصيح في الأجنبية .

بل وراءه أيضاً أسباب أخرى . نثرنا ذكرها بين هنا وهناك من موضوع الاملاء وغيره .

وأهم الأسباب فيما تبدو عليه العربية . مزاجية العامة . فالحديث اليومى وجه .

والحديث العلمي وجه آخر . وأيضاً التلقين الخاطيء الذى يضاف من شأنه الخط العرب .

وفى غير بسط وتخطيط من جوانب الموضوع وحواشيه . نذكر اقتراحنا هذا الذى

ترى فيه أنه علاج لا يبعد صلاحه . وإذا لم يكن مما يحقق كل المراد فلا ريب فى أنه

يمهد السبيل الفنى فى أقل التقدير .

ونحن نقترح ما نقترح من أمره مع المحافظة الشديدة على الشكل الهندسى والارتفاع

به حتى يكون دونه مجال الاقتراح . فان ما وراء هذا الرسم لانشاؤه بمجال . وترى أنى

لا أتكلف لهذا الاقتراح (عرق القرية) واعتصر الدهن على أشكال مناسبة . وانما

غاية ما كان من أمرى ان اخذت بالاعتقاد فى زمن يكثّر الاسراف فيه . فان المجموعة

الخطية المختلفة الاوضاع عندنا تشكل ثروة تجوز العد . وهى تتقارب فى أشكالها

وهندسة الحروف تقارباً لا يبلغ حد الاشتباه بل تختلف بما تمتاز به . وهذه الثروة

عوضاً عن أن تبقى لتطريف الخط على مثل التطاريف . نضعها موضع الفائدة . وتأخذ

بها مأخذ الاستثنائية . ونحكم منها خطأ قديأتى موزوناً جداً . وستجد له أشكالاً تعرضها

هنا حتى لا يمرّ الشاهد .

ومن رأينا أن يؤلف (الخط الجديد) من النسخ . والرقعى . والفارمى والديوانى

والثلث .

فالثالث - للحروف المضمومة . أولا ووسطا وآخرًا .

والنسخ - للحروف المفتوحة . كذلك .

والرقعى - للحروف الساكنة كذلك .

ومن الفارسي والديوانى - للحروف المكسورة كذلك .

وهذا وإن كان يعسر التمييز بينه للتقارب في أول الأمر . فإنه يُعَبَّدُ على المران والتعهد . وفي اليونانية حروف على هذا النسق متقاربة . ولكن لا تبعث على الاشتباه للمزاولة المتعاهدة من أول الأمر بالتعليم . حتى يُنْتَظَمَ بها حاسة دقيقة جداً . كما هو الحال في كل الأشياء . وكذلك نجد في السريانية تقارباً بين بعض الحروف . وفي العبرية أيضاً . ومع ذلك يشعر قليل كل لغة بسهولةها .

وكذلك نجد لها سائفة إذا أردنا أن لاتصعب عليها . ونعتنا متأقنين . وقد يؤخذ بأنها تُكَبِّدُ الطالب إتيان فروع من الخط كثيرة . ولكن يجب أن لا ينسى أنها تكفيه أيضاً مؤونة اللغة ضبطاً وتصحيحاً وأيضاً مؤونة النحو . على أن هناك فرقاً بين المران على تمييزها وبين احسان رسمها . وإنما يكلف الطالب بالتمييز دون الآخر الذى هو من هم الخطاط وحده . وإذا صرفنا النظر وجدنا فى الأجنبية تمداداً للخطوط . يكلف الطالب بجزء كبير منها . فهو مضطر ليساير الشائع أن يكتب Capital-letter أول الأعلام وابتدأت الأسطر وهكذا .

ومن ثم تصبح العناية بالنحو واللغة فى التعليم الاولى قليلة من حيث ما يلزم للمطالعة منها . وقد يُعْتَلُّ بأن هذا الخلط فى الخط . ربما أضاع جمال الهندسة العربية . وهذا قد يكون صحيحاً . بيد أن الخطاطين إذا تناولوه بالتهذيب . أخرجوا منه قلماً جيلاً بدون ما شك . ولا يبعد المثل عليه فهذا (الخط الأيوبى) ^(١) الذى اخترع بين الثالث والنسخ . ما زالت أيدي الخطاطين تراوحه حتى بدا أجهل منهما معاً . ويكفى أنه اتخذ قلم دولة . ومظهر حكومة

ولا نجد داعياً إلى وضع حرف مشدد بل نلتزم الاحتفاظ بالشدة . ووضعها فوق

(١) راجع كتاب قانون الرسائل للصيرفى ص (٨)

الحرف الذى بشكله يدل على حركة الشدة . وأما (ال) الشمسية فترى رسمها فى الساكن (الرقى) وإذا وقعت بعد ساكن . تحرك بالكسر أو بالفتح . وإنما اخترنا أن تكون هى دليل الحركة فى الحرف . لئلا يظن أن الحركة أصل فى الساكن قبلها . وليكون دليلا على عروضه لالتقاء الساكنين . وأما همزة الوصل فت رسم فى الساكن (الرقى) وأما التنوين فى الحرف فأشارته (ة) مثل (ل) .

على أن ملاحظة الآخر على سنة هذه الحروف . صعبة لعدة الاعراب فى العربية التى يتغير كثيراً . مما يصح معه أن نصطلح على إعمال الخط العرب فيما عدا الاعراب التى لا يفتقر إلى كبير مجهود . وبما أن الأصل فى الآخر (الوقف عليها بالسكون) . فنرسم أواخر الحروف مطلقاً التى هى متراوح الاعراب فى الساكن (الرقى) . ولما هو مقرر من أن (العارض بمنزلة المعلوم) . وأيضاً الشكوى ليست من الاعراب وإنما من البناء أى تحقيق ما هو مقتضى الابنية فى العربية الصحيحة .

هذا ما تراءى . وستجد مثاله فى الحروف المثبتة والأشكال المعروضة . وللهيئات الخطية أن تبدى رأيها . وتأخذها بما يلائم من اصلاح وفنية .

يدبقى رغم كل ما يدخل عليه من اصلاح وتهذيب وتحسين . صعباً على الطفل البدى . فهو من الناحية التربوية . يبدو عقياً بعض الشيء وهذا مأخذ قد يكون جوهرياً ولكن يمكن أن يخطأ له بأحد أسلوبين

(١) أن يعلم شكلاً من أشكال الخطوط العربية كالنسخ والرقى ساذجاً . وفى الأول ابتدائى يؤخذ بتعليمه الخط العرب .

(٢) أن يكون تعليم هذا الخط العرب على طريقة التوزيع بمعنى أن يعتمد إلى الكلمات المضمومة فى كل حروفها . والتى توضع فى الثلث - والكلمات المفتوحة فى كل حروفها والتى توضع فى النسخ - والكلمات المكسورة فى كل حروفها . والتى توضع فى الخط المختلط - ويقتصر عليها فى ترويض الطفل للوهلة الاولى . حتى يتمرن من مزاوتها على هذا الشكل . وتنطبع فى ذهنه فوارق الخطوط بكل وضوح وهكذا حتى يدرك بنفسه ميزات كل خط بدون تلقين أبداً . ولكن بالاستنتاج المجرد . ومن ثم يؤخذ

الطفل إذا قطع هذه المرحلة . بالكلمات المختلفة الحركات والمترضة بالسكون . حتى
تم منزلة هذه الخطوط من نفس الطفل كما لو كانت من طبيعة الحروف . وبهذا يعود
الخط في ذهن التلميذ . وله قياس مترتب الحلقات . مطرود النظام . بحيث يستسيغه
استساغة مطلقة .

وهذا الأسلوب الثاني . أفضل من الأول في الترويض على الخط . ومن هنا
يصبح كما ترى خطأ سائنا لا مشكلة فيه .

ونحن إذا حددنا لهم هذا المقدار من الشكوى . أو حددناها شكوى في هذا المقدار
واصفينا اليها بانتباه حكيم . حتى كان من كافة رجالات العربية مناولة لها مشتركة .
بأفضل الوجوه والأوضاع الممكنة التقدير والاحتمال . فأننا لا نحمد ما ورائها مما يزيد
على مقادير الجدة . ويكون غنجاً من الغنج . ودلالاً من الدلال . هذا القنبح المرسم
بالشكوى أيضاً من صور الحرف على موقعه من الكلمة أولاً ووسطاً وآخرأ . وهو لا
يفسر إلا بأحد تفسيرين .

إما ان الجماعة تريد أن تدرس العربية ولكن كما يقول العامة (بدون نفس)
وما احبلاها كلمة فيها قوة . وفيها حقيقة . وفيها براعة اخاذة .

وإما أن يكون استتارة مثل هذا الأمر مقصود وراء ما تعطى الألفاظ . ووراء
ما تخفي الظواهر . وهو على المكشوف وضع العربية والعرب . أمام الأمر الواقع الذي
لا مفر معه من اعتماد العرب على أحد لونين . إما الكتابة بالحروف الصوتية .
وإما الكتابة بالحروف اللاتينية من أول الأمر . مما يختار أولاهما وهو الثاني في بادى
النظر قطعاً . وذلك لما يسببه الأول من ارتباك لا أقل فيه من الذي اجتهدوا بالخلاص
منه . ونحن نميل الى الاتهام ونعتبرها ليست شكوى . بل طلائع محاولة خطيرة . إذا تم
وأخذ المصريون بها انعزلت مصر . وفقدت كل ما تتمتع به من مكانة سامية . فان
هذا الطرف منها والحق . ليس له لون الشكوى في شيء وإنما هو الإلجاء والإخراج .

نموذج من الخط الجديد

نظمت عقود جما نھا لکن بدت

(١)
فکلتھا قطفا وبکری الزہرة

الاسماء

يختصون الاملاء بحجز كبير من شكواهم . المطبوعة على غرار لا يختلف في كثرة ما يختلف الشاكون . ونحن وان كنا نحس معهم صعوبة في قواعد وضع الهمزة . وفيما يخص الف اللين المنقلبة عن ياء او واو . لا نرى من الانصاف اللجاج في الشكوى . فان العريه اذا كان في هذين وجه صعوبتها فقط . ففي بعض اللغات الاجنبية ما يضاهي هذه الصعوبة باملاء كل كلمة . كالانجليزية التي تنطوي على اختلافات . وبقايا وزوائد اثرية تارة . وتقليدية تارة اخرى لا تنظر الا الى مصدرها البعيد . ومع كل ما نجد في الانجليزية من هذا لانسمع تأقنا يصم الاذان . ويستغل كل مناسبة على كثرة ما تدرس بين ظهرانينا .

(١) بيت من قصيدة قلتها في صديقي الاديب (بكري الصديقي) وقيله . . .

« صديقي اکتنتک على لآلئ رطبة قد جادها مطر رخي غيدق »
« وکأنما اسداقها درية قد اطبقت حملا زهاها رونق »

والزبرق من اوضاعنا الجديدة لكلمة (locket) في الانجليزية ومعناها المدايون او الذخيرة وكان يقول العرب في معناها (واسطة العقد) والاصل في الوضع قول العرب للبدر زبرقان وهو مثني أميت مفرد على مائص عليه المحي في (جني الجنتين) فأحييناه لمعني بدر الآله الذي هو واسطة العقد عادة . . .

« تنبيه » وقع في حفر الا كليشيات تقديم بعض صور الحروف على بعض كما في حرف الحاء من حروف الكسر . والابقاء على أذنب الحروف الواقعة اولاً كاليم من حروف الضم . فليقتبه الى امثال هذا .

ولا اجد داعياً الى ان اسوق شواهد وامتكثرها من هذا الاختلاف .
فانه اللغة برمتها واقية . وان كانت قد يلتمس له علل لغوية فلا ينافي صعوبة الاملاء
الى حد الارهاق .

ورغم اننا نرى العربية ليست على صعوبة من هذا القيل . فلا علينا ان
نبقى على ما هي من املائية لا ترهق دراستها . كنا ابدينا رأياً يضعها في نحو ايسر طلباً
واطوع عملية . نأتي هنا على تلخيصه فانه لا يعدو مناسبة .

لا نظن بان احداً يسري في قواعد الاملاء . وان خضوعها للفرض بأكثر مما
خضعت للمحاكات الدقيقة والاستنتاج عليها . وهذا ضروري في جانب تراث حفظه
من التقدم الكتابي ضئيل . ومن وجه آخر نشاهد بان اللغة مفرداتها وموازينها . لم
تستقر على وجه التام . مما يكون معه على جانب كبير من البداهة . تقدير وجود
املاآت قبلية مختلفة اختلافًا يندأ بصورة غير يسيرة . ويشهد لهذا حتم عثمان (ض)
على كتبة المصاحف (الام) بان يكون الرسم آخذاً سنة قریش في الكتابة
والتصوير . على ما ذكره الداني والسيوطي وغيرهما .

فلا سبيل اذن الى انكار ان بعضاً من الصور الاملائية التي قبلها اللغويون
على علائها . اى كصورة متممة للاستقراء الاملائي . باعتباره موضوعاً من الصرف
هى من الاملاآت الاثرية التي تمثل عهداً اتقضى او ينقضي باوزانه ورسومه .
وانما بقائها في العربية الحديثة كبقاء حيوان من الفصائل المنقرضة يغالب الحياة في ان
تقبله مع منافسه الاصلح . (ويمكن ان تسمى هذه الاثریات بالمتحجرات اللغوية التي
يبقى عليها لصالح التاريخ ومن ثم يظهر وجه كيف تكون اللغة ايضاً في سلك التاريخ
الطبيعي) .

وفي اللغة تبقى النفايات لاعتبارات عدا المنافسة . تتبع القبيلة في سيرها الارثاقي .
وعليه فالخطأ الذي وقع فيه اللغويون من وجهين .

(١) ظن ان الأثرى من اللغة الحديثة التي عرضوا لدرسها واستنتاج قواعدها

(٢) اخذ القبائل جميعها بملاحظة واحدة . فلم يستقروا الملاحظات القبيلة في

وجه الاختلافات .

ومن هنا يظهر بعض من سر الإبقاء على املائية القرآن من غير تغيير . او حجر هذا التغيير كذلك . لان القرآن كتب بمثلانهاج قبيلة بعينها . هي اتقن ماتكون للوسائل الكتابية . عند مقايضة القبائل . ولما تعد اللغويون وضع قواعد الاملاء . تناولوا الآثار الكتابية . وحكموا اجتهداتهم الصرفية بصورة كبيرة . رفعوا مستوى القرآن عن ان يأخذوه بها .

على ان اللغويين كادوا يشربون باجتهداتهم على القرآن . ولكن لما اجتمع امر القراء بانفصال القراءة عن اللغة . واصبح لهم بما يسمى في لغة العصر (نقابة) او شبهها . وقفوا وقفة كان لها مطلق الأثر بعد ذلك بحفظ هذه الاملائية . وصيانتها من التغيير وزادوا محافظة حين افردوا املائية القرآن بالتأليف وجعلوها فرعاً من علومهم . وهنا اذكر قصة تقع منها على صحة ما نقول من اخذ اللغويين بقواعدهم على القرآن رغم اختلافها . فكاد يكون في القرآن رسمان مختلفان اشد الاختلاف او رسوم . ذكرها (ابن الانباري) في كتابه ^(١) نزعة الالباء قال :

(ويحكى ان بعض أكابر أولاد طاهر . سأل (أبا العباس ثعلب) أن يكتب له مصحفاً . فكتب والضحي بالياء . ومن مذهب الكوفيين انه اذا كان كلمة من هذا النحو أولها ضمة أو كسرة كتب بالياء وان كان من ذوات الواو . والبصريون يكتبون بالألف . فنظر (المبرد) في ذلك المصحف فقال ينبغي أن يكتب والضحي بالألف . لانه من ذوات الواو . فجمع ابن طاهر بينهما فقال المبرد لثعلب لم كتبت والضحي بالياء ؟ فقال لضمة أوله . فقال له ولم إذن ضم أوله وهو من ذوات الواو . وتكتب بالياء ؟ فقال لان الضمة تشبه الواو وما أوله واو يكون آخره ياء . فتوهوا ان أوله واو . . . فقال أبو العباس المبرد أفلا يزول هذا التوهم الى يوم القيامة ؟ .)

وكذلك لم تضبط قواعد الاملاء . ولم توضع اصوله بعيداً عن النظر الصرفي . ولذا لم يفرد بالتأليف . ومن كتب فيه كتب بصورة عامة لا تخصه بالذات كأبن درستويه في (المتمم او ادب الكتاب) . والصولي في (ادب الكتاب) .

وابن قتيبة في (ادب الكاتب) واكثر ما يظهر فيه هذا . قواعد وضع الهمزة .
والف اللين المنقلبة . ولذا بقيت فيهما مشوشة نوعاً ما . ومن ثم لا ترى مانعاً يمنعنا من
المضي في تقرير قواعد جديدة للهمزة ومكانها لا تكون على هذا المضطرب اللين
(وكل هذا اذا لم تقرر حروف مشكولة) .

وانما لم نر مانعاً لاتنا بعرض نسق الكتابة عند العرب لانستطيع ان نخرج
بقواعد واحدة . او لانخرج بقواعد ابدأ . مما ندرك معه ضعف التمويل على اسلوب
عربي عريق في شريعة الاملاء . وبالاخص حينما نعلم ان الاملاء أخضع لتطورات
على مقتضى الحاجة فكان يَتَأَنَّى وَيُحْتَاطُ به مع ما يستوى والحاجة الباعثة قال (١) أحد
لغويينا اللبنانيين ظاهر الشويري (ان قواعد الاملاء اصطلاحات كان لبعضها أوجه
قبل النقط والشكل وأما الآن فقد صارت ليست عديدة الفائدة فقط بل من جملة
العوائق) . ومن ثم نتركه للاجتهاد الصرف او للأرتاء وحده كالخط . فلم يكن
التجديد فيه . وتحديد قواعد خاضعاً للملاحظ اعتبارية . وعليه فلم يعد صعباً
اختصار قواعد وضع الهمزة . اولا ووسطاً وآخرأ ومفردة ومركبة على حرف من جنس
حركتها . او بعبارة ابن درستويه . (على حرف من جنس ما تسهل اليه) . وفي حالة
الاسكان تكتب على حرف من جنس حركة ما قبلها .

وقواعد كتابة الالف المقصورة تختصر بكتابتها على مثل لفظها الذي هو الالف
الهوائية . بقطع النظر . لان ما وراءه ملحظ صرفي يضاف الى اللغة ويتعلق بالاشتقاق .
ويجب ان لا يعزب عن البال . باننا نرسل نموذجات لا قواعد محتومة التقليد .
وهي بعد دعوة مرسله قد تجد وقفاً . وتصادف هوى .

ومع اني اعتقدها دعوة . حتم علينا الاخذ بها . ووضعها موضع العمل . تسهيلاً
على الناشئة . وترقيهاً على الاحداث . فلا ارى ان نتناول بها القرآن . لانه برسمه
التقليدي يجمع العالم الاسلامي على راموز واحد . له مسحة قدسية حقيقة . مما تصغر
معه اية غاية اخرى .

البيان

مضينا في دراسات واحاديث حتى جاء حديث البيان . والبيان حديث طويل واسع . تتناوله فتناول به علما غير واضح القصد ولا ظاهر الغرض . وموضوعا لا يقوم في مسائل وانما يقوم في خواطر . فجاء البيان كذلك منجرذاً عن صبغة ما به يكون العلم . وانت حين تأخذ فيه تشعر بكل ماتريد ان تشعر به من تكلفه . حتي اذا اتيت عليه لم يبق منه الا انه (ايساغوجي والقاطينورياس) . اجريا على الادب في غير تقليد محكم . والا فأي معنى لثل (فخرى التشبيه من الكلبيات للجزئيات) الا ان يكون تصويراً لحركة النفس في المعقولات .

ثم أي معنى لان تأخذ في اللغة بتقسيمات دقيقة من نوع الوهميات وما اليها . مما هو خليق بان يكون تصنيفاً للصور الحاصلة بالحصول الشبهي . وايضاً فاي معنى لرأى السكاكي في (انبت الربيع البقل) الا ما قرر من الاتزاع الفلسفي البعيد عن قصد الاديب .

والواقع ان درس البيان . لن يكون بهذا البيان . ونحن لا نكثر على المعلومات . التي يطالعونها بها في هذا العلم (كما يشاؤون تسميته) . انها صارت وقررت قسماً من علمنا . فلا نشجها باستغناء مطلق . وانما نريد ان نجعل دراستها للتخصص . فهو يدرسها على انها حلقة من حلقات تطور هذا العلم . وهو يتقنها لا من حيث ان لها ضرورة . فيهم على شا كلتها يات العرب وادبهم . بل ليتحقق لونا من دراسات الاولين .

والا فاي اخذ هذا يقوم . لاسلوب العرب اذا كان على نهج (ليس كمثل شئ) الذي كان نهجاً كافراً جعله امثالا . في نفس الآية التي جاءت لتتفي المثلية والمثل . وما أضر وأوْضُر الا لز منطق المتفلسفة في محيط الادب . واخذه على هذا التسق البعيد عنه اشد البعد . ومن اجل ما كانت عليه الآية من تجاذب الرد والمناقشة . الفت فيها رسائل كأنها المعضلة الخطرة . ولما نزل يبحثونها .

وانا لا استجيز لنفسي ان اقف من هذه المجموعة الثرة بالافكار . موقف الملحد

لها أو المقير . وإنما أريد أن ندرسها (كما سبق وصرحت) في دور الاختصاص .
كفكرة نبتت في محيط هذا الفن . من مثل ما يدرس المتخصص للفلسفة . نظرية
الحكماء في الافلاك . والمقول المشرة . ونظرية ادراك الكواكب وما اليها من الالاهى .
ونظريتهم في الثقل وانه قوة او كمية وما اليها من الطبيعى .

وأما ما يجب ان ندرس من البيان كفن على لنا اليوم . فشىء غير هذا ابداً .
لا يستقيم معه ولا يسايره ولا يأخذ نهجه . وإنما علينا ان ندون فيه مرة اخرى .
ولقد تمثل هذا للاولين على اوضح صورة واليك ما يحدثنا (الزركشى) في
عبارة مأثورة عن نقد العلوم (اما علم الحديث والفقه فقد نضج واحترق . واما علم
النحو والاصول فقد نضج وما احترق . واما علم التفسير والبلاغة فما نضج ولا
احترق) ونرى نهجه الجديد احد وجهين .

(١) الغاء كل مباحثه واصطلاحاته سوى التشبيه والكناية . فان ما بقي يرجع
اليها من أقرب الطرق . إذا أنصفنا التطبيق ولم نتعرج عليه بتحليل محض . فهذه
(الاستعارة بالكناية) يمكن أن ترد الى التشبيه الكنائى فيقال في مثل .

« وَإِذَا الْمَنِيَّةُ انشَبَّتْ أَظْفَارَهَا الْفَيْتَ كُلُّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ »

شبهنا المنية بشيء له أظفار . وأرسلناه كناية عن الامساك في دقة وشدة تعلق .
وما وراء هذا من التخيل تخيل . أو بدون ملحظ التشبيه أصلاً . وإنما من أول الأمر
يقال جعل للمنية أظفاراً . كناية عن دقة التعلق وعسر الخلاص .

ويمكن أن نرد مثل (لا صلبكم في جذوع النخل) الى الكناية أيضاً والمعنى
لا صلبكم صلباً في الجذوع . كناية عن شدته . لأن التعلق في الطرفية أشد . وإذا
أبقينا على التضمنين النحوى في اصطلاحاتنا (وما فهمناه على أنه حيلة اللغوى ليعمل به
فوضى العربية في الأدوات وعدم استقرارها كما سيجى . بحثه في موضوع التعدية
واللزوم من المقدمة) أمكن رد الآية اليه في غير عناء .

وعندى أن الأولى أن نرد الاستعارة في الحرف إلى التجريد . وعليه

فالكلام - حقيقة . ومجاز . وتجريد .

والحقيقة - قسمان (١) لغوية وهي ما كانت على مقتضى الظاهر (ب) بيانية وهي ما كانت على خلاف مقتضى الظاهر . وتشمل المجاز العقلي . والمجاز بالحذف . والمجاز بالزيادة . من كل ما كانت الحقيقة مرعية فيه بلا بسة أو رمزية . وهذا يقطع النظر عن أن يكون في الاسناد أو في ظرفية أو في فضلة تابعة .

والتجريد - قسمان (١) تضمنين نحوي (ب) تضمنين بياني .

والمجاز - قسمان (١) تشبيه (ب) كناية وكل منهما مطلق . ومرشح . ومجرد . (وتعريف المجاز عندنا كتعريفه عندهم وهو الاستعمال في غير الموضوع لعلاقة مع قرينة مانعة) . ومن ثم يرد كيف بعد التشبيه مجازاً ؛ والجواب عليه ليس بسير بعد إنعام النظر . فان التشبيه بأنواعه الثلاثة يصدق عليه أنه استعمال في غير ما وضع لعلاقة وهي وجه الشبه . مع قرينة وهي التصريح بالمشبه . وتتقوى القرينة بأداة التشبيه . ولكن بعد أن فهم في (القرينة والعلاقة معنى على التسامح)

فالتشبيه المطلق - هو المذكور فيه الأداة ووجه الشبه .

والمرشح - هو المحذوف منه الأداة ووجه الشبه .

والمجرد - هو المذكور فيه أحدهما .

والكناية المطلقة - تشمل . الكناية البسيطة كزيد كثير الرماد . والمجاز المركب مثل (أراك تقدم رجلاً وتأخر أخرى) .

والمرشحة - تشمل . المجاز بالاستعارة مطلقاً من كل كناية مبنية على تشبيه . والكناية المركبة مثل (ليس كئله شيء) .

والمجردة - تشمل . المجازات المرسلة مثل (إني أراي أعصر خمراً) كناية عن شدة وضوح الغاية وهكذا ينبغي أن لا يفهم من عبارتنا بالاصطلاح . انا نبقى عليه وفيه موطن العلة . بل كان الغرض منه توضيح كيف ترد مسائل علم البيان إلى هذا التقسيم . وإلا فالاصطلاحات التي يتم الاحتفاظ بها هي .

(الحقيقة . والمجاز . والتجريد . والتشبيه . والكناية . والمرشح . والمجرد . والمطلق حسب) وما وراها لغو من اللغو في سياسة التعليم .

(٢) من الوجهين - أن يقال . الكلام حقيقة وبجاز . وكل منهما . كناية .
وتجريد .
والكناية الحقيقية - تشمل الكناية البسيطة . والتشبيه . والمجاز المرسل .
والمجاز المركب .
والكناية المجازية - تشمل كل كناية انبنت على تشبيه . والكناية المركبة .
والتجريد الحقيقي - يشمل التضمنين النحوي .
والتجريد المجازي - يشمل المجاز العقلي . والمجاز بالحذف . والمجاز بالزيادة .
وكلا الوجهين منبئان على اعتبارات مختلفة لم نأت عليها اقتصاداً في بيان الفكرة .
واقصاراً على مقدار الاقتراح . وإذا أبدى المحيط العربي استمداده للدرس هذه
الأفكار بجد . بعيداً عن الهوى الثائر . أخرجنا ما تنف منه على مقدار الضبط والسهولة
في كل من الوجهين بل الدقة أيضاً في حصر مسائل الفن .

المعاني والبديع والنحو والصرف

سأتكلم عليها كلاماً مجزلاً وعاجلاً على مقدار اجمال العنوان . لأن ما تناول
من النواحي . اما يائنة صرفة كما في الاولين . واما لغوية على وجه الاعراب أو البنية
كما في الآخرين .

فالمعاني - لغة بمثابة المنطق في علوم المعقول . وتنقيحه بعدم درسه في كتب القواعد
كعلم . بل يدرس على نهجه في كتب الأدب كما نجد عند الجرجاني في (دلائل الاعجاز)
وعند الزمخشري في التفسير . بهذيب يتسق عند أخذه . في اسلوب مدرسي تخريجي .
وبهذا يكون أدخل في القدوق وأقرب مناطقاً بالنفس . وكذلك البديع

والنحو - صعوبته ليست في نفسه . وليس لأنه يحتاج إلى تكميل . أو من قص
يبدو في قواعده . فإنه بحق أو في المجموعة الدراسية التي أعطاها علماء الأدب وأصحابها
أيضاً . وإنما صعوبته آتية من أن الاجتهادات التي تمت عليه في خلال عصور عديدة
كانت تنضاف اليه بمجتمعة . بحيث يستوعبها الفن بدون تصنيف ولا ربط بينها . ومن
ثم كان كثره مجموعة اجتهادية لم تنفح ولم ترتب .

وعليه فليس يلزمنا فيه إلا أن تقتصر من علمه على أبسطه وأدخله في شائع الاستعمال دون ما وراءه . ونختار من مذاهب النحاة ما ينتهج وذوق العرب اليوم . دون ما نظر إلى كبير موافقتها للآثار الأدبية المحفوظة . مادامت قد عرفت لغة عربية . وحفظت على أنها كذلك لأنكر فيها ولا دخل . وبذلك ينسبك في شكل فنى . واسلوب تخرجى مدرسى . وطريقة تربية . والحق أنه كذلك واف بالمراد . وكافل للعناية التى يطلب من أجابا . وليس فى حاجة إلى زيادة درس فيما سوى تصنيف تلك الافكار وتأليفها على نحو يدخل فى (ميكولوجية التربية) وبهذا ينتقل اصلاح النحو من أن يكون لغوياً إلى أن يكون فنياً محضاً يعنى شعبة اختصاص أخرى .

والشىء الذى يجب أن لا يغفل عنه هو أن التصنيف المذكور ضرورى أن يدرس على ضوء القواعد التى أقررناها فى القسم الثانى والثالث من المقدمة وعلى بصيص التطور الذى أثبتنا أثره على العربية من كل الجهات . وهناك دعوة ترمى إلى إصلاح النحو على صورة تجعل قواعده كَيْفِيَّة . بيد لا أفهم لها وجهاً يجعلها موفقة .

وأما الصرف - فهو فى حاجة إلى التدوين مرة أخرى ويقتصر منه على أدخل مباحثه فى النحو كالنسب والتصغير والجمع . وما بقى من الاعلال ومثله يضاف إلى علم الاشتقاق . وسترى فى ابحاث المقدمة ما ينسفه نسفاً . ويلاشى اعتباراته المرسلة ارسالا .

المروض أيضاً :

المروض وان يكن وجه المناسبة فيه لموضوعنا ضعيفاً . حتى يبدو وأسبابه فى مثل خيوط الشعاعة . تناولته وقصدته بالحديث كما لو كان من أركان الموضوع . لما أنه من جملة أشياء العربية التى تستثار بالشكوى . ومهما يكن من ظروف هذه الشكوى وقوتها ومناسبتها . فالحق أنها فى هذه الفرع من فنون العربية حقيقة بالاثارة وجديرة بالاستماع .

فان المروض هو الفرع الوحيد الذى بقى لا يدين إلا إلى عمل واحد فقط . فنحن ندرسه على ترزم الحدود (التحليل) . وهو نتاج العقلية الأولى التى توفرت على

اختراعه . والخليل عدا عن أنه عمل منفرداً في شيء لم يسبق بلون منه . ينتشر انتشاراً واسعاً على ما للعرب من أدب شعري يقايسه ويوازنه ويحاكي بينه . ويستمتع لأذن دقيقة الحس ثم يجتهد بضبطه وتسميته . ويفرغ عليه كل ما به يأخذ صبغة الفن . . وهذا عمل مهمل قليل عليه . فانه واسع النواحي . وحب الجنابات يقتضى استقراراً في الرواية وتعاوناً على النظر . لا يقوم له الواحد .

وعلى أنى أنظر في الخليل أمة عبقرية . وجماعة مولدين ونسباً فذاً . فلا أستطيع إلا أن أحكمه بالشخصية التي لا يمكن أن تجيء إلا في أفاق محدودة . وكأننا لمس هذا أولسه بالفعل (السكاكي) في بحث الشعر من (المفتاح) فقال عبارة تنصف الخليل وتنصف الفن وتكبر من العلم والعالم .

« لا (١) يظن أحد الفضول عديم في الباب من ضم زيادة على ما حصروه ليست في كلام العرب . فضلاً على الامام الخليل بن أحمد . ذلك البحر الزاخر مخترع هذا النوع . وعلى الآئمة المخترعين منه من العلماء المتقدمين رضوان الله عليهم أجمعين . والافن أنبأهم . لم يكونوا يرون الزيادة على التي حصروها من حيث الوزن مستقيمة . والزيادة عليها تنادى بأرفع صوت

لَقَدْ وَجَدْتَ مَكَانَ الْقَوْلِ ذَا مَعَةٍ فَانْ وَجَدْتَ لِسَانًا قَانِلًا قَلِيلَ

إلى أن قال وهي أى استقامة الطبع المعلم الأول المستغنى عن التعلم . فاعرف وياك أن نقل اليك وزن منسوب إلى العرب لا تراه في الحصر . أن تعدفواته قصوراً في المخترع . قلعه تعدد احماله لجهة من الجهات . وأى قبيصة في أن يفوته شيء . هو في زاوية من زوايا النقل لا العقل . على أنه أن عد قصوراً كان العيب فيه لمقدمي عهده حيث لم يهتوا لامام مثله ما يتم له المطلوب . من مجرد نقل الرواة وبمجرد الاستظهار بذلك اللهم صبراً) .

فالخليل تفرغ بفردده لوضع الفن بكل ما فيه من اصطلاحات . وبكل ما فيه من شكليات معتبرة اعتبار القاعدة . فمن ثم كان عملاً غير هين . وعسلاً قد يترك

واضعه منصوباً بضبطه . يد أن النبوغ يَفْتَرَع الصفاً ، وَيَسْتَدِي الحجر . (كما يقولون) .
وهنا تتجلى عبقرية الخليل بكاملها حين بدأ عملاً وانتهى منه . فانهى في اعتبار الناس
كذلك . وان كنت تثر على اجتهادات للاخفش والزجاج وقطرب والمخاطمي فاتها
اجتهادات في الشرح فقط .

ونحن من وراء ما قدمنا نريد أن نصل إلى أن الخليل حين قرر ما قرر . لم
يقصد به أنه كذلك قضية حاصرة . وإنما يعني أنها ظاهرة فقط . وأظن بأن الفرق
بينهما واضح . وذلك لأن كونها قضية حاصرة . يقضى بعدم جواز الخروج عليه . وأما
أنها ظاهرة فتعني وصف ما هو واقع دون حظر أو تحكم . والفرق في أخصر عبارة
كالفرق بين التعليل والوصف .

وان كان قد أخذ عمله بعد ذلك على وجه الإلزام للشاعر بأن لا ينسكه . غير
ان الشاعر كان جوابه الصريح على هذا التحرج بلسان أبي العتاهية (أنى سبقت
الخليل) حينما قيل له في بعض شعره انه على خلاف علم الخليل . فقد وقع ان جاءت
عنده في الخفيف عروض مجزوة مخبونة مقصورة تصيرفيها (مستفع لن) إلى
(متفع ل) ونحول إلى (فعولن) وكذلك الضرب فيكون هكذا .

« فاعلاتن فعولن فاعلاتن فعولن »

قال ... « عُبُّ مَا لِلْخِيَالِ خَيْرِي وَمَالِي »

وكذلك ما استحدث من وقع المدق عند قصار وقال عليه .

« لِلْمَنُونِ دَائِرًا تٌ يَدْرُنَ صَرْفًا »

« حَتَّى يَتَقَبَّلَنَا وَاحِدًا فَوَاحِدًا »

وما أجدر كلمته أن يرسلها مثلاً . كل مجدد ملهم يقف منه المحافظون موقفاً حرجياً .
وما أجدر الشعراء أن يقولوا اليوم كذلك . أو يتخذوا كلمة أبي العتاهية شعاراً لهم .
على معنى أنهم فوق سلطان النقد من هذه الناحية التي تعني الشاعر قبل الناقد . ثم
هي من هبة على الادب . لا من هبة الادب عليه . ولقد كان هذا في قرارة الشعراء

على التواريخ كشيء هم أولو أمره . فهذا (المتنبي) لا يلتزم ما التزموه من وجوب
لقبض في عروض الطويل . على ما أخذه به الصاحب بن عباد في رسالته (الكشف
عن مساوي أبي الطيب) . وهذا (البهاء زهير) . يشذ كذلك في أبيات بحيث
لا يعرف لها بحر على ما ذكره (الصبان) في حد الشعر . وإن راح يتعمل بلزها فمن
بعض المجازي . بعنف .

وكذلك وجدنا الشعراء يفتنون دائماً - فكان أن استحدثوا المستطيل وما إليه من
الموشحات والقوما . إلى غيرها من الأنواع الكثيرة التي ذكرها ابن خلدون وغيره .
والذي لا ينكر . أنه قد عرى الجماعة ضرب من التحكم في بعض دراستهم أو
قصدها أن يأخذوا الموضوع بشيء منه . واليك ما يذكره السكاكي وفيه تلصص مانعني ،
قال في الكلام على البسيط من المفتاح ^(١)

(وعن الخليل أن العروض المقطوعة لا تجماع غير الضرب المقطوع والكسائي
يروى خلاف ذلك إلى أن قال وفي قصيدة عبيد بن الأبرص وهي
(أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ مَلْعُوبٌ)

كثير من هذا القليل . وهذه القصيدة عندي من عجائب الدنيا في اختلاف
الوزن . والاولى بها أن تلحق بالخطب كما هو رأي كثير من الفضلاء)
فقد عند قوله (الاولى أن تلحق بالخطب) ففيه الشاهد الصريح لما قرر .

واليك قصيدة ^(٢) النمر بن تولب العكلى التي يقول فيها
« صَحَا الْقَلْبُ عَنْ ذِكْرِهِ تُكْنَمَا وَكَانَ رَهِينًا بِهَا مُقْرَمًا »
« وَقَصَّرَ عَنْهَا وَأَبَاتُهَا يُدَكِّرُنُهُ دَاءَهُ الْأَقْدَمَا »

وهي تصح من المتقارب الثمن المحذوف الضرب والعروض . الذي اقتصروا فيه
على العروض السالمة وهكذا مما تلصص نقصه . وعلينا أن نحرر من أمره ما يتساق مع
مطالبنا . ويتسع لها وينهض بالادب .

(١) ص ٢٨٢ (٢) راجع مختارات ابن النجيري ج ١ ص ١٦

ونحن من اعتبارات الاوائل بين ما يبيح لنا هذا الاخذ . فقد ذكرنا في حد الشعر انه القول الموزون دون زيادة قيد (على نهج مخصوص) . مما يعلتنا بأنهم لا يتخرجون من قبول النظم على غير الموازين المحفوظة . أو عليها مع تغييرات في الضروب لم تحفظ . ولا يستضيئون من اطلاق كلمة (شعر) عليها وان خرجت على مألوف ما أثر . ويؤكد هذا قول السكاكي حينما عرض لتعريف الشعر قال (١) (ومذهب الامام أبي اسحاق الزجاج في الشعر انه لا بد من أن يكون الوزن من الاوزان التي عليها أشعار العرب . وإلا فلا يكون شعراً ولا أدري أحداً تبعه في مذهبه هذا) . . .

وعليه فلا مانع من أن نعمل بمجد في هذا السبيل . وأن نأخذ بقصد وعزيمة . . . وإن أبي علينا جماعة من الناس هذا النهج . فما أجدرنا أن نترك لهم كلمة (الشعر) ومجموعة أوزانه المحفوظة . ونعتمد في شأننا مذهب الامام أبي اسحاق الزجاج . من أن الشعر لا يقال الا لما هو جار على وزن من أوزان العرب . ونسعى مانعنا اليه من التحال . اسماً غير الشعر إذا كان كل ما في الأمر تغيير الاسم . ومن ثم تطلق للأديب الحرية بحيث يتسنى له افراغ ما يريد به بكل مطاوعة ومواتاة . . .

ويستوى هذا القصد عندنا في أن تقسم الكلام الموزون إلى شعر . ونظم . والشعر - ما جاء على وفق ما حفظ عن العرب الأولين في أوزانهم وضروبهم . والنظم - ما جاء موزوناً على غير ما حفظ عن العرب . وهو مباح للأديب ما دام صحيح الموسيقى لا تبين في مقاطع ونبراته وهو على قسمين . . .

(١) نظم يأخذ منهج الشعر ويتقيد به . ولكن يتحال باجراء التغييرات مطلقاً في كل بحر مادامت معروضة لتفعيلاته . ولا تخرج بالبحر عن جرسه . ولا يتقيد بوضع تكون عليه العروض في البيت أو الضرب . بل يتحرر على نسق ما رأينا عند أبي العتاهية في الخفيف . وتجد شواهد في كثير من الشعر الذي مثلنا به في المعجم . واليك قطعة من قصيدة (٢)

« خَلِبَ الشَّيْخُ عَلَيَّ حُنُكْتِهِ بِدِهَانٍ وَطِلَاءٍ وَرَوَاةٍ »

« ظَنَنْتُ مَعْنَى الْخُلْدِ فِي غَضَنِ الْحَيَاةِ وَنَجْتُهُ مِنْ خُلْدِهَا الزَّاهِي السَّكِينَةِ »

فأنك لو أخذت العروض في البيتين لوجدت بينهما في وزان تفعيلة العروض
اختلافًا لا يصح في نهج الشعر . فالأولى . محذوقة . والثانية محذوقة مزالة . . . واليك
مثالا من قصيدة ^(١) على الخفيف ليتضح عليها الغرض .

« إِنَّمَا بِسْمَةِ الْحَيَاةِ أَمَانِيْ فَأَعْظِمُ بِسْمَةِ الْآمَالِ »

« فاعلان . متفعّلن . فعلان فعلان . متفعّلن . فاعان »

« يَا مَلِيكَ بَدَتْ طَلَأُكَ الْغُرَاءُ فِي مَجْدٍ أَعْظَمَ اسْتِقْلَالِ »

« فاعلان . متفعّلن . فعلان فاعلان . متفعّلن . فاعان »

« عَلِمَ فِي الْجُنُوبِ قَدْ ظَلَّ الْأَجْيَالُ زَيْهًا وَآخَرُ فِي الشِّمَالِ »

« فعلان . متفعّلن . فاعلان فاعلان . متفعّلن . فعلان »

وبمقايسة ما صارت اليه التفاعيل من أبيات القصيدة يتبين لك مقدار ما قصد من
الأخذ الجديد . الذي يتسع بالاعاريض اتساعًا لا يخرج بها على سنة البحر ولا يغير من
موسيقاه ولا جرمه . بل ربما كان إلى بدائه الأذواق أقبل من بعض الزحافات التي
قبلوها لشعراء سابقين . من مثل ^(٢) ما ذكره الأُمدي في شعر أعشى بن النباش التميمي .

« وَبِلْ أُمِّ بَنِي الْحَبَّاجِ إِنْ نُدِبُوا لَابْجُلَ فِيهِمْ وَلَا فِي الْخَصْمِ إِبْثَارُ »

وقويح (ويل لأم بني الح)

وكذلك نجد الجماعة تقرر في زحاف الخفيف . ان التشعيث يجري في فاعلان
الضرية والعروضية . ولكن مع التصريح لا غير . واختلفوا في كيفية إيقاع التشعيث .
وهكذا . مما تجد في القصيدة المثبتة مجاوزة شأنه وخلافه . وإنما قيدناه بالنظم الشعري من
حيث هو جار مع أوزان العربية بازاء تام إلا في تعميم اجراء التغيرات على الشرط
السابق من عدم الخروج بالبحر ولا الاخلال بالتوازن الموسيقي . كما يظهر من عمل
أبي العتاهية على الخفيف . فعندهم التشعيث لا يجري في بعض البحور . وعندنا يجري

(١) هي قصيدة الاهداء الى جلالة الملك التي توجناها الكتاب

(٢) المؤلف والمختلف ص ٢١

في كل وتد مجموع من أى بحر وهلم جرا . ونعني بالتجاوز والخروج أن يجمع في القصيدة الواحدة بين بيت تام وبيت مجزوء . أو التغير بحيث ينقل البيت من بحر إلى بحر آخر يداخله على قرب . ومن ثم نعرف ان المحذور هو هذا فقط . وما وراءه من لزوم للعروض في القصيدة أو للضرب أو للتنغيلة على وجه فيما لا ترى أمره . حتى ولو كان بين البيتين في العروضين . حذف وكف ككل ^(١) (شعر)

« وَفِيهِ افْتِدَاءٌ حُقُوقٍ غَدَتِ تَنْثَنٌ بَلِيلٌ إِذَا مَا اغْتَرَمَ »

« وَفِيهِ نِدَاءٌ يُصِمُّ يَرْوِعُ ظَلُومًا غَشُومًا إِذَا مَا اخْتَكَمَ »

« وَفِيهِ نِدَاءٌ أَيْبَا الظَّالِمِينَ رُوَيْدًا رُوَيْدًا فَلِلْحَقِّ يَوْمٌ »

فانك تجد بين عروض الأول وبين عروض الثاني والثالث مخالفة . إذ الأولى محذوفة . والثانيتان مكفوفتان . ولا وجه عندى لمنعه . وإن كان الأكل التزام التغير على أى الوجوه ولو في التنظيم .

(٢) التنظيم الجارى على ابتداء واختراع ككثير من أخذ شعرائنا اليوم وفي السابق . فالمستطيل يقال له تنظيم ولا يقال له شعر . وكذلك الموشحات . ومن ثم تجد كيف اقتصرنا باسم الشعر على ما كان بالوفاء التام على أوزان العرب وبمجردهم . أو بعبارة أدق بالوفاء التام على أوزان الخليل وبمجردهم . لأننا لانستطيع أن نحكم العرب بعمل الخليل الذى لابد أن يكون قد أتى قاصراً عن الاحاطة ببعض الشئ

وأرجو أن أكون أوضحت بهذا . منحنى قد يجد الشعراء عليه سهوله تحقق بعضاً من أهدافهم . فلا يعالجون من الشعر كما يُعالج من علك الشكيم . وأنا أعرف أشخاصاً عندهم مري من الألهام الشعري فعدوا عنه لاعتياصهم بالشعر على فنيته المقررة . وهذا الاعتياص شمل كل شاعر مما اقتعد . فقد حدثني بعض من لغويينا هناك في لبنان . بأن الجزء الاول من ديوان المرحوم أمير الشعراء (شوقي) في الطبعة القديعة . مملوء بالأغاليط العروضية .

وفي الحق لا أرى أفضل من اعتماد رأى الزجاج . وبه تتمكن من احلال ماتريد محل الاعتبار حتى من جماعة المحافظة المستدقة .

(١) من قصيدة لنا بنوان (ذكرى طاشوراء محرم)

« داء العريية ودواؤها »

« أو تخصيص الموازين »

ليس ما أحاول هنا عملاً من تلك الأعمال التي قد تكون هيئة المطلب . ولا عملاً بركب الخاطر الشارد في جذر الدهر ومد الفطرة الأولى . وتأتي نتائجها على نسق من التقدير المرسل . فإن ما عمله وأريده مجتهداً . هو شيء خلاف التقدير وغير الخاطر فهو لا يتناول اللغة في تاريخها . ولا الفكرة اللغوية من حيث خيالها على اللغة . وإنما يتناولها في مقدار قرارها بين أشياء المستقبل المعتم . ومقدار ثباتها في جانب الموجودات الحقيقية . التي لا تقبل إلى جانبها موجوداً ليس منها وليس له ذلك النصيب من الحقيقة الذي يحفظه . وإنما كل ما فيه من معني الوجود انه كان فقط .

ولذلك فهو موجود غير متماسك . حيث تكون الحياة فيه على انفصالات . وفي أطراف غير متواصلة . ومن ثم كان الاخلاص عند رجال اللغة يدعوم إلى الأخذ في مذهب آخر أكثر جدية . يمكن أن يركن إليه وتكون به اللغة . فإن عمل اللغويين في الفترة الماضية . لا يبدو أنه برهان على قدرتهم اللغوية وعدم عجزهم المسيطر فقط . وأما اعداد اللغة للوجود بين متنازع الحياة ومعتك البقاء . فهذا ما لا أظنهم يستطيعون أن يزعموا بصراحة أنهم فعلوه . وربما كانت مثالة عملهم كقلب السعادة الذي يجمعه الساحر من كل قلب وما هو في الحقيقة الأمزاق قاذية من كل قلب .

وأنا أعدو هذا الآن لأخذ في مذهب الجدل الذي أراه . واجتهد بتقريره وأدعو الناس إليه في جرأة وصرامة . وإنما استجيز هذا المنطق الصارم . لأن الناس لا يزالون يتمسكون بأوليات . يزعمونها . لم ترق في يوم من الأيام إلى العنان فضلاً عن رتبة العلم فالضرورة . والتي جعل لها هذه الأولية . مزاولة درسها والنصب على تعاطيها بدون مناقشة لها ولا تردد في قبولها . وهذا شأن كل دراسة مهما كان نوع صحتها . ومهما كانت نسبة العقل فيها . ولعل أقرب مثل لهذا ، التقييم المنبني بدون شك على اعتبارات تجريدية وضوحية فقط . ومع ذلك نجد من الهنديين من لا يجرؤ على الشك بنتائج

ولا يسمح لنفسه أيضاً في قرارة الضمير أن تتساءل عنها . على أننا أصبحنا اليوم وجهاً لوجه أمام المذهب العلمي الذي يأخذ كل شيء على أنه في حاجة إلى الدرس مرة أخرى . ويتساءل ما استطاع في صدق كل هذا . وبعبارة أحصر أمام المنحي العلمي الذي يتبدى كل تفكير . وبحق كان (ماركوني) مديناً للجرأة في هدم الأولية الطبيعية التي حالت زمناً دون تقدم اللاسلكي . .

واظن قد آن لنا ان نتحلل من مسحة التفكير الصوفي (سلم تسلّم) . لان السلامة أصبحت في شيء آخر يبعد اشد البعد عن التسليم بأي معانيه . فقد أصبحت اليوم في ضد ذلك الشيء . الذي غير الناس على تسميته بالفضول . فالعلم اليوم يفرض الفضول . ويفرض ان يكون كل عالم بحق فضولياً ويفخر بهذا الفضول الذي هو ضمانه التصحيح العلمي .

على ان الهمد برجال اللغة الاولين عدم هذا الركون الذي تأخذ انفسنا به . بل ونحملها عليه حملاً فظيماً . فقد حدثنا ابو البركات ابن الانباري في (نزهة الالباب) حيث ترجم لشيخه ابي منصور الجواليقي . كيف كانوا يناقشون باستخفاف بالغ اية فكرة حول مسألة لا تشرحها . وانما تتكلف فيها ما لايسهل التسليم به . فهو يذكر لنا كيف اعتمد شيخه ما ذكره ابن دريد في (ليس) وان اصلها (لا ايس) . وكيف انبعث ابن الانباري يناقشها عليه في سخرية لاذعة .

هذه الحكاية على كونها طرفة او نادرة ترينا منحي من فقه اللغة في سير الدراسات الاولى التي لا تخرج في مجموعها عن كونها التماسات مجردة . ومن ثم قالوا (النكات لا تتراحم) . .

ومن وجوه الضعف فيها ايضاً الاجتهاد بتعليل كل شاهد على حدة . بدون اية ملاحظة صومية . ومن ثم انتهت بهم دراستهم الى ما انتهت اليه من عدم التلاؤم وزاد فيها هذا المعنى . حينما ظهرت حاجة العربية الآن الى ما لم يكن لها به عهد فوقفت على معنى الحرون لانه اخذ لا يلائمها فاعتاصت عليه .

وجملة ما نكثر من الحديث بين يديه . ان تكون نظرتنا الجديدة في درس

العربية نظرة اقتصادية محضة تعمل على الاستثمار وحده . وان نجتهد في الاستفادة من الموجودات التاريخية في غير ما نتركها دُمى او عاديات او شواهد قبور . فان الاحتكام بمنطق السماع يجعل مخلفات العربية شيئاً من هذا القليل فقط . لا فائدة فيه اكثر من انه ثروة من التاريخ . واذا جاوز وضعه التاريخي . سقطت وسقطت قيمته واعتبر كالزيقات التقليدية تصادر وتطارد بين هنا وهناك .

وسبل الاستثمار عندنا يقع في نحوين .

(١) توحيد المعاني في المادة الواحدة . ونعني بهذا جعل كل معانى المشتقات مزيدة او مجردة من مادة . معانى للمادة . مما يصح معه اشتقاق المجرد من المزيد الذى جوزه الشاطبي وغيره . ومن ثم تكثر الوحدات المادية . للمادة الواحدة . وقد أريناك شيئاً من هذا عند العرب ودللتنا عليه في غير هذا الموضع من المقدمة . وفي اللغات الحية الاخرى مما يكون له اعتبار المذهب اللغوى العام . على ان هذا قد وقع في ملحظ الامام ابى اسحاق الزجاج حين قرر^(١) في كتاب (الاشتقاق) ان كل لفظين اتقا ببعض الحروف . وان نقصت حروف احدهما عن الآخر . فهما مشتقان فكان يقول بان (الرَّجُل) مشتق من (الرَّجُل) و (الْعَقْل) مشتق من (الْعَاقِل) وهذا كله بحسب ظهور المعنى ووضوحه بين المشتقين .

ولقد نص رجال اللغة باشتقاق العرب . مثل مذكوم من ازكاه ، ومقرور من اقراه ، ومكروز من اكزه ، ومغموم من اغمه ، ومحموم من احمه . فلا مفر من اعتبار الوحدة المادية لتوسيع باب الاشتقاق . وهو اعتبار من صميم اللغة وروحها في غير اعمال ولا افعال . ولكي يبقى هذا كشيء له وجه صحيح . يجب ان نجيب على سؤال . وهو اذا سلمنا ما يقضي به توحيد المعانى ووضعناه موضع العمل على سنة الموازين المخصصة . فسيكون من المفرد الواحد عدد كبير من الكلمات على عدد الموازين . ولا يخفى ما يكون من تداخل بينها مع الاختلاف المعنوي طبعاً . او لا فيكون الوضع تحكيمياً . والجواب باختصار الشق الثانى ولا ضير فانه من السنن اللغوية التى تتفق على تبين

(١) راجع معجم الادباء لياقوت ج ١ ص ١٤٥ و ١٤٦ .

ما بين اللغات . . فلو اخذنا مادة (سَفَح) بمعنى صب الدمع و (سَفَح) بمعنى وجه الجبل . وجعلنا هذين المعنيين وحدثنا اشتقاق راجعينا عليهما الموازين ذات الخصوصية . لزم ان يكون معنا (سَفَح) بمعنىين على حسب الوحدة المادية . وعليه فتعتمد الى التخصيص الموقوف على التحكم . والاختيار الارتقائي المجرد دفعا للاشتراك . .

(٢) تخصيص الموازين بمعان وتأديات تقوم بها مقام اللواحق في الأجنبية وهذا سبيل لا مفر منه . ما دامت العربية من اللغات الاشتقاقية لا التركيبية . فلا بد من أن تنفي الصيغة فيها غناء ما . وتراد لارادة بعينها . ويرى المتبع لكلمات العربية انها قد أخذت بعضا من هذا الأخذ في صيغ بعينها سيمر بنا تعدادها والكلام عليها في فصل (تعليق واستنتاج) . ولكن لم تماثل فيه . فظل أثره كأخذ محدود

وهذا في نظري شيء . قد كانت العربية على دراك له . لولا أسباب إقلاية مفاجئة وقفت بها عند حد مانراها مسطورة في غضون الكتب المعجمية . ومن ثم أصبح حتما علينا نحن اليوم أن نقوم بهذا العمل عمل تخصيص الموازين . واحلالها لتأديات بعينها قارة . ومن وجه آخر نطلق سبيل الوضع عليها . والاشتقاق وفق ابنيتهما من أية مادة . وإلا فأي معنى في قرارة وجدان العربي لتخصيص وزان (فَعْفَعِيل) مثلا بمرمر يص . ووزان (فَعْلَمَال) بمحلباب . دون أن نقول منها حَسَحَسِينَ وحَسَنَسَان إذا ثبت أن لا امتياز لمادة عن مادة . وأما امتياز التعدي وال لزوم فسيأتي الكلام عليه . وبيان وجهه والأسباب فيما يظهر لنا أنه مذهب العرب .

ومن الشطط في البحث إذن . أن لاروم ما كان يراد وأن لاتقول من فمفعيل الامرمر يص وهكذا . بل ضروري أن نستفيد من هذه الموازين الكثيرة الوجة كما استفاد العرب منها . على مقدار الحاجة الذي هو التعليل الصحيح لعدم وجود الأمثال أو مثالين من الوزان . عدا عما اضاعه الرواة وفات المعجميين .

وأنا لا أفهم شيئا وراء هذا من تعاليل تروح هكذا ملتوية حيرى . وكيف أستطيع أن أفهم خلاف هذا وفيه وحده ثروة العربية وروحها الوثابة . مما يضمن لها

حياة ثرة في غير تخاذل ولا وهن ولا ضعف . وتعود من قوة حيويتها كما كانت تسيطر على مطلق الأفكار . وتذهب مع شتى التصورات مذاهبها من الدقة والاحتمال ولا تضعف أو تلين لشيء من الآثار المنتشرة بين ضمير الكون وحسه . ولا يلحقها رَهَق ولا مَعَجَزَة في هضم وتمثيل علوم وآداب الأمم المختلفة . بينما تكون حافظة لشخصها رغم ما حُمِل عليها وما تمثلك في وجودها .

والحق ان دراسة هذه الموازين من الصعوبة بمكان . ولكنها في الوقت نفسه طريقة ايماطرافة وهي توضح من سير الاشتقاق في العربية وسنة التفريع . وسر الزيادة وان كان على شيء من الغموض ايضا نظرا الى ان النصوص التي بين ايدينا اليوم لا نفي بكل المقصود من المرس . فهي لا تحتفظ بشيء زائد عما يسمى بالمعاني المطلقة أي لا تحتفظ بخصوصيات هذه المعاني حتى يتأتى لنا درك الملحظ الاعتباري الزائد في الوزن الشكلي . بيد أنها تكشف في الحين نفسه عن أنها خضعت لتطورات كثيرة لبُدت فيها الخصوصيات الزائدة حتى لم يبق لاكثر هذه الزيادات الا دلالات مبالغية فقط واليك (وزان فعّال كخطاف وفعّال كقذاف وفعّال الذي منه جلواخ الخ) مما لو ذهبت تنبئنا تنقص أمره لوجدت دلالات متفاهمة ومعان متصاقبة . لا تباعد بينها الا في اعتبارات قد لا تكون ملحظ العربي ابدا . والشيء الآخر الذي يعتبر التقصير فيه أبلغ . ان الكلمات التي جاءت على هذه الموازين لم تحتفظ لنا في استعمالات وشواهد يمكننا أن نطمئن اليها .

ونحن رغم هذا التقصير اجتهدنا في استخراج معان قارة وثابتة لها . بعضها من لطائف الاستعمال . وبعضها من التشخيص المادي . وبعض أخذنا فيه بالتحكم العلمي في مواطن الاصطلاح . وما هذا بغريب عن اللغات حتى التي تبني انبناء تركيبيا سهل معه إيجاد الملاحظة بصورة وافية . فلم يكن اذن مقابلة اللاهجات الكيميائية شيئا يمكن استنتاجه على مقارنة بل بالتحكم المحض والاصطلاح وحده . ولا خير في هذا ما دامت الكيميائية نفسها تبني انبناء اصطلاحيا حتى في الاحنية نفسها .

والواقع أن السبب الذي نضطلع به من هذا . ليس باليسير الهين بل يثقل الى حد الارهاق ويطلع دونه . وهو حري بهذا فانه يقتضي نقوداً الى ضمائر الالفاظ وهي مستدقة .

وأنا بعد ذلك لا أنزلها منزلة أكثر من أنها أفكار لها نصيب من الجهد . تدفع بالعربية في طريق معبد . يزداد مع الجهود المجموعة المستتعة تعبيدا . ولا أظن أى دارس منصف يرى فيها قرى على العربية . بل القرية الحقيقية فى أن تقف بهذه الموازين على المقدار الأثرى فقط . والقرية فى أن تبقى دراستا صادرة عن (أى كذا خلقت) هذا الذى كرم العربية فى شتى أوقاتها . وجعلها حتى فى أحصص جهود دراستها . لا تخدم مجتمعا فى شئ . ولا تصوره ولا تلون على نسق منه . والسبب فيه هو ما قدمناه من درس العربية على النحو المذكور .

ولقد يتعاطاك العجب حينما تتولى تأريخ الأثر اللغوى . فى جنب الحضارة الإسلامية فلا تجده الا نذرا أو لا تكاد تعثر له على أثر . إن فى لغة العلم أو الفن أو السياسة أو الإدارة . ونظرة واحدة نأتى بها على مثل كتاب (صبح الاعشى) للقلقشندي وديوان الرسائل للصيرفى و (رسالة الديوان) للأسعد ابن ممانى . التى الفت لتصوير الحياة الإدارية . وجانب من علم الدولة . تكفى للاقتناع بتخلف اللغة وعدم خدمتها لشيء . ما من أشياء الحياة الجديدة . سواء فى جانب الجد أو الهزل . هذا الجانب الذى يشمل على الطرف السار المرح من تطريات الحضارة ومباهجها .

وكبير جدا هذا التخلف الذى نشهده . فان لغة كالعربية امتازت بالسعة فى مذاهب البيان . والتفصح فى جنبات القول الى حد المعجزة . تقف على هذا الشكل عن تناول هبات الحضارة . يبدو عجيبا .

وليس لهذه الظاهرة التى تناقض طبيعة اللغة . وتناقض مرونتها المعهودة . حين كانت تنسج لكل الأشياء ولادق الحوارج . بين الانسان والانسان . وبين الانسان وعواطفه وبين الانسان والمجتمع وبين الانسان وكونه الا تحليل واحد هو عدم فهم قدامى اللغويين . مذهب العرب ومعتولهم فى اللغة حتى اضطر الادباء والناس من ورأهم الى تناول الأشياء على ما هي . لان التقدم سنة الطبيعة يشمل كل شيء على رغبة والبيان سنة الانسان التى تلازمه ولا تنفصل عنه . ومن ثم خضع حتى اللغويون فى النهاية لتناول هذه الأشياء واستعمالها على علائها . بدون ما تشذيب فيها . ولا تغيير لما هي عليه من الشكل .

وهنا استطرق بذكر قصة مؤلفة من بعض الوجوه أوردها أبو بكر الصولي قال (١)
(ناظر فارسي عريا بين يدي يحيى بن خالد البرمكي فقال الفارسي ما احتجنا اليكم قط في
عمل ولا تسمية . ولقد ملكتم فما استغنيتم عنا في أعمالكم ولا لقتكم . حتى ان طيخكم
وأشربتكم ودواوينكم وما فيها على ما سمينا . ما غيرتموه كالاصفنداج . والسكياج .
والدوغياج وأمثاله . وكالسكنجين والخننجين والجلاب . وأمثاله كثيرة وكالروزنامج
والاسكدار والفراونك ومثله كثير) فسكت عنه العربي فقال يحيى . قل له اصبر حتى
تلك كما ملكتم الف سنة بعد الف سنة كانت قبلها . لا تحتاج الى شيء . كان لكم

هذه القصة التي تنطوي منها على وخز ضمير وألم مرير . كل المسؤولية فيه والتبعة
تقع على كاهل هؤلاء الذين وقفوا موقفا حرجا غير مرغوب فيه كما يقولون . وكانت
الجماعة ذهبت في العربية أنها لغة لا تنسب الى عربي الفالوذج والاوزنج . كما تنسب الى عربي
الشيخ والقيصوم . بل هي ثروة خلفها عربي الجزيرة فهي وقف عليه . وهذه الثروة في
عدد محصور محدود من الكلمات طبعاً . فلذلك ينبغي أن لا يتجاوز بها رقم هذا العدد .
ويدل على ما نقول من هذا الظن . اختلاف الجماعة في التعريب وحدوده . فان أولئك
الذين كانوا أكثر مزاولة للحياة في حدودها . وخوضاً في شؤونها الدائمة كانوا أرفق شروطاً
وأكثر اقتصاداً . وبالأخص حينما وجدوا الحاجة ماسة اليه فقرروه (٢) في معالم واضحة
على أشد ما تكون وضاحة وجملوا كل ما جرى به اللسان العربي على أوزانه من غير
العربية . عرياً ومنهم الأزهري .

وآخرون وهم الذين كانوا يقيسون الحياة على مقدار مقعدهم من حقة الاملاء .
وينظرون الى دهرهم من وراء معلقة امرء القيس ومن اليه . منعوا التعريب على غير
العرب ومنهم ابن فارس .

ولكن يا هؤلاء اذا كانت العربية لا تتناول من شؤون الحياة ما نحب ونشعر به .
وتقف دون البيان عنه بأي لفظ من أية لغة فهي جذيرة بأن لا تكون الا في متحف

(١) ادب الكتاب ص ١٩٣

(٢) لا يخفى من كلامنا اننا نقرره كما قرروه فانه سير بك راينا في التعريب واننا لا نقره في
شيء ما من اسماء المعاني باطلاق القول وفي اسماء الاشخاص (الاعلام) تجربته على قواعد
مخصوصة راجعها في بحث التعريب من القسم الثالث في المقدمة .

يكتفى الناس منها بالنظر اليها . وأُراني غير مطمئن الى أن الجماعة تقرر فكرتها على مثل هذه الغاية . ولكننا نعني شيئاً آخر هو ما سبق لنا أن تكهننا عنه . وهو أن الجدير بكلمة العربية . هي مجموعة الكلمات التي توضعها المعاجم بالنقل عن لسان العرب قبل أن عراه ما عراه . وهذا الوضع الخرج الذي وضعوا فيه العربية . الحق بها فيما أرى نتائج كأشوأ ما تكون نتائج ومن أهمها :

(١) قصور العربية عن تناول مقتضيات الفكر . ولا ادل على هذا من عرض مجموعة كلمات الاصطلاح في العربية . فانك واجد في الشعبة المنطقية كلمات (المادة . والجهة . والموجهة) . وقد ذكروا في تعريفها أن كيفية النسبة في القضايا (مادة) . واللفظ الدال عليها (جهة) . والقضية الواقع فيها هذا اللفظ (موجهة) . ثم خذ أي كاتب كالسعد ومن يعنون بآثار مثله كمبد الحكيم والمطار في حواشيه على التهذيب والشمسية . فانك تراه ينشرون تساؤلاً عريضاً عن سبب تسمية الكيفية مادة . وهم يحقون بهذا التساؤل الذي لا يفرغون الى اليوم من جوابه . وان كان الاعتذار ليس بحل من الاعجاز . وهذا الغزالي في (محك النظر) يرد اصطلاحهم في التصور والتصديق ويسميه معرفة وعلماً على أن هذه في جميعها لا ترجع من أية طريق الى جهود اللغويين أبداً . وإنما تدبر لعمل العلماء فقط .

(٢) جهود اللفظ في معناه فلا نجد على مرونة ولدانة كما يجب أن يكون . بل تشعر بأنه يتأرجح على نفسه . وينكمش في طبيعته . حتى يعود اشبه شيء بالحصاة مهما تهاذفتها السيول تبقى كذلك حصاة غير متحركة شكلاً ولا اعتباراً . ومن هنا أنهم بعض مستشرق الافرنج . اللفظ العربي بأنه (اكاشيه) لا اكثر وسمى العربية (لغة الاكاشيات) وجره الى انكار ان يكون في العربية ادب بالمعنى الصحيح .

(٣) نشوء العامية . ولقد يرى عجيباً أن أعد تشدد اللغويين لغة هذا التشدد . جر الى نشوء العامية . أو كان الأثر النعال اليها . ولكنني على ما يرى من عجب . فأؤكد به بصورة لا قبل الريب . وذلك لان الوقفة على هذا الشكل الذي لا يكفل حاجة الناس ولا يهبر عن أغراضهم اليومية . وهي لا تنفصل عنهم بحال . أولاً يتأتى لهم أن ينفصلوا عنها بأي وجه . جعل العامة يهجرون تبعاً هذه اللغة التي للخاصة رغم أنها

لغة التشريع والابتهالات . ورغم أن العامة لا نهجر عادة اللغة التي يتميز بها الخاصة إلا لأسباب ماسة لها حدتها ولها عنفها . والا فالعامة من الوجهة النفسية تميل جدا لهذا النوع من التقليد وتميل إليه حد الفتنة .

فالانصراف الذي نلمسه في العامة . قد كان اذن لأسباب لا يحقر أبدا شأنها . وكيف نمحقر وقد سببت انصرافا عاما . ولقد أؤخذ بان هذه النتائج التي اربتها تصح اذا سلم أن العامة كانت عن الانصراف المذكور . ولم تكن لأسباب أكثر وضوحا من الدخيل والامتزاج . ولكن الواقع يقرر أن الدخيل وما إليه . لم يكن بذى بال الا في الاعراب . والاعراب ليس وحده فارقة اللغة وميزتها . وربما كان أقرب الى الظاهرة بمعناها الصحيح . المفردات المتخيرة المنتقات . التي تشتمل عليها لغة الخطاب . ولعل غير بعيد أن تكون عامة اليوم أفضل بكثير من عربية القرون التي تقع بعد القرن العاشر . ولنا على هذا أوراق ثبوتية لا تزال تنطق بصراحة . وهناك نتائج يطول تعدادها . وأعتقد بأنه لولا غلبة العربية بحكم غلبة السلطان ولولا ضيق النطاق العلمي بحيث لا يتجاوز محيط العلماء لضج أولئك العرب كما نضج نحن العرب . وما ذلك من طبيعة اللغة ونحن نشهد مقدار ما هي عليه من السعة يوم كانت اغراض المتكلمين محدودة . حيث الجاهلية حقيقية . مما يصح معه ان تقول بأن العربية القديمة كانت اسمى من تفكير العرب القدامى . ونحن العرب اليوم نغار على العربية . من أن ننظر اليها نظر سالي اللغويين . وان كنا نعذرهم لان غرضهم اتجه الى وجه واحد وهو حفظ العربية من ان تأتي عليها الألسن الشتى . ونجتهد ونحن ورثة العرب الأولين أن نحقق كوننا خير خلف . وأن نعمل بملء اليدين . وجمع الكفين كما يقولون لاستثمار هذا التراث . دون أن نتركه على وضعه الذي كان عليه . ونكون مع ذلك أكثر صيانة للغة . وأكثر فحفا لمقول العرب فيها . ولذا كان من نابهي اللغويين الذين يفسرون اللغة على مقدار ما تستوي مع الحياة . مجاهرة بان اخذا من هذا القليل اصبح لازما . واول من اذكر له صرخة جريئة وحكيمة اللغوي المأسوف عليه ظاهر^(١) الشويري .

(١) هو من لغويي لبنان . وضع عدة رسائل منها (رسالة مفعلة) ورسالة تعقب فيها اخطاء القاموس ورسالة الجمع النواجم في اللغة والمعاجم ضمنها بعضا من افكاره الجريئة . ويستاز بالهدوء العلمي في درس ما يدرس . وقد وضعها كقدمة لمعجم المأسوف عليه جرجس همام الشويري

ولقد لخص جملة افكاره في عبارات نوردناها هنا على اقتضاها قال بعنوت تليها
(١) يجب أن يجعل متن اللغة قياسيا .

(٢) يجب أن قول بقول ابن السيد البطليوسي في الاقتضاب وهو انه لا يقال
بالشدوذ ما وجد له وجه قياس

(٣) أن قول بقول المازني كافي الاقتراح وهو أن ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم
(٤) أن قول بما في مادة (حلف) من المصباح . وهو أن عدم السماع لا يقتضي
عدم الاطراد مع وجود القياس .

ولشدة خطورة الموضوع من وجه . ولما احمل من موجدة على الدراسات البتراء
التي تعبدها في غير ما مبرر حكيم . تذهلني المناسبات ونحتكم بي على مقدار أن انتقل
اليها بالموضوع .

وبحسبي من حديثها ما ذكرت لانتقل الى درس فيه تفصيل على الموازين . وان
كنت لا أرى في موضوعات العرب عليها فوارق حملت الواضع على اختصاصها . الا اذا
صدق الظن الذي تقدمنا به من أن الفوارق تلبدت على مد التطور وغابت عن متناول
الرواة . وقد يقوى هذا الظن أن تكون آخذة شكلا تقنيا^(١) . على منحنى موزون
خذ (فعْفِيل) الذي يظهر أن أصله (فعِيل) و (فعَلَيْت) الذي يرجع الى (فَعَلَ)
و (فعَلَيْن) كذلك وهكذا مما سنأتي على ابداء الرأي في جميعه . باعتماد المقارنة
التشاكلية . وان كنت أقطع بأني مع هذا لا امثل تمام معقول العربي فيها ولكنني اطمن
اليها على أي الأحوال .

والملاحظة التي لازمتنا في دراسة الموازين . أن العربية كانت تصدر عن لواحق
تزداد على الوزن اذا أريد لافادة معنى اللاحقة زيادة على معناه . بدليل السوابق وما لها
من المعنى المعتبر في العربية الشاهدة كسابقة (أَسْت) في (استفعل) التي تفيد الطلب
أو الصبرورة أو العد . وأظن بأن هذا يقطع عرق النزاع كما يقولون من انه كان في العربية
سوابق ولواحق لم تتوضح تماما عند قدامى اللغويين .

(١) كلمة من وضعنا الجديد جعلناها ترجمة لكلمة (technical) واصلاها من مادة (تقن)
العربية التي جاءت بمعنى الطبيعة والموافق من كل الجهات .

وكنا سنذهب إلى تقرير هذا الذي وضع لنا واعتبرناه ظاهرة ليس فيها شك
يد امتنعنا منه لشئيين .

(١) أنها خطوة واسعة تشبه الطفرة التي لا تخلو عقاً يلبها من بعثرة وفوضى
مستطيرة . وليس ذلك من عدم صدق النظر . وإنما من عدم سلامة التطبيق من وجه .
ولندرة الأمثال المحفوظة على هذه الموازين التي نحتفظ بالواحق من وجه آخر .

(٢) حرمة موازين العربية التي هي شخصية اللغة . أن ينضاف اليها ما لم يكن
منها . ومعناي بهذا أنا بتقرير معنى الواحق بعيداً عن الميزان ثم اضافتها على الوزان
لتحصيل المعنى المطلوب يؤدي إلى تزايد كبير في الموازين الجديدة على أشكال لم
تعرفها العربية العريقة . لأنها لم ترم حاجة اليها . وإن كانت ظواهر الدرس تقتضى
أن العربي كان يعتمد لواحق بعينها للدلالات بعينها . ومن يشك في هذا إذا تناولنا
(بعيدين عما تسببه الدهشة من استنكار عابث) مثل وزان (فعَلَوْتُ) (وفَعَلَلْتُ)
و (تَفَعَّلْتُ) ووزان (فَعَلَّان) و (فَعْلَان) و (فَعْلَان) ووزان (فَعْلَمْتُ) و (فَعْلِمْتُ)
و (فَعْلَمْتُ) ووزان (فَعْلَيْن) و (فَعْلَن) و (فَعْلَيْت) وهكذا .

وإنما خصصنا مثل هذه الموازين بالذكر . لأنه يظهر فيها بصورة قاطعة للتردد
أو الاسترابة . أن العربية كانت خاضعة لما يدعونه بالواحق في مذهب زيادتها
ولكن تشذبت هذه الواحق حتى عادت وهي جزء من الوزان لا تنفصل عنه وكان
هذا بفعل الصقل اللغوي المستمر .

وينبغي أن يتنبه إلى الفرق بين كون اللغة تصدر عن لواحق . وبين كونها تصدر
عن موازين شكلية . فإن الأول يكون أوسع نطاقاً لأن الواضع لا يتقيد معه بشكل
من أشكال الموازين ، بل يضيف اللاحقة على أى وزان مجرد عنها لاقادة المعنى
الزائد . فمثلاً لو فرضنا أن لاحقة (غَسَلَيْن) التي هي عندنا نظرنا (ين) تدل على معنى
الخلاصة وأردنا أن نفيد خلاصة من اسم مفعول (كَلَبُون) مثلاً الذي هو بمعنى . المضاف
إليه الين تقول (مَلَبُونين) وهكذا عما لو أخذتها في (فَعْلَيْن) و (فَعْلَيْن) وشبهها
لوجدت بأن مجال العمل عليها أوسع نطاقاً من حيث الفائدة . ولكن يُقصد دونه أنه

اصطناع للمرية اصطناعاً. بخلاف ما إذا كان التفريع على مقتضى ما حفظ من الموازين فقط ، فإنه يكون في غايته اشتقاقاً متوسماً . وقد تدرك فرقاً واضحاً بينهما . وإن كنت أعود فأقرر بأن ظواهر الدرس الذى أخذت بأسبابه على الموازين يعطى هذا وأنه مذهب العرب ، ودليله ان لاحقة (وت) لم تختص بوزان ما . له طابع يميزه كما رأيت في فعلوت . وتعلوت . ولكنه كان مع ذلك خاضعاً لشروط أهمها .

(١) أن لا تزيد الكلمة باللاحقة على أكثر العدد الذى تكون منه الكلمة في المرية .

(٢) أن لا تجتمع فيها لاحقان (كفعْلان) مثلاً فلا يجىء منه (فعْلانين) و (كفعْلين) لا يجىء منه (ففعْلين) وهكذا .

ويظهر أن اللاحقة تعتبر في أكثر من حرف . فكل ما كانت الزيادة فيه حرفاً فقط كان وزاناً أصلياً يجوز أن تتبعه اللاحقة وتنضاف عليه . ونحن رغم أننا نعلن بأنه مذهب العرب على صورة مؤكدة . فلا نرى العمل عليه للمحافظة على شكلية المرية . على أن كثرة هذه الموازين المحفوظة مغنية عن أحياء اللواحق والاشتقاق عليها . ولناخذ في عرض خصوصيات الموازين . كل ميزان على حدة لينجلي أمرها على صورة لا يتوغل من بعدها سير الاشتقاق . وهذا الأخذ وحده الذى ينقذ بحق الوضع العربى ويهد السبيل إليه بحيث لا يبقى عائق . عن إفراغ التعبير بما لا يتفاوت معه في تعبير النفس وتصوير الضمير .

وأهميته هذه آتية من حيث إنه يضمن توزيع الوحدات المادية على نسق علمى صحيح ، وهنا يجىء أمر التنبيه على شيئين لهما أهميتهما في بحث الموازين .

(١) مسaire الجماعة في اعتبار الاسمية والوصفية في كل وزان . ولكن على أن لا نستثني من الموازين واحداً عن هذا الاعتبار . ولاقف عند^(١) قولهم (وقد يختصون الصفة بالبناء دون الاسم . والاسم دون الصفة . ويكون البناء في أحدهما أكثر من في الآخر الخ) لأنه وقوف مع الموجود من المرية بدون مجاوزة في النظر من أجل

(١) راجع الكتاب لسيوبه ج ٢ ص ٣١٥ .

التماس التعليل الصحيح . وإلا فأى معنى لهذا التقسيم الشاك غير المطمئن سوى الحيرة في فهم مخلفات العربية على الوجه الواقعي .

(٢) هذه الزنات جميعها تقبل زيادة التاء المتحركة والتجريد . لاعتبارات من التأنيث والوصفية والمبالغة مما يجمعها قولهم (علامة الفرعية) وهذا قد نص سيوييه عليه في غير موضع من الكتاب وبالأخص في (باب ^(١)) ملحقته الزوائد من بنات الثلاثة من غير الفعل)

فَعَلَ

خصوصيته الدلالة على الاتصاف بوحدة المادة قول (رَجَجَ) للشيء فيه الغلق .
فَعَّلَ : خصوصيته الدلالة على ما تعددت فيه الوحدات من الوصف قول (زَبَدَ)
للمتعدد الزُبْدَ .

فَعَّلَا : خصوصيته الدلالة على المكان يوجد فيه الشيء على معنى التميز وعلى تعدد الشيء في غير انفصال . قول (حَرَجَا) لمكان الغابات الكثيرة و (صَنَعَا) للمكان تكثر فيه الصناعة .

فَعَّلَان : خصوصيته الدلالة على تكامل الوصف في الشيء تكاملاً من كل الجهات قول (رَوَّنَان) أى صوت متكامل وآلة ذات روتان .

فَعَّلَتْ : خصوصيته الدلالة على سرعة التأثر أو الانفصال . وعلى سرعة الاحتراق . قول (عَصَبَتْ) لتأثر الأعصاب السريع .

فَعَّلَن : خصوصيته الدلالة على نفوذ الوصف إلى غاية الباطن ومن ثم يوضع منه لظواهر العقل الباطن قول (نَفَّسَن) لرجل المختص بالأعمال النفسية كاللغوم المغنطيسي .

فَعَّأَوْه : خصوصيته الدلالة على البروز من الوصف قول (أَثْبَوَه) للجداول ينبثق من أعلى الجبل ويوافق الجبل في انحداره . (حَبَّنُوهُ) لتواء الماء البطني المسمى بهذا الاسم .

فَعْلُوتَ : خصوصيته الدلالة على الاستحالة من شيء إلى شيء تقول (فَلَزُوتَ)
لاستحالات المعادن إلى أشتاتها العنصرية . وفي (الاقرباذين) يدل على الموصول تقول
(كَلْبُوتَ) لمصل الكلب و (حَلْبُوتَ) لمصل الحليب .

فَعَلَ

خصوصيته الدلالة على الانصاف بالمادة مع توزع وعلى ما هو مثل (الزنبرك)
لوصف تقول (رَعَجَ) لشي المال الكثير الموزع في أيدي الناس بالترابي .
فَعَلَ : خصوصيته الدلالة على الذي يحتوى على المائة الألفية من الوصف تقول
(عَقَدَ) للذي يحتوى على أكثر من ألف إلى مائة ألف عقدة . ويدل أيضاً على الخلط
في الشيء تقول (نَعَمَ) لنغم المختل المضطرب و (مَعَدَ) للمعدة فيها ضعف .

فَعَلَا : خصوصيته الدلالة على الامكان من الوصف أي ما يلاقي الزائدة (ble)
في كلمة (salvable) أي ممكن التخليص تقول حالة الجوى (مَحَبَّاءَ) أي ممكن أن
ينشأ سحاب .

فَعَلَانَ : خصوصيته الدلالة على التفاعل والاضطراب خفيفاً أو ثقیلاً تقول منه
لاضطراب الأنهر الرقيقة ولاضطراب الآليات تقول (هَرَمَانَ) للضطراب من الهرم .
وفي كونه اسماً يدل على الذي يبدو ويختفي كالأضواء القائمة على وضع كيمي .

فَعَلَّانَ : خصوصيته الدلالة على الألف الألفي تقول (عَقَدَّانَ) إذا كانت
يحتوي على أكثر من مائة ألف عقدة

فَعَلَّنِي : خصوصيته الدلالة على ما يحدث إثارة عظيمة تقول للقنبلة (فَنَيْنِي)
أي تثير الفناء و (فَنِينَاةَ) أيضاً .

فَعَلُّوتِي : خصوصيته الدلالة على استيلاء الوصف على الشيء بمبالغة تقول
(رَكْبُوتِي) .

فَعَلِيًّا : خصوصيته الدلالة على النفاذ إلى الصميم تقول (حَزَنِيًّا) أي حالة حزن نافذة إلى الصميم .

فَعَلُول : خصوصيته الدلالة على القابلية السريعة تقول (مَصْحُوح) للشيء يتلاشى ويصح بسرعة .

فَعَلِيل . خصوصيته الدلالة على ذي الخاصة التي يفرزها في الغير فتكسب خاصته أو يفعل فيها ذلك ويأخذ اسما من الخاصة تقول (خنصيص) للنبات العام الذي يضاف على الأشياء ليفعل فيها هذا الأثر .

فَاعَال : خصوصيته الدلالة على الذي يفعل الوصف بنفسه أو الذي يفعل نفسه ويقوم مقام السابعة الأجنبية (auto) ولكن يغلب في المعنى .

فَاعَل : خصوصيته كخصوصية فاعال ولكن يغلب في الحسن .

فَعَال : خصوصيته الدلالة على مثل ما تدل عليه فاعال بإلا حظة الملكة ويدل على الخاصة أيضا .

فَعَالَاء : خصوصيته الدلالة على الاتصاف بالمعنى مع محاولة خلافة تقول رجل (شَرَارَاء) يقع في الشر مع محاولة الخير .

فَعَال : خصوصيته الدلالة على المبالغة في الفاعل . وإذا سمي به كان المراد منه ظهور الملكة والتخصص . فإذا قلت (نَوَّار) كان المعنى الشيء الذي يعطي النور بكثرة عن ملكة ثابتة . وأما (نَوَّار) بالتخفيف فالمعنى فيه . الذي خاصيته النور فيقال على (الفوسفور) .

فَعُل

خصوصيته الدلالة على الشيء ذي الوحدة من الوصف تكون في مضاعفات تقول (رُبُل) للذي لجه في طبقات . ويدل أيضا على معنى (كثير وأكثر) الذي يقال له في الأجنبية the comparative أي تفضيل المقابلة . وهو لا يراد منه معنى (أَفْعَل)

التفضيل تماماً بل يخص بما الوصف فيه من نفسه بخلاف (افضل) فهي أصل عام في باب التفضيل مطلقاً .

فَعَاةٌ : خصوصيته الدلالة على التناول المترتب الجائز إلى المستقبل تقول (الله لُجَّة)
ومعناه سرداب المستقبل المظلم

فَصْلَانٌ . خصوصيته الدلالة على التكاثر بالانقسام تقول (حَيَوَان) أى حي تقاعى يتكاثر بانشطار الخلية وهو التوالد الذاتي .

فَعُولٌ : خصوصيته الدلالة على التفضيل في الطبيعة تقول (طَيُّور) لأعظم الطير سرعة و (فصيلة طَيُّورية) وأيضاً (سَبُوح) لأعظم السمك سرعة . وهو يفيد معنى (الأكثر) الذى يقال له في الاجنية the superlative أى تفضيل المبالغة

فَعُولِيٌّ : خصوصيته الدلالة على الأقل ملكة مما في (فَعُولَاء) الآتي تقول (ليلة بَرُوقِي) أى بروقها ليست من كل الجهات .

فَعُولَاءٌ : خصوصيته الدلالة على الخاصية المتفردة وفي أكل ما تكون عليه قول (ليلة بَرُوقَاء) .

فَعُولٌ : خصوصيته الدلالة على مضاعفة المبالغة ويكثر في العددي والاعتباري العددي قول (شَبُور) لقياس النبي على اعتبار الشبر .

فَاعُولٌ : خصوصيته الدلالة على الأشد كثرة في الحس أو المعنى وهو وفعل وفعل ملاحظ فيها الأفضلية الطبيعية وترتيب معناها (أكثر والاكثر والأشد كثرة) وهذه الثلاثة عند نظرنا تنويعات محضة لا تنظر في ثلاثها إلا إلى معنى واحد تقول (رَوْن) للكثير الصوت و (رَوُون) للأكثر صوتاً و (رَاوُون) للأشد كثرة .

فَاعُولَاءٌ : خصوصيته الدلالة على الكثرة المطلقة في عمل تقول (آلة قاسوما) أى قسم المحجم إلى ما لا يحصى كثرة .

فَعِل

خصوصيته الدلالة على الشيء الذي يكون أكثر انفعالا بالوصف أو هو مصدر الانفعال أو محل توارد الانفعال . تقول (نَفَقَ) لمصدر النفوق .

فَعَلَّ : خصوصيته الدلالة على المبالغة في وزان فَعَلَ .

فَعَلَّانَ : خصوصيته الدلالة على لزوم الوصف مع تماسك قول (فَوْرَانِ) .

فَاعِل : خصوصيته الدلالة على الفاعل .

فَعِيل : خصوصيته الدلالة على لزوم الوصف لزوما لا ينفك إذا نمي به قول (صَنِيم) لحبث الرائحة التي تازم بسبب علل فيزيولوجية في الجسم .

فَعِيلَاءَ : خصوصيته الدلالة على الصناعي يكاد يكون كالطبيعي تقول (صَوِيْفَاءَ) للوصف الصناعي الذي يعمل من المين المبكر في إيطاليا وتقول (قَلِيَاءَ) للقلب الصناعي الذي اخترعه الدكتور كاربل .

فَاعِلَاءَ : خصوصيته الدلالة على الاستطالة في الفاعل تقول (بازَنَاءَ) أي آلة تحفظ الحرارة في استطالة .

فُعِل

خصوصيته الدلالة على المتصف بالوحدة في لزوم طبيعي أو آلي تقول (كُئِدَ) للشيء المنجم بعضه على بعض انجماعا لا ينفك إما في الطبيعة كبعض الآفات المرضية وأما في الصناعات كالزئبركات المضغوطة .

فُعِلَ : خصوصيته الدلالة على المفعولية أو الانفعالية وتخص بمعنى الاستعداد في الأشياء تقول (فلان أدب) أي مستعد للادب ومطبوع عليه . وتزاد التاء فيه لزوما

فُعِلَاءَ : خصوصيته الدلالة على ما يشبه التكهرب تقول (رُوْكَاءَ) أي صوت الصدى المكهرب ويمكن أن يوضع للموجة الكهربائية .

فُعْلَمَ . خصوصيته الدلالة على الذي توجد فيه مضاعفات تجمله صنفاً آخر تقول
(خُضِرُمْ) للأخضر الذي ضوعف في خضرته حتى عد صنفاً آخر من الألوان
فُعْلَان . خصوصيته الدلالة على الوحدة أو الأصل في الوصف تقول (نُهْرَان)
الذي كأنه وحدة الأنهر أو مصدرها .

فُعُلُول . خصوصيته الدلالة على التراتبي من الوصف تقول (مطر هُطْلُول) يترأى
أنه يهطل وحرارة (قُطُرُور) يترأى أنها قطر .

فُعُلُل . خصوصيته الدلالة على الذي يجمع عدة أفعال من الوصف ويفعلها دفعة
تقول (قُفُلُل) للقفل الذي يقفل من جهتين دفعة واحدة .

فُعُلَّوَان : خصوصيته الدلالة على الأول من الوصف والاقدم في الوصف أيضاً
تقول (عُمُرَّوَان) للإنسان في أول العمر . وأيضاً لا أقدم مُعَمِّر .

فُعُمَلَل : خصوصيته الدلالة على الذي يجمع عدة أفعال من الوصف ولا يفعلها دفعة
واحدة تقول (قُفُمَلَل) للقفل الذي يقفل جهتين أو جهات ولكن على التعاقب .

فُعُل

خصوصيته الدلالة على الشيء المتصف بالصفة العجلى من المعنى على لزوم تقول
(سُبُح) للمنطلق الشديد في البحر .

فُعُلَّ : خصوصيته الدلالة على الاطباق في انتشار تقول (عُدُلَّ) أي العدل
المنتشر المطبق و (دُخُنَّ) للدخان المنتشر المطبق .

فُعُلُّ : خصوصيته الدلالة على الذي يلزم لزوماً في غير انفساكه ويكثر في الظايات
تقول (طُبَّعَ) للاكليشيه أو طُبَّعة .

فُعْلَان : خصوصيته الدلالة على الأصل تنفرع عنه الأشياء أو تقوم عليه تقول
(نُورَان) أي المصدر الموزع للنور و (حُجْرَان) للحجر تقوم عليه الاحجار كحجر سينمار

فُعْلَان : خصوصيته الدلالة على المثوي و (فُعِل) للدلالة على الاحادي و (فُعِلَ)
للدلالة على المشري قول (عُقْدَان) لما يحتوي على مائة عقدة إلى ألف و (عُقْدَ) لما
يحتوي على عشرة إلى مائة و (عُقْدَ) لما يحتوي على عقدة إلى عشرة .
فُعُول . خصوصيته الدلالة على الذي يفعل مضاعفة عددية إن في الطبيعة أو الصناعة
قول (سَيُور) للذي يسير مضاعف معدل النسبة العامة للسيارات السريعة .
فُعُلَى : خصوصيته الدلالة على ما يكون بنسبه الوصف قول (لُعْبَى) لمن يشير
العب ولا يلعب وبعبارة أوضح خصوصيته الدلالة على كل ما يثير صفة في الغير بدون
أن يكون متصفاً بها . .

فُعَل

خصوصيته الدلالة على الذي يأتي الوصف من أخفى وجوهه حقيقة أوعلى التنزيل
مع المبالغة فيه قول (خُدَع) للذي يخدع خدعة خفية .
فُعْلَةٌ . خصوصيته الدلالة على التطاول المترتب الجائح إلى الماضي قول (الدُّلْجَةُ)
لسرداب الماضي المظلم على التجوز .
فُعَلَاء . خصوصيته الدلالة على مثل الثرائي أو الاعتقاد حتى يصير صفة ومنه
يقال أيضاً على مثل التوقد والتألق وبعبارة أشمل الوصف على التوهم قول (نُهْرَاء)
لنهر الواكد الذي يوم أنه جار .
فُعَلَى . خصوصيته الالة على التطفل الخفي كالأشباح والأوهام وما إليها تقول
(عُجْبَى) و (عُجْبَاء) للتكبر على الوهم . . .
فُعَال . خصوصيته الدلالة على مثل لاحقة (grah) قول (رُوَان) لفتوجراف .
فُعَال . خصوصيته الدلالة على طبع الانطباع إذا وضع على بناء (فُعَال) تقول
طُبَاع) آلة تصوير المطبوع و (طُبَاع) الاكثيبه وإذا لم يوضع على بناء (فُعَال)
انت خصوصيته الدلالة على الملكة المصطنعة أو على شبه الملكة بمبالغة أي على شبه

(فَعَالٌ) وبعبارة أخرى الذى تكون له صفة غالبية تجعله يوصف بصفة غيره خذ (عَوَّار) الذى هو البثر فى العين مما يجعلها أشبه شئ بالعموراء وعليه فيوضع منه تخصيصاً للشئ الكاذب ومن (فَعَّالٌ) لثئ الصادق تقول (مرض حَرَّاقٌ) إذا كان شديد الحرق حقيقة و (حَرَّاقٌ) إذا كان يوم كذلك

فُعَالَى : خصوصيته الدلالة على تدرج الشئ فى الانطباع بالصفة أو على فترات الانتقال تقول (ثمر نَضَّاجَى) أي فى فترة التزوج .

فُعَالَى : خصوصيته الدلالة على الانطباع الطبيعي أو شبهه ونعني بالطبيعي مطلق ما لا دخل للإنسان فى صنعه فيقال لصور الأحجار التى توجد كذلك فى الطبيعة تقول (وجدت زُهَّارَى) أي حجرة مرسوم عليها زهرة ويقال بهذا المعنى من فُعَالٌ .

فُعْلَانٌ : خصوصيته الدلالة على الطفيلي على الأشياء مطلقاً تقول (رُزَّانٌ) أو (رُزَّانٌ) للصوت الطفيلي على الأصوات مما يصلح أن يكون فى مقابلة كلمة (parasite) على الأصوات . وإنما أخذناه من (فُعْلَانٌ) أيضاً بهذا المعنى لأنه يقارب (فُعْلَانٌ) بالدلالة وأخف منه . وتقول (كُتَّبَانٌ) للكتابات التى تضاف بين الأسطر لتوضيح أحياناً وهكذا مما يشاهد فى المطبوعات التركية .

فُوْعَالٌ : خصوصيته الدلالة على التداخل والتشتر أي ما يفعل هذا الفعل تقول (فلو هَار) لكل ما يحتنى ويظهر .

فَعْلٌ

خصوصيته الدلالة على المحدود . وعلى الضئيل الناعم تقول (نِصْلٌ) للنصل الذى لا يترك دقيق الشعر وتسمى به (آلة الحلاقة تحت الصفر) و (نِعم) للناعم جداً وتسمى به (البودرة) .

فِعْلَالٌ : خصوصيته الدلالة على الضوولة البالغة على معنى أنه يدل على ما هو دون معدل الصفر كثيراً تقول (نِصْلٌ) لآلة الحلاقة التى هي دون الصفر بعدد كبير .

فَعَلِمَ : خصوصيته الدلالة على الكثوقات والامتزاجات وعلى مثل الدوائر في الشيء .
قول (خَضِرِم) للخضرة دخلتها كثوقات تلوينية و (لِينِم) لطلق اللون الذي دخلته كثوقات .

فَعَلِمَ : خصوصيته الدلالة على مادون أن يقال عليه الوصف أو على الأقل النسبي عما يقال عليه الوصف تقول (لِينِم) لطلق اللون الذي هو أخف من أن يوصف بصفة من الألوان الرئيسية وتقول (خَضِرَم) للأخضر الفاتح ..

فَعَلِنَ : خصوصيته الدلالة على ضوولة الوصف الباطني . وعلى الخلاصة الروحية قول (قَدَسِين) بمعنى الطهر الباطني الضئيل وتقول (كَشِين) لاطلام المكتوبة التي تفعل فعل الخلاصات

فَعَلَاءَ : خصوصيته الدلالة على أداة الوصف قول (صِيَاء) أي أداة الصوت ويصلح لأن يسي به (الميكرفون) و (الرِيَاء) أي أداة الوجدان ويصلح إسمًا للميكرفون أيضًا .

فَعَلِيلَ : خصوصيته الدلالة على الاقتران بالشيء . إقترانًا كالانحداد قول (إِرْضِيض) لما يقترن بالأرض من المعادن الأولية و (زَغِيْب) لما يقترن بالزغب من اللوييات قول فصيلة (زَغِيْبِيَّة) ..

فَعَلَيْتَ : خصوصيته الدلالة على الاستتار في الوجدان أو الضمير والرجوع إلى التحولات المندثرة تقول (إِنْدَيْت) لاذى تحنكم به روحان إحداها جبلية والأخرى عصرية . وبمباراة أوضح يدل على الرجوع إلى التاريخ السحيق والابتعاث فيه ويدل أيضًا على ما خالط الوجدان أو حل في موطنه تقول (عَقْرِيْت) للذي ينطوي على ألم مرير كأن فيه عقراً ينز على الدوام فهو يتأفف منه

فَعَلَيْنَ : خصوصيته الدلالة على ما ينزل منزلة اللاحقة (ine) في الأجنبية كفسفوريين، ويدل أيضًا على الأصل الفعال في الأشياء قول في (الشاي) إذا عددناها

كلمة من العربية باعتبار أنها قد تمكنت فيها إلى حد أن أخذت مسحة عربية سابقة . ويمكن انزالها منزلة كلمة (باز) الطائر المعروف وعليه فتكون الألف منقلبة عن (واو) فيقال في بناء فعلين منها (شويين) وبالأللال الواجب (شيين) (لاشيين) ومن (قهوة) (قهوين) لا (قهوين) .

وخصوصية هذا الوزن العامة للدلالة على انجماع الوصف في شيء من أشياء أو في جزء من كل . لاحظ جيداً (غسيلين) التي بمعنى ما يغسل من الثوب . وإذا لاحظت أنه يرد إلى (غسل) ومعناه الماء يغسل به كان معنى الوزن الذي يفعل بالغسل . وبما أنه جاء بمعنى المدة أيضاً فلا بأس من أن نجعل له إصطلاحاً طياً ويراد به الافرازات المتغيرة مطلقاً تقول (صفرين) لافراز الصفراء المتغير و (يلين) للبول المتغير وهكذا .

فعلياء : خصوصيته الدلالة على وحدة الصفة النفسية التي أصبحت وجداناً وطبعاً تقول (عشقياء) أي وحدة انفعالات العشق .

فعلوة : خصوصيته الدلالة على المستخفي وله عمل افرازي تقول لشجر (caoutchouc) وغيره من النباتات مما له هذا العمل ومنه نشق (جبنوة) للمغازز تكون في منعطفات الأشجار تفرز افرازاً ما . وفي الطب يدل على ما في الغدة من المادة تقول (جبنوة) ترجمة لكلمة (thyrosis) أو thyrosin اللتان تطلقان على مادة منعقدة ناشئة عن انحلال المادة الأولية .

فعلية : خصوصيته الدلالة على البعثرة مطلقاً تقول (جبنية) داء له بعثرة في الجسم فعليان : خصوصيته الدلالة على المائل إلى الشيء أي ما يقوم مقام اللاحقة (ish) في الانكليزية من مثل (greenish) أي مائل إلى الخضرة . ويدل على الذي يتعلق بالوصف تقول (طيريان) وهكذا . وقد يوضع منه للدلالة على المعنى الذي يشف عنه الحس تقول (شيريان) أي النحلة في صناديق زجاجية تعيش فيها النحلة ويرى من خلالها كيف تقوم بوظيفة التمسيل .

فَمَلَّانَ : خصوصيته الدلالة على الشئ المحشو من معنى الوصف أو في معنى الوصف
تقول (مِلَّان) أى خبز محشو بخبز ويصلح أن يوضع اسماً (لخبز فينو)
فَمَوَّلَ : خصوصيته الدلالة على الآفة مطلقاً أو المرضية فقط بدون تخصيص بشئ
من نبات أو حيوان تقول (إِبْوَط) للداء يصيب الابط و (عِضْوَل) للداء
يصيب المضل .

فَمَوَّلَ : خصوصيته الدلالة على الذى له طبيعة لينة إلا أنه يتصلب أو يفعل
التصلب تقول (قِشَوَّر) للقشر اللين يتصلب .

فَمَوَّالَ : خصوصيته الدلالة على التجمع من شتى الأشياء مع وجود الة بينها
يدخل في الكيمياء وغيرها تقول (رِوَّان) أى لون متجمع من عدة الوان ليس
بينها الة .

فَمِبَّالَ : خصوصيته الدلالة على التجمع كذلك من شتى الأشياء مع وجود الة.
تقول (لِبَّان) أى لون يجمع من عدة الوان بينها الة وتقول (طِبَّاس) أى جمال
مع تناسب والة في التقاسيم والأعضاء .

فَمِئَلَ : خصوصيته الدلالة على الألفة النفسية وبعبارة أوضح يدل على التشيق
بين الأشياء في النفس . تقول (مِزْيَف) للألفة بين الظرائف المختلفة عند النفس .
ويدل أيضاً على كل ما له اتصال بالنفس تقول (حِجْبَيْن) أى اعوجاج نفسى .

فَمِئُولَ : خصوصيته الدلالة على المركبات التى تأتى بعمل تفاعلي سواء كان آلياً
أو طبيعياً أو عضوياً ولكن يغلب في الآلي تقول (كِئِوَن) للآلة المركبة من قطع
تحدث تفاعلاً من الوصف الذى هو العدو في استمرار سريع . مما نضمه ترجمة لكلمة
(autobus) ومن هذا الوزن يوضع لأي (motor) وتقول (مِزْيُون) لطاق المحفظ
بالوصف من حرارة أو برودة .

فَعِيل

خصوصيته الدلالة على الشيء الذي يتعدد فيه نظير الوصف تقول (يهيز) للآلة التي لها عدة دفعات عنيفة بالتوالي .

فَعِيلٌ : خصوصيته الدلالة على التعبير الحيوي بانفصالات وغير الحيوي بتولدات ذاتية تقول (كَتَبَ) للكتاب الذي مضى عليه زمن واحتفظت به ظروف كأوراق البردي المكتشفة في (تل العمارنة) أو تسمى (سِجِلًا) بهذا الملحظ، وفي (العددي) يدل على أكثر من المليون تقول (عَقِدَ) إذا كان يحتوي على أكثر من مليون عقدة .
فَعِيلَانٌ : خصوصيته الدلالة على الصفة البالغة في الشيء تقول (حَرِكَانٌ) للبالغ الحركة . وفي العدد يدل على (المليار) فأكثر العدد تقول (عَقِدَانٌ) إذا كان يحتوي على مليار فأقصى العدد .

فَعِيلِيٌّ : خصوصيته الدلالة على الانتشار والتعبض نتيجة عمل آلي تقول (الرِسِيٌّ) للآلة تطوي الحبل وتنتشره .

فَعِيلِمَالٌ : خصوصيته الدلالة على الذي يفعل بسرعة ويدوم انفعاله طويلاً تقول (مِخْطَطَاتٌ) أي يسخط بأشد ما يكون سرعة .

فِعَل

خصوصيته الدلالة على اقتران المتعدد في الوصف اقتران خليط أو اقتران إزاء تقول (إِنْز) للشيء يكون على أطراف تتوئب على اقتران .

فَعَالٌ : خصوصيته الدلالة على التكاثف تقول (منظر ظَهَار) أي ظاهر من خلال كشوفات .

فِعَالٌ : خصوصيته الدلالة على شدة التكاثف دون الشيء تقول (حِبَار) للحيوان البحري الذي يولد الحبر ويمتني فيه .

فَعَلَاءَ : خصوصيته الدلالة على الثني والامتداد هنا وهناك تقول (نِهْرَاءَ) قاهر
الثني الممتد .

فِعَالَة : خصوصيته الدلالة على العلم أى ما يقوم مقام لاحقة (logy) في الأجنبية
قول (نِبَاتَة) أى علم النبات و (صِحَافَة) أى علم الصحافة .

فَعَلَنَ : خصوصيته الدلالة على المنفعل كثيراً بالباطن وبعبارة أخرى الذي تسلط
عليه آثار الباطن تسلطاً شديداً . ويدخل فيه المنفعل بمناطق اللاشعور تقول (شِعْرَنَ)
لمن تسلط عليه شعور باطني عميق .

فَعَلَنَى : خصوصيته الدلالة على التكيف بصفة أو شكل أو القدرة على التشكل
مطلقاً تقول (صَوْرَنَى) لمن يتصور بكل صورة ارادها .

فَعَانَاة : خصوصيته الدلالة على خصوصية (فَعَلَنَ) ولكن بزائدة وهي الدخول
من تأثيرات الباطن في سبات شديد تقول (شِعْرَنَاة) لمن يسبت تحت شعور ما .
فِعَلَّى : خصوصيته الدلالة على الاتصاف بالشئ على تفرد وامتنياز تقول (الذِّتَقَّى)
لأشد الأمراض بحيث يتميز من بينها .

فِعَلَّ : خصوصيته الدلالة على الاستطالة من الوصف قول (مِرَنَ) لشيء ذى
الرنين الطويل العدى والرجع

فِعْلٌ : خصوصيته الدلالة على التحجب أى الكون حباً تقول (خِلَصَ) لعظم
الاذن الدقيق الذى له عمل دائم من قولهم (خلص) للعظم نشط

الزيادة بالهمزة :

أَفْعَلٌ : خصوصيته الدلالة على التفضيل مطلقاً . فإذا وضع اسماً كان الملاحظ فيه
مضاعفة الوصف .

أَفْعَالٌ : خصوصيته الدلالة على التفضيل المطلق ويظهر أن هذا الوزن هو اسم
التفضيل القديم في العهد الصوتي وقد تطور إلى (أَفْعَلٌ) وتوسعا قبل الصيغتين .

ونخص الأول بالترفضيل النسبي والثاني بالترفضيل المطلق . ومن هذا الوجه قد يشابه ما هنا . ثلاثة الموازين السابقة وهي (فَعَلَ) و (فَعُول) و (فاعول) والفارق بين الطائفتين أن (أفعل وأفعال) ملاحظ في خصوصيتهما الأفضلية الاكتسابية . و (فَعَلَ) وإخواته ملاحظ فيها الأفضلية الطبيعية .

إفعل : خصوصيته الدلالة على الندرة المطلقة الممتازة ويدل أيضاً على علامة الأشياء المطلوبة قول (إعلمة) للعلامة التي يستدل بها المهندس الجيولوجي على البترول . ولا يبعد أن يكون هذا الوزن متحلاً عن وزان (إفعليل)

إفعليل : خصوصيته الدلالة على ما وراء الظواهر أي يدل على الاستخفاء . قول (فلان له إعتيل) أي تعقل باطني وأنجذاب إلى اللاشعور و (فلان عنده إعتري) أي تعرف وتكهن باطني و (إكليل) أي تكلم في الباطن مما يصلح أن يكون ترجمة لكلمة (فنترولوكسس^(١)) في الأجنبية (أي المتكلم في الباطن) .

إفعل : خصوصيته الدلالة على مطلق الآلي وأيضاً على الشيء الذي تنجم به المواد أو تنفصل . وبعبارة أخرى يدل على ما يفصل فعل آلة خفية في غيرها من غير أن يكون آلة . وعليه فيشتق منه لكل التجربات الكيميائية والتحليلية . فيقال لعملية تحليل الماء (إمارة) ويظهر أنه متطور عن (إفعال) .

إفعال : خصوصيته الدلالة على الآلي المحكم وعلى الفعل أو العمل الذي يثور وتظهر آثاره فتقول منه للمواد التي إذا وضعت على بعضها أحدثت أثراً شديداً . ويظهر لي أنه محمول عن مصدر الرباعي وليتنبه هنا إلى أن التسمية بمصدر الرباعي من (أفعل) سواء في الحس أو المعنى لا يكون إلا بملاحظة معنى (السلب والازالة) ولاجل أن لا يشتبه تخص الناء في غير المصدر لزوماً .

أفعل : خصوصيته الدلالة على التفرق في الدقائق والانتشار المحدود .

أفعل : خصوصيته الدلالة على الامتداد في تقطع أو في ذبذبات وتكسر فيقال

منه للموجات الصوتية القصيرة وما يشبهها كالمدخان المتقطع من مدخنة آية تقول (أذخُنْ) . وهو منطود عن وزان (أَفْعُولُ) .

أَفْعُولُ : خصوصيته الدلالة على الامتداد في استواء واستطالة فيوضع منه للموجات الطويلة وما أشبهها .

إِفْعُولُ : خصوصيته الدلالة على ضد (فَعُولُ) أي يدل على نفي المبالغة والمبالغة في السلب تقول فلان (سَخُوفُ العيش) أي رقيقه وفلان (إِسْخَوفُ العيش) .

أَفْعَلَى : خصوصيته الدلالة على الاستغراق أو على الكل تقول جاء الخصم (بالأشهادَى) عنده أي بكل شهاداته .

إِفْعَلَى : خصوصيته الدلالة على الانتشار الخفي المصدر تقول تسري في البلد (إِكْلَى) أي كلام منتشر غير معروف المصدر .

أَفْعَلَةٌ : خصوصيته الدلالة على التخصيص أو التخصص تقول هذا مكان (أَفْصَرٌ) و (آلة أَفْصَرَةٌ) أي تخلصت للصر .

أَفَاعِلُ : خصوصيته الدلالة على الفاعلية المقاومة على استمرار تقول (رجل أَدَاثِر) أي متمول بالمراباة .

إِنْفَعَلُ : خصوصيته الدلالة على الاتصاف بالمعنى لسبب باطني تقول (رجل إِنْسَهَمَ) أي ساهم اللون لعله مرضية . ويظهر بأن هذا الوزان أصله (فَعَلُ) المصدر زيدت عليه الألف والنون كسابقة .

أَفْعَلُ : خصوصيته الدلالة على المنفعل بشيء والفاعل في شيء آخر وبعبارة أخرى يدل على المكتسب للوصف بحيث يكون مصدراً له يكسبه للغير . تقول (أَجْنَذَبُ) للقطعة من المدن تمنقط بحيث تنقل الأثر إلى قطع أخرى . ولسريان التجاذب في قطع كثيرة على التسلسل وربما كثر هذا الوزان في الثلاثي بالتضعيف كثرة مطلقة . والذي أظن فيه أن أصله (فَعَلُ) زيدت عليه الهرة لإفادة تعدية الأثر .

أَفْعَلَان : خصوصيته الدلالة على استيلاء المعنى على الشخص استيلاء يأخذ عليه مذهبيه وبعبارة أخصر الانطباع بالشيء . يقال (رجل أَرْقَنَات) متعلق بالرقص كذلك .

إِفْعَلَان : خصوصيته الدلالة على التعلق العقلي والقلبي والشعوري بالوصف ويدخل فيه الأمراض العقلية بهذا النوع . ويستعمل في الأكيات توسعاً . قول (رجل إَغْرَسَان) استولت عليه فكرة الغراس استيلاء ملكه .

أَفْعَلَان : خصوصيته الدلالة على التحولات التي تشمل الشيء من أطرافه . وتكون تحولات تغييرية . ويشمل التحولات العنصرية في الكيمياء .

إِفْعَلَاء : خصوصيته الدلالة على علائم الأشياء غير الطبيعية وعلى الآثار غير الطبيعية مطلقاً قول (إِظْلِمَاء) أي ظلمة ناشئة عن سبب غير طبيعي .

أَفْعَلَاء : خصوصيته الدلالة على انجماع اللطائف وضغطها فيوضع منه للهواء المضغوط وما أشبه .

فَاعَل : خصوصيته الدلالة على الجزء (كالنقرة) .

فَعَال : خصوصيته الدلالة على الأقل جزئية (كالقدرة) .

فُعَائِل : خصوصيته الدلالة على التحامل تحت الشيء . وعلى الكل في الأشياء التي لا قبل مهايها للقسمة وإنما تفرض فقط كما في الجوهر الفرد والغازات . . .

الزيادة بالتاء :

تَفَعَال : خصوصيته الدلالة على تجسم المعنى . وعلى الحنفي واللطائف والأفكار . لاحظ بدقة قولهم (تَمَثَّل) أي تمثيل و (تِمَثَّال) أي صورة شاخصة تقول (تِظْلَال) للظل يتجسم فيصير صورة .

تَفْعَالُ : خصوصيته في غير ما يكون مصدراً للدلالة على جمع أجزاء المعنى في نقطة أو بؤرة تقول (تَفْطَلُّ) اسماً لمحل اجتماع أجزاء الفل في آله التصوير . وعلى الاجتماع أيضاً .

تَفْعُلُ : خصوصيته الدلالة على ما يحدد الوصف المادي كل حين تقول (شجر بثمر) و (فصيلة بثمرية) للاصناف التي تثمر في العام مرتين أو أكثر . . .

تُفْعَلُ : خصوصيته الدلالة على المنفعل من الوصف لأسباب غير معروفة لكنه تقول (رجل تَفْرَع) أي يَفْرَعُ من غير أسباب معروفة . ويظهر أنه ينظر إلى الفعل المضارع المبني للمجول .

تُفْعَلُ : خصوصيته الدلالة على المنفعل من الوصف بأسباب مشتركة من نفسه ومن الغير تقول (تَنُورُ) للحشرة التي تضيء في الليل . ويظهر أنه ينظر إلى (تَفْعُلُ) ولكن أخذ بالاتباع فقط كما قرر سيويه في (يَفْعُلُ) . . .

تَفْعِلُ : خصوصيته الدلالة على مجيء الشيء في غير الألوان عادة تقول (تَحْمِلُ) أي حمل في غير الألوان . ويظهر أنه اتباع لوزان (تَفْعِلُ) ويدل على هذا أن أكثر كلماته تجمي على أوجه مختلفة . فمثلاً (تحلبة) جاء بضم التاء واللام ، وبكسرهما ، وبكسر التاء وفتح اللام ، وبضم التاء وفتح اللام .

تَفْعَلَةُ : خصوصيته على مجيء الشيء في غير الألوان مطلقاً . ويظهر أنه وزان فلي ينتسب إلى القبائل التي تكسر حروف المضارعة . هؤلاء الذين تقدر أنهم متأثرون بالمنطق السرياني الذي هذه إحدى ظاهراته . . .

تَفْعَلَةٌ : خصوصيته الدلالة على كون الشيء بين بين في الوصف تقول (تَوَلَّة) أي حادثة بين السحر والحقيقة . وهذه الألوان متداخلة كما هو ظاهر من كلماتها التي لا تكاد تنضبط فما من كلمة إلا وفيها وجه جواز من صريعتها . خذ (تَفْعَلَةُ) التي جاءت كَتَضْبُ وُقُتْدُودِرْهُمْ وَجَفَرُوزِ بَرَج وَجُنْدُب . . .

تَفْعُلُوتُ : خصوصيته الدلالة على الذي يتصف بالوصف عند حدوث الحادث

فقط أي يدل على مصاحبة الوصف للحادث الذي يفعله فقط تقول (تَرْغُمُوت) أي لا يرغم إلا عند اليأس .

تَفِيل : خصوصيته في غير ما يكون مصدراً للدلالة على ما يكون أداة للوصف
تقول (تلوين) لأقلام التلوين . . .

تَفِيلَة : خصوصيته الدلالة على الاجادة في الوصف تقول (آلة تحديد) أي تحكم التحديد . وكذلك وزان (تَفْعَالَة) و (تَفَاعِلَة) و (تَفَاعِلَة) و (تَفْعِل) وإن كان لها خصوصيات أحياناً فاتها مقاربة

تَفْعَلَة : خصوصيته الدلالة على الآلة تحدث من الوصف تقول (تَابِرَة) اسماً لربو^(١) المحددين الذي ينشأ من غبار الابر . وكذلك (تَفْعِيلَة)

تَفْعُول : خصوصيته الدلالة على لين الوصف تقول (شجر تَخْشُوب) أي لين الخشب

تَفْعَلَة : خصوصيته الدلالة على الذي تهبؤه الظروف طبيعية أو عادية تقول (تصورة) للصورة التي تحدثها الطبيعة . كقطعة الحجارة التي تمثل شيخاً عجوزاً بلحيته وهي من عمل الأمطار وتأثير هطولها

تَفْعُول : خصوصيته الدلالة على الاداة غير المباشرة في الوصف تقول (تَتْسُوخ) لكتابة بورق الكربون . ويظهر انه اتباع لوزان (تَفْعُول)

تَفْعِل : خصوصيته الدلالة على (البهلوانية) تقول (تَخْطِر) أي لعبة خطيرة بهلوانية

تَفْعِل : خصوصيته الدلالة على الأشياء التي تأتي في المناسبات أو معها تقول (تَرْبَع) للنبات الذي يأتي مع الربيع

تَفْعُل : خصوصيته في غير ما يكون مصدراً للدلالة على أظهر خواص عمل

الشيء تقول (تَمَشُّط) أي آلة تصنع الامشاط وسواها ولكنها أكثر في الامشاط ..

الزيادة بالميم :

مُتَاعِل : خصوصيته الدلالة على المتصف بالمفاعلة بين متفعلين تقول (مُدَاوِر)
للذي يدور شيئاً آخر في حركة دورانه كما في الدواليب المتعاشقة .

مُتَعَلَّان : خصوصيته الدلالة على الموازين مطلقاً تقول (مَحْرُكَان) لميزان
الحركة و (مَحْتَكَّان) لميزان الشيء وهو آلة على شكل الساعة ترقيم الخطوات عند
الشيء وإذا كان وصفاً دل على المبالغة في دقة

مُتَعَلِّل : خصوصيته الدلالة على الذي يوجد في المكان ولا يكاد يميز عنه
تقول (مَحْتَنَزَاء) للذي يوجد في مكان العفن والنتن ولا يكاد يتميز عنه مما يصلح
أن يسمى به ميكروب العفونة

مُتَعَلِّق : خصوصيته الدلالة على المضاعفة والتضاعف تقول (مَوْرَقٌ) للورق
المقوى . وعلى الورق يجعل لفائف . وهو يرجع إلى (مَفْعَلٌ) الذي له عين دلالة
تقول (مَوْرَقٌ) بالمعنى نفسه . وهذا يرجع إلى (مَفْعَلٌ)

مِفْعَلِي : خصوصيته الدلالة على مطلق ما يعمل عملاً حرّاً كياً^(١) وهو يرجع
إلى (مِفْعَلٌ) وهذا إلى (مِفْعَلٌ) ولها جميعاً خصوصية واحدة تقول (مِفْتَحٌ)
و (مِفْتَحٌ) و (مِفْتَحِيٌّ) للمفتاح الحركي

مِفْعِيل : خصوصيته الدلالة على المتأثر بتأثيرات خفية تضاف إلى عالم الغيب

(١) هذه الكلمة من وضعنا الجديد ترجمة للمصطلح الاجنبي (automatic) وتكاد تكون
ترجمة وافية وذلك لأن وزن (فَعَالٌ) يدل على الجزء الاول منها والمادة تدل على الجزء
الثاني

ولونسيكاً وبعبارة أخرى انفعال عالم الشهادة بعالم الغيب مطلقاً ومن ثم يصح أن يصاغ منه للعوازين أيضاً . كميزان الحرارة والمطر وهكذا . وضروري أن يكون مع ذلك يدل على المعنى بدقة . ويظهر انه الصوتي الذي يرجع اليه (مَفْعَل) وهو اتباع لوزان (مَفْعَل)

مَفْعُول : ظاهر الخصوصية .

مِفْعَل : خصوصيته الدلالة على الآلة . وكذلك (مِفْعَال) وكذلك (مِفْعَلَة)

مَفْعِل : خصوصيته الدلالة على الزمان والمكان . . .

مُفْعَل : خصوصيته الدلالة على الانطراف في الشيء . قول (مُنْقَس) أي المنظر في النفس من أشتائها ...

مُفْعَل : خصوصيته الدلالة على ما يكون آلة لشيء . ومكاناً له قول (مُعْرُط) لالة تصنع المروط وتكون وعاء لها و (مُقْمَح) للآلة التي تنقي القمح وتكون وعاء له .

مَفْعُل : خصوصيته الدلالة على مثل اللاحقة الأجنبية (scope) تقول (مَنظُر) بمعنى (microscope) . . .

مَفْعُلَان : خصوصيته الدلالة على الشيء الذي يجمع كل اسباب الوصف تقول (مَنصُرَان) للموضع توجد فيه كل أسباب النصر . وأيضاً يدل على الموضع يستكن فيه ويطمئن اليه تقول (مَقْمُرَان) للمحل الذي يستطاب الجلوس عليه في ضوء القمر . و (مَشْمُسَان) لحمام الشمس . ويدل أيضاً على مضاعفة خصوصية (مَفْعَل) تقول (مَنظُرَان) للمجهر المضاعف .

مِفْعَل : خصوصيته الدلالة على ما يعمل عملاً ذاتياً . وأيضاً على التمكن من الشيء . تمكناً لا يفارقه . ويدل على طريق الشيء وطريقته . تقول (مَحْلِب) لولة الذي يحلب به وله عمل آلي كمل (the surge milker) . . .

مُفْعُول : خصوصيته الدلالة على المفعول في الباطن تقول (مُكْتُوبٌ) للمكتوب في الذهن (وَمُقْرُوءٌ) للمقروء بالملاحظة الذهنية . . .

فُعَائِلٌ ^(١) : خصوصيته الدلالة على العروض والمألوف تقول (مُرَامِضٌ) للعرض يصيب الشخص ويعلق بحيث لا يفارق و (عُلَامِيٌّ) للحيوانات ذات الملوك . وكذلك (فِعْمَالٌ) ^(٢) و (فُعَائِيلٌ) ^(٣) .

زيادة النون :

فِنَعَالٌ : خصوصيته الدلالة على كون كل ناحية من الكل موصوفة بصفة ما منه الاشتقاق تقول (مِنْعَادٌ) أي حيوان بهضم بكل جزء من أجزاء جسمه أي كل جزء فيه معدة مستقلة كالأخطبوط فيقال (الفصيلة المنْعَادِيَّةُ) ويستعمل مجازاً في الشره وهو تجاوز مستملح . . .

فِنَعَالٌ : خصوصيته الدلالة على استيلاء الوصف على الشيء استيلاء شديداً ثم لا يصح عنه إلا بعد أمد طويل . تقول (خِنَافٌ) أي يستولي عليه الخوف ولا يزول إلا بعد مدة طويلة .

فَنَاعِلٌ : خصوصيته الدلالة على استيلاء الوصف كالسابق ولكن يزول بسرعة جداً تقول (خُنَافٌ) . . أو الأول وهو (فِنَعَالٌ) يدل على تركيب الشعورات من نوع واحد كالخوف الشديد . فانه في الواقع عدة شعورات خفية اجتمعت . والثاني وهو (فَنَاعِلٌ) يدل على الشعور البسيط أو الشعور الواحد

فَنَعْلِيٌّ : خصوصيته الدلالة على الانتقال بالحس إلى المعنى تقول (عنده فَرَضِيٌّ) أو (فَرَضَاةٌ) أي تمزق وتقطع روعي أو عقلي . . .

فُنَعْلَاءٌ : خصوصيته الدلالة على المانية أي الاتصال بالماء أو الاقلاب إليه أو

الذي فيه مائة تقول (الْفُتُصْلَا) للحاجز يقام في المياه وكذلك خصوصية (فُتْعَل) .
فُتْعَلَاء : خصوصيته الدلالة على الغاز أي الاحتواء عليه أو الانقلاب إليه تقول
(دُتْنَاء) للغاز المدفون . وكذلك خصوصية (فُتْعَل) تقول (دُتْنَن) ...
فُتْعَلَى : خصوصيته الدلالة على الماضي مطلقاً و (فُتْعَل) يدل على الماضي
الغامض ...

فُتْعَلَال : خصوصيته الدلالة على الشيء يقابله مثله فقط تقول (غِرْنَسَاس)
أي غراس في مقابلها مثلاً . وقد يدل على الذي يعطي كأنه مثل ذي الوصف
فُتْعَلُوة : خصوصيته الدلالة على ما يكون أداة آلية للمعنى تقول (قُتْسُوة)
لآلة الفوس في الأعماق ...

فُتْعَمَل : خصوصيته الدلالة على الانساع والتراكم بحيث يأخذ المسارب تقول
(عُكْنَكِر) الذي يكر من كل الجهات على اتساع وتراكم تقول (سِيل عَكْنَكِر) ...
فُتْعَمَلَل : خصوصيته الدلالة على الضخامة في غير توازن ولا ضبط تقول
(فُلْنَجَج) أي عظيم التقسيم في غير ضبط ...

فُتْعَل : خصوصيته الدلالة على ما له باطن على خلاف الوصف تقول (عُقْنَد)
للمشود الذي له باطن متحلل كشجر الاراك ...

فُتْعَلَة : خصوصيته الدلالة على التصنيف والتوزيع جماعات ويقال بدون تاء
تقول (حَرْبَة) و (حَرْب) لتصنيف الحرب ولنظام التعبئة ...

فُتْعَكِيل : خصوصيته الدلالة على تضاعف العمل مع انفعال باطني تقول
(خَرْقِيق) لكل ما يعمل خرقاً مضاعفاً وهو مجوف ...

قُتْعَل : خصوصيته الدلالة على الطبقات من الوصف تقول (قُتْر) للرجل الذي
يمخه في طبقات مجازاً . وعلى الأزمة الحائقة التي تكون كأزمات متداخلة .

فَتَعَلَّ : خصوصيته كخصوصية (فَعَّلَ) إلا أنه يفيد مع ذلك وجود فراغ بين الطبقات قول (قُنْدُر) للقدر الذي في طبقات بينها فراغات مما يصلح أن يكون ترجمة لكلمة (diplome) التي تراد في الاصطلاح الكيميائي للوطء على شكل مغرأة النجار والغرض نفسه . . .

فَتَعَلَّ : خصوصيته الدلالة على ما يكون علامة من الوصف بصورة وييلة أو يكون بسبب الوصف قول (فَنُور) بمعنى الذي يسبب النفور العظيم . . .

فَتَعَلَّ : خصوصيته الدلالة على الذي يثبت على وصف واحد . قول (فَنُور) للذئب النفوران وعليه فيوضع للنبوع الحارة التي ترتفع إلى بعد .

فَتَعَلَّوْا : خصوصيته الدلالة على ما يفعل الوصف على صورة بعثرة تقول (رَنَجَزَوْا) أي سيارة تسير في التواء .

الزيادة بالهاء :

هِنَعَوَلَة : ^(١) خصوصيته الدلالة على اشاعة الوصف بحيث ينسب إلى كل جزء على الانفراد تقول (هِرْمُول) للارض التي تشيع الرمال في كل انحائها . وهذا الوزن ليس متفقاً عليه بل أثبتته التحليل اعتماداً على مثل (هِرْمُولَة) .

الزيادة بالواو :

فُعْوَال : خصوصيته الدلالة على العلامة للشيء أو في الشيء ويدخل فيه الدلالة على الأصوات التي تحدث عند انتهاء المحروقات أو التي تكون لحال في الآلات قول (عَجْوَار) أي فيه دلائل على حدث مستقبل و (رُوَّان) للأصوات المنبثة عند فراغ المحروقات . . .

فَوْعَال : خصوصيته الدلالة على الالتفاتات على النفس أو الذات . الناشئة عن القوة كما في الأعاصير والتيارات . وعلى كل ما يعطي هذه الالتفاتات ولو شكلاً

(١) ليس من سيويه بل من ابن جني في التصريف الملوكي ص ١٥ .

والذي يتحرك تحركاً اسطوانياً . ولكن يغلب استعماله في القوى كالكهرباء . قول (دَهْوَان) للدهان الذي يعطي الثقافات لجماعته ومجازاً للرجل الذي كأنه في الثقافات من ثقافته ...

فَوَعَلْ : خصوصيته الدلالة على العمل في الشيء . قول (زَوْفَن) للرقص المتكلف ويدل أيضاً على الشيء . يقوم بوظيفة آلية وان لم يكن آلياً قول (هَوَلَب) للداء الذي يمسح الشعر مسحاً تاماً ...

فَوَعَلَاءَ : خصوصيته الدلالة على مطلق ما يحيل من صفات الى صفات أخرى قول (عَوَظَمَاءَ) للآلة التي تحيل العظم إلى غراء ...

فَعَوَلْ : خصوصيته الدلالة على المتعلق بالنور وأيضاً على النور نفسه و (فَعَوَال) للأكثر تعلقاً أو انارة ...

فَوَعَلَانْ : خصوصيته الدلالة على الذي ينفل بعمل محدثه فيه الغير . قول (بَوَهَزَان) للمضخة التي تدفع الماء أو الغاز إلى مصب أرفع من المنبع ...

فَوَعَالْ : خصوصيته الدلالة على الانفراج في تداخل قول (كَوَبَلْ) للريش المثني نصف ثثن في الحمام والبطة ...

فِعْوَلْ : خصوصيته الدلالة على الآفة مطلقاً ويكثر في الآفة المرضية بدون تخصيص في النبات أو الحيوان قول (عِضْوَل) الداء يصيب العضل ...

فَعْوَلْ : خصوصيته الدلالة على عِظَم الدقيق قول (كَعْوَس) للشخص ذي السُلَامَى العظيمة ...

فُعُولْ : خصوصيته الدلالة على المتكرر تكراراً غير منفصل . أو الموحد من أشياء كثيرة . ويقال منه لدوائر الاسلاك وفصصة الصناديق وهكذا قول (رُمُول) للرمل الذي يعبأ تعبئة على هذا النسق ...

فَعَوَّلَ : خصوصيته الدلالة على ثبوت الوصف ولكن في الالبونات والمطائف
قول (خَشَوْتُ شَب) أي خشب النباتات اللينة ...

فَعَوَّلَ : خصوصيته الدلالة على المواز من كل وصف قول (خَزَوْتُ) للرجل
الذي يعتريه الحزن على صورة منكدة ...

فَعَوَّلَ : خصوصيته كالأول ولكن يغلب في الحس قول (حَسَوْتُ) للذي
يظهر وكان الحسن يمور فيه موراً ...

فَعَوَّلَ : خصوصيته الدلالة على الذي تأتي أفعاله على مقتضى الوصف قول
(شَتَوْتُ) للمبضع الذي يختص بالأعضاء الدقيقة كالجفون ...

فَعَوَّلَ : خصوصيته الدلالة على مضاعفة المبالغة ويكثر في العددي قول
(شَبَّور) للقياس المتبني على اعتبار الشبر ...

الزيادة بالياء :

يَفْعَلُ : خصوصيته الدلالة على الذي يتصل فيه الوصف اتصالاً يظهر في كل
فترة انه ابتداء .

يَفْعَلِي : خصوصيته الدلالة على مثل زائدة (de, de, des) في الفرنسية وهي
تفيد انعدام الحالة أو العمل وتدل على الأصل وابتداء العمل وكذلك وزان
(يَفْعَلِي) ...

يَفْعُولُ : خصوصيته الدلالة على مثل خصوصية (يَفْعَلُ) ولكن في امتداد
واستطالة قول (يَضُووْ) لآلة الضوء التي ينبعث منها التور كذلك ...

يُفْعَلُ : خصوصيته الدلالة على مثل خصوصية (يَفْعَلُ) ولكن في الطبيعي أو
الصناعي يشبه الطبيعي قول (يُتَّقَوُف) للفرخ الذي يتقف في المصنع ...

يَفْعَمِيلُ : خصوصيته الدلالة على مثل خصوصية (يَفْعَلُ) ولكن مع الظهور والغيوبة على التعاقب تقول (يَنْوِيرُ) للنور الذي يفعل هذا الفعل ...

فَيَعَالُ : خصوصيته الدلالة على الشيء تكون فيه وحدة الوصف فيشتق منه المثل الأعلى من كل شيء كالقوة والحركة والحسن تقول رجل (حَيَسَان) فيه وحدة حسن الرجولة ...

فَيَعَالُ : خصوصيته الدلالة على مثل سابقة (bis) في مثل biscuit التي تعيد معنى كون الشيء مفعولاً مرتين أو تعيد معنى (double) كذلك . تقول (ميلال) من مادة (مل) بمعنى وضع في الرماد الحار مرتين ترجمة لكلمة (بسكوييت) وبذلك تكون ترجمة تامة للكلمة الأجنبية ...

فَيَعَالِي : خصوصيته الدلالة على ما يتصل بالماء ...

فَيَمِيلُ : خصوصيته الدلالة على الظلمة أو ما يتصل بها وكذلك (فَيَعَالُ) ...

فَيَعْلَانُ : خصوصيته الدلالة على اتصاف الشيء بصفة تكون لغيره أو تندرفه فيقال لشجرة من الفصيلة تمتاز بشيء غريب عنها تقول (يَيْشْفَان) لكل ما ليس من شأنه أن ينبثق .

فَيَعْلَانُ : خصوصيته الدلالة على ما يتصل بالروح تقول (وَيَلْبَان) للشخص لا يكاد يفعل الشيء حتى يتركه لتصورات فكرية ...

فَيَمِيلِي : خصوصيته الدلالة على النقل إلى المصدر أو إلى الصفة أي تقوم مقام اللاحقة (ness) في التصريف ...

فُعْبَلِي : خصوصيته الدلالة على بذل الجهد تقول (دُرْبَزِي) ...

كَبْعَلُ : خصوصيته الدلالة على البالغ مبلغ النضوج تقول (طَبْعَم) فتاضج العلم

فِعْلٌ : خصوصيته الدلالة على المتخصص بالشئ . تخصصاً بالغاً يقال (طَبِيعُ)
لواقف نفسه على الطبيعيات ...

فِعْلٌ : خصوصيته الدلالة على التنظر المستقبل تقول (خَيْفَ) الذي يخشى
المستقبل ويأخذ أعظم الاهبة له ...

فِعْلٌ : خصوصيته الدلالة على الاحتكام بالوصف احتكاماً يجعله كسخر له
تقول (نَبُوسَ) للذي يتصلب في اتباع القانون وتطبيقه . وتقول (آتَ ظِلُومَ)
خصصت للظلام ..

فِعْلٌ : خصوصيته الدلالة على طلب العلم مطلقاً . تقول (ضَيَّجُمَ) للموج في
العلم يأخذ في الارتفاع .

يَفْعَلُ : خصوصيته الدلالة على الثبوت عند حدود الوصف فقط ...

فَعْدَلٌ : خصوصيته الدلالة على كون الوصف بقوة مولدة تقول (خَلَّدَ) أي
خالد بقوة تولد فيه الخلود ...

فَعِيلٌ : خصوصيته الدلالة على التملؤ من الوصف مطلقاً ولو غير حقيق ...

فَعِيْلٌ : خصوصيته الدلالة على كون الوصف بقوى مولدة عديدة ...

فُعِيلٌ : خصوصيته الدلالة على ذى الهجوم والامتدادات القصيرة تقول
(كُبَّينَ) للعادي في استرسال قصير الامد كالعربات الحديدية الصغرى التي توضع
في طريق الحدائق أو في الجمارك أو في المناجم

فَعِيلٌ : خصوصيته الدلالة على المتصف بالطبع تقول (حَجَّينَ) للذي عوجه
طبعي ...

فَعِيلٌ . خصوصيته الدلالة على المتصف بالتمكن تقول (حَجَّينَ) للذي عوجه
عن آفة متمكنة ...

فُعْمِيل : خصوصيته الدلالة على النباتات الحيوانية أو الحيوانات النباتية . وكل ما هو حلقة اتصال تقوم لتمثيل فترة انقلاية ويدخل فيها أيضاً الدلالة على فترات الانقلاب في العناصر تقول (سُمَيْك) أي السمك في الحالة الانقلاية . . .

فُعْمِيل : خصوصيته الدلالة على الذي يمسك الشيء . تقول (مُسَيْك) للآلة التي تمسك ابرة الخياطة في (الماشين) المسماة (afikeu) . . .

فَعْمَعِيل : خصوصيته الدلالة على الطبع اللازم على اضطراب من الوصف وبعبارة أخرى على الطبع المضطرب من الوصف . . .
وهنا تأتي على أوزان أخذنا فيها بالتحكيم وان كان لها وجه اعتباري على غموض.
خصصناها بالعلوم

أوزان كيميائية

فُعْلِيل : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (كومبوزي ينار او كسجين) .
الذي يعرف بكلمة (اوكسيد) قبل الاسم الممتزج ولكن للدلالة عليه يضاف اليه التاء المتحركة ويصير الوزان (فُعْلِيلَة) . واما بالتجريد من التاء فيخص للدلالة على القسم من (الاوكسيد) الذي من خاصيته أن يتحد مع الماء . لأجل أن يعطي حامضاً (اسيد) ويسمى في الأجنبية بزيادة (ique) على آخر الاسم الذي يتحد مع (الاوكسجين) تقول بدل قولهم (خليك) . (خَلِيل) . . .

فُعْلَيْت : خصوصيته في الكيمياء . الدلالة على (كومبوزي ينار ايدروجين)
ولما انه قد يصادف في عداد (الكومبوزي ينار ايدروجين) انه يحوي خواص (الاسيد)
الحقيقي ويميز باسم (ادراسيد) ويسمونها في الأجنبية بزيادة (اسيد) على الاسم
المتحد مع الانتهاء (hydrique) مثال ذلك (اسيد كلوريدريك) نصتبح زيادة التاء
لهذه الفارقة فتكون (فُعْلَيْتَة) . . .

فَتَعَيَّل : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (الكومبوزي بينار ني اوكسجين
ني ايدروجين) أي التي لا هي ايدروجين ولا هي اوكسجين . وتميز في الاصطلاح
الكيمي بالانتهاء (ure) متبوعاً باسم الجسم الآخر مثل (سلفيد دي كاربون) ...

فَعَيَّل : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (اسيد) ...

فُعَيِّل : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (الباز) الذي يحصل من امتزاج
(اوكسيد) معدني مع الماء ...

فُعِيل : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (الاملاح الاوكسجينية) ...

فَتَعَلَّل : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (الالياج) أي للمعادن المخلوطة ...

فُعِّل : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (امليج) أي المعادن المخلوطة
بالزئبق ...

فُعِّل : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على اللاحقة (eux) التي تضاف على
الاجسام التي لها (فلانس) متغير . وتقدر أن تؤلف مع جسم آخر اثنين من
المتزجات الثنائية ...

فَعَلَّن : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (مونوفلانس) أي ما كانت نسبة
الايدروجين في شبه المعادن واحد ١ .

فَعَلَّن : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (ديفلان) أي ما كانت نسبة
الايدروجين اثنين ٢ .

فَعَلَّن : خصوصيته الدلالة على (تيريفلان) أي بنسبة ٣ .

فَعَلَّن : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على (تترافلان) أي بنسبة ٤ .

فَعَيَّلَل : خصوصيته الدلالة على ما يقوم مقام (بروتو) في الاجنية ...

فَعِيلٌ : خصوصيته الدلالة على ما يقوم مقام (سكي) ...

فَعَلِيلٌ : خصوصيته الدلالة على ما يقوم مقام (تري) ...

فَعِيَالٌ : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على الامتزاج ...

فَعِيَالٌ : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على الاتحاد ...

فُعَالٌ : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على التركيب ...

فُعَالٌ : خصوصيته في الكيمياء الدلالة على التأليف ...

أوزان عديدة

فُعْلٌ : خصوصيته الدلالة على الأحادي قول (عُقْدٌ) لما فيه عقدة واحدة الى عشرة ...

فُعْلٌ : خصوصيته الدلالة على العشري قول (عُقْدٌ) لما فيه عشر عقد الى مائة

فُعْلَانٌ : خصوصيته الدلالة على المثوي قول (عُقْدَانٌ) لما فيه مائة عقدة الى الف ...

فُعْلٌ : خصوصيته الدلالة على الألفي قول (عُقْدٌ) لما فيه الف عقدة الى المائة الف ...

فُعْلٌ : خصوصيته الدلالة على ما فوق المائة الف قول (عُقْدٌ) لما فيه مائة الف عقدة الى الف الف ...

فُعْلَانٌ : خصوصيته الدلالة على الف الألف فما فوق قول (عُقْدَانٌ) لما فيه مليون عقدة الى المليار ...

- فَعِلَ : خصوصيته الدلالة على المليار تقول (عَقِدَ) لما فيه مليار عقدة ...
- فَعَلَّانَ : خصوصيته الدلالة على أقصى العدد تقول (عَقِدَانِ) لما فيه أكثر من المليار إلى أقصى العدد ...
- فُعِلَ : خصوصيته الدلالة على الجزء مما يقسم إلى الوصف تقول (عُشِرَ) الواحد من العشرة و (سُبِعَ) للواحد من السبعة .
- فُعِلَ : خصوصيته الدلالة على نصف الجزء مما يقسم إلى الوصف تقول (عُشِرَ) لنصف العُشْر أي الواحد من العشرة و (سُبِعَ) لنصف السُبُع أي الواحد من السبعة .
- مِفْعَال : خصوصيته الدلالة على النصف تقول (مِشْهَار) أي نصف شهر يقال (مجلة مشهارية) ...
- مِفْعَل : خصوصيته الدلالة على الربع تقول (مِشْهَر) أي ربع شهر يقال (مجلة مِشْهَرِيَّة) للمجلة الأسبوعية ...

في الحيوان والنبات

- فَعَّال : خصوصيته الدلالة على سائس الحيوان أو المتخصص به وكذلك في النبات تقول (أَسَاد) و (نَمَّار) وهكذا وفي النبات (زَهَّار) و (وَرَادٌ) أخذاً من قول العرب فيل وفيَّال وغيره ...
- فَعَلَّ : خصوصيته في الحيوان الدلالة على المشي بذات العضو الذي منه الاسم تقول (رَجَل) أي مشي على الرجل و (رَكَبَ) أي مشي على الركبة تقول (مشي الرُّكْبَ) أخذاً من قول العرب (مشي الكُوعَ) أي مشي على الكُوع ...
- هذه طائفة من أوزان الثلاثي في العربية . وليست هي كل ما في اللغة . وإنما أثبت منها ما رأيت . واقتصرت عليه نظراً لشيوعه وكثرته النسبية في مواضع

العرب . ولم أعرض إلى شيء من زئات الرباعي الأصلية . لأن كثرة كما ترى يمد بها الثلاثي لا تدع حاجة إلى مزيد .

ونحن أولاء نرى كيف يكون غنى الاشتقاق العربي . وكيف تعود عروية اليوم على مثل قوتها يوم كانت للعرب القدامى . .

ونرى من خلال هذه الكثرة السر الصحيح . لسمة العربية في قديم ما كانت وليس إلى شيء آخر أبداً . كما تحقق من الدقة التامة في وضع كل شيء بحسبه واعتباره وربما كان هذا لا يمحتمل نزاعاً وتحت نظرنا . مجموعة كاملة من دورات مختلفة للجذر المادي الواحد . سواء في التقاليد أو في الزيادات التصريفية حتي ينتظم في تطورات ثابتة النسب قوية الحياة . .

وكما ذكرت في غير ما مناسبة ان ما أقرره من خصوصيات هو جهد يحقق امكان الأخذ وسلامة التطبيق . وان كان عمق الدرس وتفوذ البصيرة والأناة عليهما يدني الحقيقية أو يدني اليها وهي غاية الشدائد . . .

المجمع ضرورة !

أما ان المجمع ضرورة فهذا مالا شك فيه . واما انه حاجة من حاجات اللغة والأدب فكذلك لا تجد من يتنازع عليه . فهو من اللغة بمنزلة السمع والبصر . يرى بدقة بحيث لا يختلط عليه البصر . ويسمع بدقة بحيث لا يذوي عليه السمع . .

وتهذيب العربية المنشود . تكون الحاجة شديدة إلى مؤسسة تعمل على هذا الطراز خصوصاً والعربية في مرحلة تطور خالصة . لا بد أن تستقر في النهاية على شكل من أشكاله . أولى أن يأتي موزوناً لا يدعنا نفرغ إلى ثقافتين علمية ولغوية . نحتاج في كليهما إلى فضلة مجهود ربما كان فيما دون الثانية أقل اعتياصاً وأيسر أخذاً . .

وحيث كان المجمع عند ما نظن من خطره وأهميته . وان غايته أن يتقدم باللغة على سنة الارتقاء . لا أن يرجع باللغة إلى الوراء على سنة التخلف . وإذا كان الشأن تطور كل شيء على نسق يتزع به إلى الاصلاح . كان حتماً أن يعمل المجمع على غير

نظامه الذي أخذ نفسه به . وطبع وضعه على غرارده . فما المجاز ، ولا التضمين ، ولا التجريد ، ولا شيء وراءها من النقل والاصطلاح بمن قبلاً فيما حبل وفيما عهد إليه من أمر اللغة .

وأنا هنا لا أعني مجعاً بعينه . ولا أشخص بنظري إلى مجمع واحد . بل أعني كل المجمع التي انشئت من مثل نادي دار العلوم القديم ، ومجمع القاهرة ، ومجمع دمشق ، ومجمع بيروت ، والمجمع الملكي . أو التي يراد انشاؤها . فانه لن يتأتى لها الاتاج الموفور . وهي قائمة على دراسات سيمر بك ما فيها من نقص كبير وخطأ محض وملاحظ واضحة . . .

وأنا لا أدري أي معقول في محافظة المجمع على (السماع) الذي معناه على المكشوف على ما تنذره بعض^(١) أفاضل المغاربة (اسمع ولن تسمع غير ما سمعت مما يكون الجواب المنتظر عليه . إني لن أسمع ما قد سمعت وانتهيت) ونحن وإن كنت متجدد إنا نقر السماع ولكن بمعنى غير معناه . ووجه على خلاف وجهه .

ومن ثم بدت خطة المجمع ملتوية ضعيفة . ووقية أيضاً . لا تداوي الآفة وإن تكن قد تخدر الألم . وهي محافظة في ناحيتين لا يتأتى لها السير معهما إلى النهاية .

(١) القواعد وأخذها على علائها بدون مناقشتها إلا على نحو شكلي صرف ..

(٢) فرض المعنى في مقدار ما ورد من اللفظ . ميزانه وهيئته وبنائه .

هاتان الناحيتان اللتان أفضنا بالكلام عليهما في شتى المناسبات من المقدمة . فلا نعيد مرة أخرى لئلا ينقلب الحديث شططاً ونجاوزاً ممجوجاً .

وفي الحق لن يستقيم سير المجمع بما يضمن حاجة العربية وتقوم بالذي عهد إليها على أحسن الوجوه . إلا بأن توحد النظر على إعادة درس العربية مرة أخرى وتصحيح القواعد على مقتضى هذه الدراسة . ولست أعني أن تكون النتائج التي انكشفنا عنها

(١) هو الامير الجليل المرحوم خالد الجزائري . نافخ الروح الوطني في الجزائر . وكان ضمني به مجلس قتناولنا اللغة في بعض اطراف الحديث . وبحق كان رحمه الله نادرة نادرة .

هي النتائج المحتومة والمتعينة . فاني انبهت غير ما مرة إلى أن عملي هذا لا يعدو الأداة التي تعرّف بالسيل والتمد الذي يدل على النبع .

على أن الذي يعجب له من أمر المجامع توفرها على معالجة المفردات وحدها وكيف تضع منها وتضع عليها . بينما هناك جهات أخرى من حاج العربية تستدعي معالجة . ووقوفاً طويلاً . وبالأخص حينما نأخذها مع لهجات العرب العصرية التي يقتضى درسها بدقة . وتفهمها ببيان متعل . والا ان كانت كل غايتها معالجة المفردات وحدها . فما أضالها غاية . وما أغنانا عنها نتيجة .

والدراسات التي يجب أن تفرغ إليها المجامع وتجمع هدفها فيها . عدا الاشتقاق الذي هو هدف رئيسي وغاية أولى . تنحصر في أمور :

(١) تأريخ المفردات وتنويعاتها واستعمالاتها على التاريخ . وهذا يفرض الانتشار الواسع على كل شاعر أو أديب . واحصاء كل ما انفرد به من جديد اقتضى تطويراً في الكلمة بأشراكها معني غريباً أو بنقلها بملحظ اعتباري . على معنى أن نفرد كل شاعر أو ناثر بفصل تتناول فيه أثره على اللغة من جهة ما انفرد به من تطوير على المفردات أو الاستعمالات .

(٢) تأريخ المؤكّد . والكلام على مولده ومنشئه ومرباه .

(٣) درس العامي والعامية . وكيف تم نشوؤها . والأسباب التي أفضت اليهما . ومقدار اختلاف اللهجات الحية اليوم . وافراد كل واحدة منها بالدرس ودرس الفاظ الاختلاف بينها . وتعيين مصدرها الذي تنظر اليه . . .

(٤) طريقة المرحوم (حفي فاصف^(١)) في درس اللهجات لوقتنا . والاستدلال منها بالمقايسة على توزع القبائل هنا وهناك . وهذا الدرس يفيدنا من وجه آخر فائدة جلي . لم يرم اليها المرحوم . وهو الوقوف على مقدار الاختلاف القبلي القديم بالنسبة إلى العربية العريقة . ومن ثم يمكننا أن نفهم تماماً المقدار الذي كان عليه الاختلاف مما يضع أعلاماً ومقادير ونسباً محدودة للتفاوت فلا يعود لقائل

(١) راجع رسالة (مميزات لغة العرب) له

أن يقول من وراء التقدير ما شاء في اختلاف اللهجات وأثرها في اختلاف الكلمات .
وطريقة معرفة هذا بسيطة جداً يأخذ المفردات التي تتفق عليها اللهجات العامة
في المناطق العربية . ورقوب مقدار الاختلاف فيها وفي مخارج حروفها . على شرط
أن تعزل اللهجات الشديدة التأثير بالأجنبي . كعمرية المغاربة في المغرب الأقصى
والجزائر لظهور البربرية فيها على نحو بارز وعربية أطراف العراق . لا على معنى إهمالها
من هذه الناحية بل على معنى أفرادها بالدرس العميق لتحديد مقدار تأثير اللغة باللغة
بعد تشخيص مقادير الاتصال . وهذا يوضح لنا مبلغ تأثير لغات القبائل القديمة التي
كانت تجاور في أطراف الجزيرة أجنب من أم شتى .

وبالجملة فهي طريقة أخرى تباين طريقة (ناصف) . إذ الاستدلال عنده طردي
حين يعقد من التشابه الحاصل بين لغة مناطق من العرب الحاضرين وبين لغة قبائل
من قدامى العرب . جامعة واحدة بحيث يقدر معها اتساقاً يبني عليه أن هنا حطت
قيلة كذا الخ .

وأما هذه الطريقة فهي تعقد من التشابه عين تلك الجامعة ولكن لتبني عليها
فهم درجة اختلاف اللهجات الغالبة بالقياس على الحاضرة . بادعاء أن ما قدرها تسمية
هي كذلك تسمية نفهم عنها لهجة تميم القديمة ومقدار ما به تختلف عن غيرها من
لهجات القبائل . وعلى ضوء هذه الطريقة الجديدة يمكننا أن نميز بعض الشيء ما أغفل
الرواة تميزه بالنظر إلى اللهجة فقط دون البناء . وهي طريقة تحقيقية نرسلها هنا . وهي
جديرة بالدرس والتفسير حتى تأخذ صبغة من التحقيق بحيث يقال عليها الأسلوب
العلمي التاريخي . وإنما أدبناها في قرن مع طريقة (ناصف) . لأنها تصدران عن
اعتبار أولي واحد . وإن كانتا مختلفتان في الغاية على مثل التباين . وبالجملة فهو أعمال
لاعتبار واحد على جهة الطرد والعكس .

(هـ) العمل على ترقية العامية إلى العربية بشتى الوسائل . فانه من الضرورة
بمكان . وهنا أورد فكاكة اقتصادية أرسلها المرحوم (حفي ناصف) في محاضرة^(١)

(١) راجع مجموعة الخطب التي ألقيت بنادي دار العلوم القديم سنة ١٩٠٨ ص (٨٨) .

حول موضوع (تسمية المسببات الحديثة) قال (وعلى كل حال فالجمع بين العامية والفصحى يستنفد خمس عشرة سنة من عمر المتعلم . فإذا تحققت الآمال وصار التعليم إجبارياً . فكم تخسر الأمة كل سنة من أعمار أفرادها . فإذا أخذنا المعدل السنوي للمواليد وهو (٤٧٠.٠٠٠) وطرحنا منه معدل وفيات الأطفال الى سن العشرة ونفرض أنه النصف (٢٣٥.٠٠٠) يكون عدد الباقين (٢٣٥.٠٠٠) نضربه في عشرة أعوام وهي ما يخسره كل واحد فتكون النتيجة أن الأمة تخسر في كل عام عمل شخص واحد في (٢.٣٥٠.٠٠٠) سنة وبعبارة أخرى يفوتها ربح زراعتها (١.٢٧٥.٠٠٠) فدان على فرض أن الفدان يزرعه اثنان . فبا ضيعة الأعمار تنشي سهلاً) .

وهو يقترح شيئاً لا يقترحه لاحراز هذه الكمية الكبرى من السنين . يقترح نحو العامية واحلال العربية محلها في السوق والبيت والمدرسة . مما هو - حُلُمٌ يصبح الانسان منه على ذكره . ونحن نقترح ترقية العامية على معنى غزوها بالمفردات الفصحى . وفي الواقع ان شيئاً من هذا أتى عَرَضاً بانتشار الصحافة العربية حتى بدن العامية العربية . أفصح من عربية (الجبرتي) الفصحى التي استعملها لغة تأليف . وخذ أية مجلة تكتب بالعامية الصرفة . فلا ترى كبير فرق بينها وبين الفصحى إلا بالاعراب ومفردات أخرى تكاد تكون معدودة . فإذا أخذت المجامع بالحزم واستعملت مشوقات بنشر أطرف الألفاظ وأترفها . فلا تلبث العامية أن تكون عربية زایلها الاعراب فقط . ومن ثم لا يبقى في المحيط العربي . لغة حديث ولغة درس . بل تصبح لغة واحدة تقريباً . أهم الفوارق بينهما كما قلنا أو أكبرها الاعراب . الذي ترى الكثيرة المتعلمة تتخفف منه في المحاضرات والخطب أحياناً بله الحديث . وليس معاني بهذا اني أرمي إلى الغاء الاعراب من العربية ولكن أقصد انه فارقة ليست بذات خطر . حتى وجدنا من الأولين^(١) من يحدث أن نكتة قد لا تحسن إلا وهي غير معربة فإذا اعربت بردت وسمجت . وساق لها قول مزيد المدني (وقد أكل طعاماً

فأثله قَبِيلُ له قَبِيَاءُ يذهب ما بك فقال : خبز نقي ولحم جدي والله لو وجدته قبي .
لأكلته . فلو اعطاه حقه من الاعراب فقال : خبز نقي ولحم جدي والله لو وجدته
قبياً لأكلته لخرج عن حده وأُثْلَجَ في برده .

وكان من المتقدمين من لا يكاد يتكلم بالاعراب وهو (ابن خالويه) الممدود
في أئمة الادب واللغة كما حدث عنه ابن الاثباري والسيوطي .

وبهذا يتحقق ما طالما صوبنا اليه من توحيد اللغة ووضع حد للخلاف الطائش .
الذي نأري يوماً غباره ذا كنا بين اللغويين في . هل الأولى إحلال العامية محل العربية
بكل صلاحياتها ؟ فتقلب وهي لغة علم وأدب . أو الأولى القضاء التام على العامية
حتى في طبقتها الدنيا واهاجتها في التعبير ؟ .

(٦) التوفر على دراسة المجموعة الأدبية في أقدم تاريخ الأدب . سواء الشعري
والنثري وتزييف المدخول والمنحول فيها . وإحلال موازين وافية بالعرض من
تميزه إما بالنص أو بالظاهرة النقدية . وكذلك درس المجموعات الشعرية الأخرى
بحسب تسلسل التاريخ الأدبي عند العرب . ويتوضع هذا الدرس بتناول الجديد من
الأوزان والبحور المستحدثها أدباء كل جيل . ليفرغ في النهاية إلى دراسة مجموعتنا
الشعرية التي هي أغناها بالتجديد والافتنان . وإن كانت لم تستقر بعد على وجه عملي .
بما فيها الأزجال والمواويل والمعنى والقرآء . والحق أنها جديرة بالدرس فهي غنية من
الناحية الأدبية . خصبة أشد الخصوبة . ولا بأس من أن أورد (موالاً) على
البغدادى (لقوال)^(١) يروني . يذكر فيه بمضض وحرقة خيانة الجيرة وذوي القربى .

« لَرَكَبَ مِنَ الْبَحْرِ لُجْجًا وَأَسْرَجَهَا بَعْدَهُ »

« وَلَخِقْ بِهَادٍ وَتَمُودَ الْمُوحِشَاتِ بَعْدَهُ »

« وَهَجَرَ دُبُوعِي وَهَلِي أَلْفِينَ عَامٍ وَبَعْدَهُ »

« عَنْ جِيرَةٍ قَطَّ مَا لَهَا صُرُوفٌ اغْدِلِ »

الذي هو بحق أبرع ما قيل في معناه المقصود . وهو في تصوير الرجوع إلى الماضي . والعودة إلى ضمير التاريخ السحيق في أبدية الغابر أفتن من (شوقي) في قوله (١) .

« وَطَوَى الْقُرُونُ الْقَهْقَرَى حَتَّى أَتَى فِرْعَوْنَ يَتَنَ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ »
على دهشة ما طالع به (شوقي) . ووجهه ان (القوال) يتننى على الدهر لو يركب من البحر لجة مسرجة ويلحق عليها الماضي مع وجهه إلى أعماق المغاور . حيث تقطن قبائل عاد وثمود في موحشات البعد السحيق . ومظلمات الأبدية النائية : هذا التصوير الذي بلغ فيه غاية الافتنان بالتعبير (بالحق وموحشات) . ثم يزيد الصورة خلجاً بقوله (وأهجر ربوعي وأهلي الفين عام وبعده) تأمل بدقة المهاجرة بعيداً عن الأهل والربوع في أنفاق الماضي . حيث يكون حازم الزمن صفيقاً بمقدار التي عام . ثم قول (شوقي) على براعته المتمثلة في الاسناد إلى المكتشف بعبارة (طي القرون) لا نجد فيه شيئاً من الزيادات التي يطرئنا بها (القوال) بوضوح وظهور وقوة . وان كان لا ينكر جُماع القدرة عند (شوقي) في (بين طعامه وشرايه) . وفي الحجاز نوع آخر من هذا الشعر يدعى (المجرور) وهو مليء بأترف الصور الجميلة التي يجيء عرضها في الفاظ تكاد تعدل أحسن الشعر كل الشعر . إلى غير ما هنالك مما دعى إلى إبراد مثل منه . يان ان عملاً من هذا القليل لا يكون عادم الثمرة الأدبية من حيث هو كثر مليء بالطرف العبقرية . عدا عن الثمرة الفنية التي تعيننا موضوعياً من حيث هو شكل من الشعر العربي المصري .

(٧) درس الأمثال العربية بما فيها العامة . فانا تقع أحياناً بين تضاعفها على ما هو أسمى من كثير من المثل العربي الفصيح . وكما يخيلني مثل يقال هنا في (مصر) كناية عن طهر الطوية وبراءة الجانب وهو (باطي والنجم) . وفي الحق انه جميل متين التأدية مما يقل مثله في فصيح العربية جامعاً بين وضوح الكناية . وقوة الأسلوب . وبفضل تأمل يسير في الوصل بين الابط والنجم تقع على براعة البيان .

(١) من قصيدة (كارنارفون) ج ١ من الديوان .

(٨) تلخيص الدراسات العلمية والمنفردة التي قام بها العلماء الأولون على طيلة عصور الدرس . وتصنيفها بحيث تكون وحدة ويكون من مجموعها تاريخ لفكرة اللغوية على وجه مفصل . ومرتبة على طبقات يتجلى معها تمام تطور الفكرة وكيف تكاملت . . .

(٩) الوقوف بالمرصاد للاستعمالات والمفردات التي تنقل من معناها الأصلي إلى معان جديدة بحيث تفقد العلاقة اللازمة للاعتبار . . .

(١٠) تشجيع الرحلات الأثرية للقيام بحفريات في الجزيرة بحيث يكون للمجامع مساهمة في اعداد التاريخ العربي القديم كما بدأ المصري يتم درس تاريخ المصريين القدماء . . .

وبعد فلم يعد من الصعب تناول هذه البحوث بعد أن قام المستشرقون بجزء كبير منها . فنحن نعتد ما انتهوا اليه فيما يرى صحيحاً ونكل العمل كما ان تحقيق اللهجات الحية يبدو متيسراً بأعضاء الشرف الذين ينتخبهم المجمع من كل قبيل . ثم اذا وضعت قواعد الاشتقاق . على التهجج^(١) الذي بسطنا من أمره . وقرر في موازين^(٢) العربية جميعها الشائعة والنادرة . مخصصة بخصوصيات تقوم مقام التركيب في اللغات الأجنبية . وأحكام التعريب^(٣) في قواعد واحدة فلا يعوز الوضع على المسحوبات الحديثة إلى كبير عناء وعظيم مجهود مما تقوم به لجنة قليلة العدد في فرصة محدودة . . .

المجمع والمصطلحات العلمية ! .

هذا قصد له مؤيدون وله خصوم . وله أشياع وله مستنكرون . وليس لي الآن أن أورخ له . لأن تاريخه من هم من تخصص وانصرف بالموضوع إلى فقد الحركة الأدبية المعاصرة . وهو طبيعي أن لا يكون غرض من تخصص هنا للدرس الأصول

(١) راجع القسم الثالث من المقدمة

(٢) راجع فصل (داء العربية ودراؤها) السابق ص (٥٣)

(٣) في فصل (التعريب) من القسم الثالث من المقدمة .

الاشتقاقية والقاعدية . لولا أن الموضوع في صميمه يعني شيئاً آخر له مساس ببلغ ما نأخذ به . وهذا بدون ريب يدعونا إلى إبداء الرأي فيه وخصوصاً حين بدا على غموض شديد في محاورة الطرفين . أي لم يتخذ الطرفان هدفاً معيناً في التنازع . ولذلك جاءت النتيجة على نوع من المفارقات . وأرى ضرورياً من أجل تحديد الموضوع . أن أتكلم عن غرض انبعاث حركة المجامع . وفي غير إقاضة أقول بأن القصد الأسمى منها كان العمل لاعداد لغة قومية شاملة في مفرداتها واصطلاحاتها الاستعمالية . التي تجري مجرى الوسائط في تأدية الغرض العلمي . وقد تشكل هذا القصد القومي في محاورة الطرفين بشكل علمي قلها إلى غير سبيلها فكان قياس على المجامع الأوربية . وهذا ما كان يجب أن يتحاشى لأنه خطأ من حيث النظر الموضوعي وسيمر بك وجه خطئه . . .

وبعد فإذا علمنا أن القصد قومي قبل كل شيء . كما هو الشأن في حماية اللغات عامة . كان ضرورياً أن تترك للواضع للعربي حريته ليضع كل شيء ما دامت اللغة القومية بمنزل عن اللغة العلمية لا تأخذ عليها سبيلها . . .

ولأجل أن يكون ما أعنيه شديد الوضوح . أنساق مع الكلام في وجه آخر . فأقرر بأن منطق مناصري المجامع يقرر غايته في غير مساس ولا مزاحمة للغة العلمية (التي يريدونها تسميتها طلية) على معنى أنهم يريدون أن يعدوا من العربية لغة شاملة لكل ما يطلب منها . غير متخلفة في استعدادها عن أي مضمار من مضامير الحياة . صالحة لأن تبث كل شيء على أن تمثله تمثيلاً يعود بتكاثر الخلايا الحية فيها . مما يحفظ وجودها ويجعلها شاعرة بكل ما في الاجتماع على أدق كونه . لا أن يكتفى منها بتناول توافه الحياة اليومية على وجه لا تتخلف عنه البربرية نفسها . وكذلك يريدونها لغة تحبب اليها أبناءها والناطقين بها بسرف ، لغة يقعون منها على كل ما يطلبون في غير إرهاق ولا عناء وفي غير فقر ولا معجزة . ولا مناص لنا عن هذا القصد ما دامت غايتنا أن نعم الثقافات وترتفع بالمستوى العام . بازاء ما يتطلب الاجتماع اليوم . ومن الخطأ جداً أن تبقى المصطلحات العلمية (ما دامت الغاية قومية) مع ذلك في إهابها الأجنبي المرعب يدب حياً جباراً في جسم العربية . الذي هو ضرب من استعباد اللغة

ومن ثم ندرك ضرورة تناول العربية لكل الأشياء ما دما نريدها لغة لنا . وغنى العربية على هذا الوجه لا يعني القضاء على اللغة العلمية بين الاختصاصيين ضرورة ان التكيل اللغوي شيء . والاتفاق بين رجال الاختصاص على متواضع ما . شيء آخر . فاللغة للأمة جميعا . والاصطلاح لذوي اعتباره . فدعوتنا نحن محصورة في أن تستكمل اللغة كل ما يدعوها للبقاء وليس للبقاء . فقط بل للبقاء السري أيضا . وأن تكون على استطاعة لتناول الأشياء مهما استدقت بصورة عربية بحتة تخدم الأدب والعلم معا والفن والصناعة سواء .

وأما إذا تنكبنا هذا الطريق إلى منطق الجماعة . فعناء اننا لا نستطيع يوما من الأيام الوصول إلى أسلوب ثقافي صحيح وخالص من العربية . ضرورة عدم وجود كلمات تؤلف الاسلوب . لذلك كان من التغير العظيم أن ندفع بالعرب في مثل هذا المضيق الذي يضطر كل متقف على أية ثقافة كانت . أن يستخدم لغة أخرى في سبيل تكويته .

وهذا هو السبب الذي أهاب بجماعه اللغة . منذ أن كانوا يعملون بدافع أنفسهم إلى أن انتظموا في مؤسسة رسمية تعمل تحت اشراف دوائر نظامية .

فكان قصدهم الأول إعداد العربية كلغة قومية وافية . وما عليهم بعد ذلك إذا كانت جماعة الاختصاص تنفق عاليا على الفاظ بينها تكون برسم العلم : وهذا شيء نظيره في كل اللغات الحية . خذ معجما (كويستر أو لاروس) تقع على ما يجاوز العدد من الكلمات النباتية وسواها . التي يذكر مصطلحها العلمي ثم يردفه بالإنجليزية أو فرنسية المدلول البحت . مما تنقلب منه بالذي نريد تقريره من أن استيفاء اللغة من حيث هي لكامل التأديبات شيء آخر غير الاصطلاح . وهذا ما ينبغي اعتباره وقاء بحق العلم واللغة . ولا يتل بضخامة البرنامج اللغوي الذي يكلف المتخصص بمخاطبه . لأن معنى التخصص الاتساع في الفرع موضوعا ولغة . على انه كشيء متزع من صميم الاختصاص فلا يكون مرهقا كما يتوهم . والخلاصة إنا نشابع الفئة التي ترمي إلى وضع كل شيء على أن يكون وضعا خاليا من الشوائب . صحيح التحديد والشمول .

اقترح ومناسبة

تسعى حكومات الشرق العربي بمجد كما يظهر . إلى غاية توحيد الثقافة وتقريب الأواصر المعنوية والروحية . حتى يكون منها في خاتم الأمر وحدة تنتظم الأهواء والميول . وتهتضم الفوارق في تجاهل مطلق . وهذا بلا ريب لا يتم إلا بعمل مشترك تغذيه حكومات هذا الشرق العربي الواسع . تغذية حقة لا تقتصر على التمثيل بل تساهم مساهمة فعلية تشمل الصرف والافاق أيضاً .

لذلك كان على حكومات الشرق العربي أن يعنوا بفكرة المجامع عناية خاصة . إذا كان من قصدهم حقيقة تبادل الثقافة على شكل تكون منه وحدة ثابتة في الافكار والميول والأهواء . وأما رأينا أنه يتم كذلك على وجه محقق . من حيث ترى كل حكومة في تشريعها ومصارف أموالها . شيئاً بارزاً يسود نغمه على كل الاقطار العربية مرفوعة التخوم والحواجز . ويرى كل عربي أن له الحق فيها من حيث كونه يساهم في المشروع .

وأرى وجوب الاشتراك في أمور ثلاثة . اللغة . والقانون . والثقافة العامة . وذلك بأن تنشأ مجامع أو نواد أو مؤسسات سمها بأي اسم أردت . تغذى بأموال الحكومات العربية قاطبة بدون استثناء وتعمل في نواح ثلاث :

(١) اللغة . فينشأ مجمع يختص بها ولا حاجة لأن يكون غير المجمع الملكي المصري . ولكن على وجه أن يغير في قانون ادارته بحيث يتوافق مع المصالح المشتركة . وأما أن تقوم به حكومة وحدها كمصر مثلاً . فعدا عن أن المشروع قد يأتي يوم يلنى فيه . يأخذ على مر الأيام شكلاً إقليمياً يجعل احترامه في منطقته فقط مما يظل معه موضعي الفائدة والانتاج .

(٢) القانون . فان الظواهر القوية الواضوح في حياة الامم . وصيغة الاجتماع التشريعات الخاصة بالعموميات . ومن ثم كان ضرورياً (ان كنا نقصد تحقيق الاتحاد العربي على وضع عملي محض) العمل على انشاء مجمع قانوني أو فقهي يضم النخبة الممتازة من الاقطار العربية الحائزين على صفة رسمية . للتواضع على القانون العام مرعياً

في القواعد الأساسية . التي تكاد تكون مشتركة بين هذه الاقطار عموماً . ويكون عمله بحيث لا يصح لأية حكومة بعد تصديقه المشترك من أن تنفرد بسن القوانين الأساسية أو بتغييرها . إلا بعد أن يبدأ المجمع فيعطي رأيه . ومن بعده تعرض على المجالس التشريعية لكل حكومة حتى يأخذ صفة القانون النافذ في الموضع . وينفذ أيضاً بأموال الحكومات العربية جميعها .

(٣) الثقافة العامة ونوعي بها مؤسسة الترجمة التي تكلمنا عليها فيما سبق من المقدمة (١) فلا نعيد ثانية هنا . . .

وقد راجعت بهذه الفكرة كثيرين من ذوي الشخصيات في المحيط العربي . ولكن كان من أحدهم ما لم أكن أنتظر . حين فاجأني بمركز هذه المؤسسات الذي يفرض على الاقطار العربية أن تأخذه بنظر جد ممتاز فتدوب في حُجى بوقتته تماماً . ثم انتهى إلى أن هذا لا يتم الاتفاق عليه بسهولة . وأن معنى الوحدة التي نلصق عند المجمع استعداداً لتحقيقها والتي تلاقي دعوة جدية اليها . أن تكون مبنية في عناصرها على قاعدة العرض والتبادل (تأخذ وتعطي) ومع أن منطقاً على هذا الوجه بدا مجرباً إليّ . اقترحت عليه لحل هذه المشكلة أن يكون مركز كل مجمع منها عاصمة القطر الذي يقوم بتحمل نصف ميزانية المشروع . فقال ولا كذلك . ولكن على كل أصبح له اعتبار معقول . . .

المعجم كيف نضعه ؟ .

كنت أروم أن أتسع بالكلام على تاريخ المعاجم في العربية . فأتناول منها كيف بدأت والأسباب التي هيأت اليها . وكيف كان تقييد الرواة لفردات اللغة وشواردها إذ كانت المعاجم على الترتيب الهجائي من عمل النحاة . ولكنني أقصرت لما أن الموضوع تناوله كثرة مستشرق وعرب . بيد آتي أشير هنا إلى ملاحظة بدت

لي في تاريخ المعاجم قد تعبر عن ناحية غامضة وتفسرها بعض الشيء وهي أن فكرة المعاجم كانت نهوية أي من صنيع نهويين . ومنزعة من صميم اختصاصهم . فلم تكن في خاطرة الرواة ومن اليهم ممن اتسموا بالنحو إلى جانب الرواية أو بعبارة أدق عند طبقة النحاة الذين كانوا قبل أن يكون النحاة علماء بأصول . فكان علينا إذن أن نترك سراغاً ما قبل الخليل ونقف عنده . لأنه أقدم من عرف له معجم واسع المادة يتناول من اللغة أشياءها الجملة في شيء من الحصر أو في حصر حقيقي على الحروف .

ولكن يتساءل هنا في نحر وحذر عن فكرة الكتاب . وكيف نبنت ونمت في نفس الخليل . واستقل بعدها . وهو تساول جدير بالدرس وجدير بتوفير النظر الخليقين بأن ينكشف من بعدها سر الكتاب . ونحن في غير اطمئنان إلى الشك نجد مما يقوي فكرته وجوهاً :

- (١) خروج الكتاب عن يد فارسية بجملة . مما لا يكون بعيداً عنه الظن بأنه نتيجة جهد غير عربي أو على الأقل لا يفكر بفكر على طراز عربي خالص . . .
- (٢) ترتيب الكتاب القذ هو يبدأ في ترتيبه نهجاً غامض القصد . الذي روج لفكرة أنه ينظر إلى نهج تقليدي عن السنسكريتية وجدوا عليه شواهد^(١) ولها قوة . ولقد يكون القصد منه نشوياً . على معنى أن الخليل كانت عنده أفكار عن نشوء العربية بحسب طبيعة الحروف . فعلم لخدمتها على هذا الترتيب . وهو إذا صح كان تفكيراً مستقيماً من الخليل وآية من عبقرية النادرة . والذي لا يجعله بعيداً ما حدث به (حمزة الاصمباني) وقوله (ابن خلدون) و (ملا كاتب جلبي) من أن الخليل رمى بالفعل إلى حصر كلمات العربية المحتملة على نسق عقلي محض . هذه المحاولة التي نعرف بمخلة تفكيره . وفيها حظ من النظر النشوي غير قليل كما يظهر . . .

(١) فقد ورد في دائرة المعارف الإسلامية أن الخليل اتبع في ترتيب معجمه طريقة النحاة السنسكريتيين في ترتيب حروف لغتهم فأن حروف السنسكريتية تبدأ بأحرف الخلق (gutturoles) وتنتهي بالأحرف الشفوية (labials) وهو قد رتب العين على الحروف مبتدأ بحروف الخلق فاللسان فالأسنان فالشفيتين .

(٣) تطلع المحيط العلمي إلى آثار الخليل . حتى في عصره وعنايته الشديدة بها فلم يكن رجلاً مغموراً كما تشاء بعض كتب التاريخ تصويره . بل كان شاغلاً الناس ومالكا الفراغ كما يظهر من حكاية ذكرها ^(١) (أبو الهلال العسكري) . ومن شغف الشخصيات بالاجتماع اليه ومنادته (كابن المقفع) . ومن الحاح الأمراء بتقريبه (كالعباس بن محمد) . مما هو شاهد تقدير عبقريته . وانما يعزى عدم حظوته إلى أفكاره المبكرة أيضاً . التي لم تكن بحكم جديتها تلذ الجمهور لأنها ترتفع عن مدى مداركه . ولا الخاصة الذين همهم التعلق بالجانب اللاهني من الحياة . وإلى أسباب أخرى من العصبية للبلد وفوذ الكوفة .

هذا التطلع الذي يقضي بانتشار الأثر . وبالأخص إذا كان يحوي مفاجئة حقيقية فتأخر ظهوره إلى حدود سنة (٢٥٠) طوي منه على حذر شديد . فنجتمع أسبابه على ظن أن يكون لمدرسة البصرة فرع نشأ في فارس . ينتظم الأمير البيت وجماعة شملهم نفوذهم . قام على تمجيد ذكرى الخليل وشرح تراثه وترتيبه على المقدار الذي وصلهم منه . ولكن تناولوه بعقلية غير عربية . وذهنية دربت على غير نهوئها . كان عندها من التنظيم الفني قسطاً أوفر مما هي لو عربية خالصة . فأخذوا العربية على نسق بدا كما هو غريباً جداً وأجنيباً واضحاً . ومن ثم يظهر كيف تأثر الكتاب بفكرة سنسكريتية قد تكون . عن هذا الطريق .

وأما الخليل نفسه فأبعد ما يكون عن ظن التأثير في كل ما انكشف عنه من إجماع عبقرى . في العروض . في اللغة . في الاشتقاق . وهو عندي مثل أعلى مما يمكن للمبقرية العربية أن تقدمه من مثلها العليا . والذي تنتهي به هو ان الكتاب ليس من تصنيف الخليل على صورته . وان كانت أفكاره الرئيسية من أفكار الخليل . أخذت صوغاً آخر واملأ طريفاً . ومن جهة أخرى يوضح لنا كيف وقعت فيه الأخطاء ^(٢)

(١) راجع ديوان المعاني ص (١٨) ج ١

(٢) بهذه المناسبة اذكر بان اشد المتكرين الحاحاً في ان يكون من عمل الخليل هي مدرسة الخليل واعلامها مما يبدو معه مستبعداً جداً ما ظنه الدكتور محمد أبو شنب كاتب المقال عن الخليل ابن احمد في الموسوعة البريطانية من ان الحسد لخليل هو الدافع الوحيد لانكار نسبته اليه . .

التي أخذت عليه وقال فيها (ابن جني) انها لا تقع من أصغر تلامذة الخليل فضلاً عنه .

وأما زعم من زعم أن الكتاب احترق وأملأه تلميذه الليث من حفظه . فأقرب أن يكون خرافة ونادرة . ولقد يكاد ينسق عندي هذا الظن . ولكن يعرض دونه سؤال وهو ألا تعرف آثار أخرى يمكن عزوها إلى هذا الفرع الفارسي من مدرسة (البصرة) الذي يمتاز عنها بأسلوبه في شرح الخليل ؟ . وهو يبدو قوياً ولا يمكن الجواب عليه بسهولة . وإن كان من المستطاع الاجابة عليه بمحاولة غير مقنعة . وذلك حين يظن انه قد كان له آثار عفي عليها ما بدت به مدرسة البصرة الرئيسية من قوة في شرح الخليل . ومن انتاج خصيب متفوق . مما أضالّه وجعله يقضي في صموت . أو شملته بمنطقها فلم يتميز عنها فيما أنتج . . .

هذا ما يستطاع فهمه من تنف النصوص المحفوظة . وما علينا أن يكون من عمل الخليل . ما دما تقرر انها أفكاره مشروحة على نهج غريب . ومن ثم نتخلص إلى تصنيف المعجم العربي في مناهج ثلاثة :

(١) منهج الخليل : في العين وأعظم ما ظهر عليه المحكم لابن سيده . والجمهرة لابن دريد .

(٢) منهج ابن فارس : في كتابه مقاييس اللغة الذي لا أعلم أحداً سبقه إلى الوضع على مثاله وفيه يبدو نوع من تقدم اللغوية العربية وجنوحها نحو التهذيب والسهولة والتصنيف . وأهم ما ظهر عليه المحيط للمصاحب بن عباد تلميذ ابن فارس والأساس للزمخشري والمصباح المنير للفيومي .

(٣) منهج الجوهري في الصحاح وفيه تمثل العقلية اللغوية على تمام قوتها . وملكة التصريف الفلسفي ويعطي صورة من بلوغ المنطق في اللغة . وأهم ما ظهر عليه العباب للصغاني . واللسان لابن منظور والقاموس للفيروزآبادي . وملخص الأساس للزمخشري . . .

هذه تفة عجلى حقيقة كما أظن . ولا يعنيها ما قبلها كثيراً لأنه لا تجد به

كلمة المعجم^(١) . وإنما تدخل في موضوع الأسباب التي هيأت إلى المعجم ومهدت إليه . . .
وهذه المناهج وإن يكن بعضها وافياً بالغاية من المعجم المادي . فهو في حاجة إلى
منهات تزيد سهوة . وإنما كان منا هذا التخصيص لأن من رأينا لزوم تنويع العمل
في المعجم العربي على أنحاء :

- (١) المعجم المادي ويبحث على سنة المعاجم القديمة . . .
- (٢) المعجم العلمي . ويبحث في الاصطلاحات موزعة على حسب الاختصاص .
بحيث يكون للقانون جزء يختص به وللاجتماع كذلك . وهكذا .
- (٣) المعجم الاصطلاحي . وهذا يكون على نسق الكليات لابن أبي البقاء
والتعريفات للجرجاني
- (٤) المعجم التاريخي أو النشوي . ويبحث في نشوء المادة وتطوراتها
الاستعمالية وتراوحها بين الحقيقة والمجاز مقيمة بالعصور . ويكون على أسلوب مادي
وسبائي ياتيه .
- (٥) المعجم العلمي وهو يضم جميعها باختصار . . .

المعجم المادي

نختار في ترتيبه أن يكون على سنة (المصباح) بيد لا يتقيد بالنظر إلى الأصول .
بل ينزل الزوائد عليها منزلة الاعتبار أيضاً . ولكن كما أبدى بعض الباحثين من أن
هذا قد يفهم عروة المادة العربية . أو هو يفهمها بالفعل بخلافه في الأجنبية . لأن

(١) جاء في ضحى الاسلام (ج ٢) أن المراحل للمعجم العربي ثلاث وإنما كانت متلاحقة
بانتظام وهو وهم والحق أن وضع المعجم على المعاني ليس بمرحلة وإنما فن يعمل في الناحية الأخرى
التي يعمل في مقابلها المعجم على الأصول فهي مرحلة تاريخية لا لحاقية وتأخر المعجم على الأصول
أنما كان نتيجة طبيعية . لأن العمل الصرفي ابتداء على الحقيقة بعد التحليل . والمعاجم على هذه
الملاحظة كانت لخدمة التصريف قبل كل شيء ويظهر هذا من كتاب مقاييس اللغة لابن فارس إذ
كان يصرح بأصول الكلمة كمثل (خضم) يقول الخاء والضاد والميم أصل الخ و فرق كبير بين أن تكون
مراحل مترتبة بمعنى أن كل واحدة أدت إلى نشوء الأخرى وبين أن تكون مراحل تاريخية أو زمنية

الزوائد تغلب على الأول فيها (prefix) . وفي الأجنبية قلما تكون عنده وتكثر في الآخر (suffix) . وهو ملحوظ يمكن الاحتياط له بأن يبنى الكلام على الزوائد بضرب من الاحالة . على معنى أن يثبت في باب الهزة والراء مثل (أرؤنان) وان يحال الكلام عليه إلى مادة (رون) كما هي سنة الدوائر العلمية في الاعلام بحسب الاشهر لقباً أو كنية أو اسماً .

وهذا وان يكن يلزمه عملان ويتضمن معه المعجم العربي بعض الشيء . يسهل مهمة الاستقلال بدرس المعاجم وبالرجوع اليها على الناشئة . وبعض الخاصة الذين يتناص عليهم تناول كلمة من معجم كالقاموس^(١) . وينبغي أن تثبت فقط على هذا الوجه . الزوائد غير الواضح شكل زيادتها . وأما القياسية الواضحة فتثبت من أول الأمر بمحلها المادي (كفاعل ومفعول) . ثم يأخذ بعمل شكلي كالتفرقة بين الحقيقة والمجاز . واختلاف المعنى باختلاف الوصفية والاسمية وسائر الأشياء التي أثبتناها في النماذج المنشورة والموضحة في كلمة التصدير . والتحلية بالصور من أجل التوضيح .

المعجم العلمي

وهذا يفرغ فيه لخدمة الاختصاص وحده . فتوضع الفاظه مبنية على شرح تخريجي يتولاه أهل الاختصاص ليأتي على صورة وافية . فيوضع في أجزاء للجغرافيا والجيولوجيا والهندسة والقانون والاجتماع والتاريخ فنكاً واعلاماً الخ . . .

(١) غي الي ان الاستاذ الفسوي (عمود خاطر) مرتب (مختار الصحاح) قد رتب القاموس على نهج (ترتيبه للمختار) توفيراً للجهود الذي يتدارك اي مطالع وهو عمل جسيم بلاريد ومفيد أية فائدة ولكن نرى ان يعمد الى تصحيحه اولاً . فان الشرتوني القى على عاتقه اكذ ما انتشر من الاغلاط (راجع اقرب الموارد ج ٣ ص ٤) وأخذ عليه الشدياق (في مقدمة الجاسوس) ايها صبارته بحيث لا ينبه على النصيح من غيره والغريب والمهمل والمعرف والمصحف وذكر الاستاذ (lone) في مقدمة كتابه (مد القاموس) ان كثيراً من ملاحظات الفيروزابادي النقدية خاطئة . ومن قبل هؤلاء . تعبه الاثمة الاعلام في الكثير الكثير كابن الطيب القاسمي والقرافي كما ان الواجب يقتضي اذا اخذ بترتيب القاموس على هذا الشكل ان ينقي من الاوهام التاريخية وان تحقق فيه البيانات والحيوانات واما اذا ترك على ما هو من الاوهام اللغوية والعلمية . فليكون الصنيع الجديد الاترويجاً لمخطأ واشاعة للاغلاط . . .

المعجم الاصطلاحي

وهذا يتناول المصطلحات في درس لغوي علمي فيبحث عدا عن شرح الاصطلاح . في اشتقاقه ووجه مأخذه وما يتبع . والغرض تعيد الموسوعة العربية على متنى المواتاة . . .

المعجم التاريخي او الفسوي

وهذا يفرغ فيه الى درس المواد وكيف كان نشوؤها . ويتناول المفردات من حيث هي عربية عريقة أم تنظر الى مصدر غير عربي . ودرس كل الملاحظ الاعتبارية عليه بحيث يكون على وضوح تام فيه . ما يدعى باختلاف اللغات واللهجات وتداخلها وما وراها من مشاكل في اللغة .

ولهذا المعجم عندنا ترتيب ينزل من مواده منزلة نشوئها في أقرب التقدير . وذلك بأن يبدأ (بالمعل) الذي هو في نظرنا^(١) الثاني الصوتي . ثم بالتالي المضعف الذي هو في نظرنا المعل نفسه طوروا اعلاله على هذا الوجه من التضعيف . ثم بالمهموز الذي هو في ا كبر عدده معل أخذوه بالهمز . ثم بالتالي المكرر . ثم بالثلاثي ثم بالرباعي وهكذا واليك المثل عليه :

(زَبَى) بمعنى حمل . وزباه بشردهاء . الازبي النشاط وضرب من السير .

(زَبَتْ) الزباء الداهية الشديدة . وزب القرية ملاءها .

(زَبَأٌ) الزبأة الغضبة .

(زَزَبَ) غضب . وانهزم في الحرب .

(زَعَبَ) الاتاء ملاء . والقرية احتملها ممثلة . وتزعب نشط .

(١) راجع القسم الثاني من المقدمة بشعر واناة .

(زَغْبًا) عندها تنتهي المادة فلا نجد لها ذكراً في المعاجم . وإليك مثلاً آخر أنم
من الأول وهو .

(شَرَى) الفرس . بالغ في سيره . وشري الشراستطار . وشري الاقط وضعه
على خصفة ليحف . شري تفرق .

(شَرَّ) شرة الشباب نشاطه وشرر النار . وشرر اللحم والاقط كشره .

(شرشر) الشيء قطعه . والشراشر الاثقال .

(شمر) الفرس مر جاداً أو مختالاً . وأشمر الابل اعجلها .

(شمردي) الناقة السريعة .

(شمردل) الفتى السريع من الابل .

وهكذا يكون السير فيه بحيث يضع حدوداً واضحة لتطور ورسوماً بينة للارتقاء
ثم ينتشر كذلك على المفردات في الاستعمال واللينيل وما يتبعه من أبحاث يرتفع
معا مستوى النظر اللغوي في العربية .

المعجم المعجمي

أو دائرة المعارف الصغرى على مثل معلمة (اكسفورد . وبستر . لاروس) .
ونحن قد وضعنا لبعض هذه المعاجم أصولاً لم نبدأ فنشرها . لنرى مقدار ارتياح الرأي
العربي لهذا الاقتراح الذي تقدمه من أساس عملها . والواقع ان اصول الاشتقاق
والنظر الاجتهادي على العربية أصبحت في حاجة مطلقة الى التمهيد . لنخدم عربيتنا
الحاضرة وتاريخ العربية العريقة خدمة مزدوجة . تفيد العربية الحاضرة بما تنفع في
بقاياها من الروح . وبما تمسها به من تيار الحياة . وتفيد العربية القديمة بكشف أسرارها
الغامضة . وسيأتي في بعض بحوث المقدمة ما تقف منه على مقدار ما تزخر به الالفاظ
من حضارة عربية طواها التراب في غفلة التاريخ . واحتضنتها الرمال في شرة وشره .

دراسة التخصص في اللغة والادب

(مصر) كلمة ولكن كما كان المسيح (كلمة) تنشر الحياة وتبعث بالروح . فلم يكن معناها على مقدار حروفها بل لها من خيال ما يتزايد به معناها قدر لا تكون الألفاظ قيمة بالوفاء به .

فمن شاء أن يعرف (مصر) فهي مصر وكفى . وفي الحق ان (مصر) كذلك مكانها من الشرق العربي لا تنقص عنه وربما زادت عليه .

ولست من هذا الحديث بقيل . إلا لأفضي إلى ما من قصدي أن أفيض فيه . يشاء العربي منا أن يتخصص للعربية وما إليها فلا يجده وجهاً إلا (مصر) ولا متحى إلا دورها التي تنتظم في مؤسسات ثلاث :

(١) كلية اللغة العربية للأزهر .

(٢) كلية الآداب للجامعة المصرية .

(٣) مدرسة دار العلوم .

والذي يظهر من أسمائها انها متنوعة الدراسات بحيث لا تغني واحدة عن الأخرى أبداً . وبحيث تكون من كل واحدة في حاجة إليها . فكلية الأزهر تعد لغة وحدها . وكلية الجامعة تعد للأدب وحده . ومدرسة دار العلوم تعد لثقافة عامة عليهما . . .

وكذلك يتبادى الظن مع العناوين إلى أبعد معانيها . فيتمثل في كلية الأزهر . كيف يعاد درس العربية على نحو ما كان في عهود البصرة والكوفة الزاهرة . من عناية بتن اللغة . ووقوف عند النوادر . ورواية للغريب . وتخرج الحوشي . ودرس للأدب لا من ناحيته الفنية . وإنما من الجوانب المعاني أو المعنى . وكان الأولون يسمونه (معاني الشعر)^(١) الذي ألف عليه أبو عثمان الأشناداني . وأبو العميش

(١) ومن أمثلته ما حدث به نبطويه عن أبي العباس ثعلب انه قال : سألتني بعض اصحابنا من قول الشاعر :
(جاءت به مرمداً ما ملا ما في آل خم حين ألا)
فلم أدر ما يقول فسرت الى ابن الاعرابي فسألته عنه فقصه لي فقال هذا يصف قرصاً خبثته امرأة فلم تنضجها فجاءت به مرمداً اي ملوناً بالرماد الحار ثم قال (ما في آل) ما زائدة كأنه قال في آل والآل وجهه يعني وجه القرص وقوله خم اي تغير حين ال اي حين ابطأ به للنضج . يضرب مثلاً اذا كان وناء في العمل او ابطاء .

وكثيرون . ثم الانتزاع الشديد الى استعراض المفردات وكيف دارت دورتها المستوية في أطوار من العمر والحياة مختلفة الالوان والأشكال . على نحو ما نرى في الجهرة لابن دريد . واحاطة بتادر الكلمات التي يسوق لنا كثيراً من أمثالها ابن الأنباري في نزهة الألباء والجرجاني في الكنايات . وتحقيق قنصيح كالذي فرغ اليه أبو العباس ثعلب وأبو سهل الهروي وعبد اللطيف البغدادي . وارتياض على الأماشي كما نجد عند القالي والسيد المرتضى وابن الشجري ومن قبلهم عند ثعلب في مجموعة مجالسه وعند المبرد . وهكذا حتي يتقن علوم اللغة البحتة التي كان لها (مزهر السيوطي) كفهرس واضح العناوين بعض الشيء .

وهذا وحده الذي يضمن لنا اعداد لغويين قد يعيدون العهد بمثل الشيخ نصر الهوريني وسيد علي المرصفي . ولكن شيئاً من هذا لم يكن فان جهد ما تستطيع كلية اللغة أن تقدمه الى المجتمع من مخرجها على نسق ما تدرس . أشخاصاً اعداديين لا يؤمنون بسمة الاختصاص أبداً . وبمحسبك أن تعرف أن متن اللغة مهجور هجراناً تاماً . وهذا ما لا يعذره فان اختصاصاً يمتلي في ست سنين . ضروري أن يقدم لغويين لهم أكبر الحظ من الاحاطة .

واما أن تأخذ الكلية طلبتها بنف من هنا وهناك على غير تمحيص ولا تحقيق . وانما بسمة كلها التقليد غير المحكم من نوع الفلسفة وتاريخها وعلم النفس . وملقطات من الحديث ليس فيها شيء من طرائف الغريب فليس مما يفي بالغاية ولا بالحاجة . والطالب من هؤلاء . يرى له حقاً لأنه يقدم نفسه وهو مطمئن على أمل أن يخرج كما يسمو به الهدف . ولكن لا تكون له الا هذه النتيجة المتلوية . وأما إن كان القصد من كلية اللغة في الازهر اعداد معلمين لقسمي الابتدائي والثانوي فهي تعطي أكثر مما ينتظر منها بحق . . .

ويتمثل في (دار العلوم) كيف يستعاد تلقين الأدب الغض . الى جانب المشرق من الفاظ اللغة على نحو ما غير به الزمن من تخريج الكتاب المنشئين . وكان أخذ آياتاً صرفاً على ما يحكي (الجاحظ) انه وجده عند (سهل بن هارون) وعليه الكتاب . وعند الأدباء الى خدمته وافراده كفرع من الادب وحده . فألف فيه ابن درستويه

وابن قتيبة وابن السيد البطليوسي وموهوب الجواليقي وغيرهم . وهؤلاء كانت عنايتهم الوقوف على أسرار البيان العربي لا من جهة النحو فيتزيدون منه بأكثر من الواجب . حتى كان من طابع هؤلاء ضعف الجانب النحوي عندهم . حيث هو من العناية والتوفر عليه اذ كانت عنايتهم منصرفة الى البيان خالية من الشواثب . وهذا ما يحكيه ابن الانباري في نزهة الالبا من ان أبا منصور الجواليقي كان في اللغة أمثل منه في النحو .

ولقد كان لهذا الفرع من علوم اللغة حلقات لا تدرس الا الجانب المذكور على معنى الفراغ اليه . والا فقد كانت لم حفظ واسعة من النحو والصرف وما اليهما . على المقدار الذي يلزمهم منه فقط . واليك ما يحكيه وهب بن ابراهيم قال : كنا بنيسابور في مجلس ابي سعيد احمد بن خالد الضرير وكان مجلسا يؤخذ فيه بروائع الأدب اذ دخل علينا رجل من أهل (قم) وكان بعضنا يقرأ قصيدة من شعر نهشل بن جرير النخعي حتى بلغ قوله

(غُلَامَانِ خَاضَا الْمَوْتَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَأَبَا وَلَمْ تُعْقِدْ وَرَاءَهُمَا يَدُ)
(مَتَى يَنْهَيَا قَرْنًا فَلَا بُدَّ أَنَّهُ سَيَلْقَاهُ مَكْرُوهٌ مِنَ الْمَوْتِ أَسْوَدُ)

فقال الشيخ ابو سعيد بشرح (ولم تعقد وراءها يد) أي لم يؤسرا بل رجعا موفورين ولو أسرا لعقدت أيديهما كتفا . فقال الرجل ليس هذا الوجه فقال ابو سعيد هذا الذي عندنا فما الذي عندك . فقال : آبا ولم تعقد يد بجمل فعلهما لأنهما فعلا ما لم يفعل أحدهما الشاعر .

« قَوْمٌ إِذَا عَدَّتْ نَمِيمٌ مَعَا سَادَاتُهَا عَدُوهُ بِالْخَنْصَرِ »
« أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثِيَابَ النَّدَى فَلَمْ تَعْلُنْ عَنْهُ وَلَمْ تَقْصُرِ »

أي خلقت له وقول الشاعر . . .

« قَوْمِي بَنُو مَذْحِجٍ مِنْ خَيْرِ الْأُمَمِ لَا يَضُمُونَ قَدَمًا عَلَى قَدَمٍ »

يعني انهم يتقدمون الناس في عملهم ولا يقلدون أحدا في فعل بل يقلدون . وعندنا ان وجه المعنى غير هذا . فان الشاعر يقول (آبا ولم يأسرا أحدا اذ قسلا

الاقران جميعاً) ويشهد لهذا . البيت الثاني الذي يقول فيه (متى بلقيا الخ) وكيفما كان الأمر . فقد كان لهذا الفرع من اللغة عند الجماعة عناية خاصة تحقق طلبه رواد الأدب الانشائي . وربما كان أقرب مثل اليهم في معارفه ودراسته المرحوم (حفي ناصف) .
وأما أخذ الطلاب على هضم الاشتموني والكشاف . فما لا يحقق الغاية أبداً ولا يكفل ما يطلب منه كعهد أن يتحف به . وليس معني بهذا أن لا ندرس علم الاشتموني وعلم الكشاف . وإنما المعنى أن ندرسهما في غير عبارة الاشتموني وفي غير عبارة الكشاف التي تقتضي وحدها ارتياضاً بالغاً يؤخر الغاية المقصودة بالدرس . والحق ان عدداً كبيراً من طلبتها على جانب من الانتاج الحصب لو تهدوم بمنهج اكثر ضماناً للادب واكثر تذوقاً له .

وتمثل في كلية الآداب . الميل الى التعميم في الدراسة . فهي تدرس الأدب العربي . والى جانبه الادب عند الأمم الأخرى ومن ثم تأخذ في أدب مقارن وما إليه مما يكون المدرس رغم ما قد يؤخذ به أقربها الى تحقيق هدف الاسم .

وهذه المعاهد الثلاثة على ما بينها من جهات اختلاف حقيقية في اسلوب التعليم ومنهاج المدرس . تحقق غاية واحدة لا تختلف عليها كثيراً . فهي إذن تمتاز امتيازاً اسمياً وشكلياً فقط دون ما وراء الاسم والشكل . وتتلاقى أهدافها في الواقع على نقطة بينها دون اختلاف واذا اختلف شيء بينها فالما هو روح المدرس . فهذه تدرس عن مصدر اوروبي محض وتلك تدرس عن مصدر شئيت . وهاتيك لا تزال محافظة أشد المحافظة . مما يثير احتداماً واستعاراً مستمراً دائماً بين المخرجين . لأن الاصول بينهم غير موحدة . وهكذا يندلع لهيبه وينقد ولكن في غير فائدة تفيد الأدب .

وذلك لأنهم يعدمون التفاهم على الأصول الواحدة للمدرس والانتساج . وليس هذا فقط . بل يكيدون في النقد كيداً يراد منه الهدم المجرد . ولا يفتأون يذكونها حامية ليكون ضرامها ما انتحبوا جميعاً . وفي غير صكبير جهد تقع على هذا الأثر في كتاباتهم حتى تلمس حرازة لا تمحي وحنيفة لا تفتأ تكيد . وهذا شيء لا يخدم الادب بل يقضي عليه لأنه ينطوي على ازورار مفرض واعراض ويل . وزادت بهم مدة

المخيلة إن كان للحفاظ مدة . فاعرضوا مطلقاً عن قراءة بعضهم . وناهيك هذا أن يكون من نتائجه ...

وبعد فإن دراسة التخصص في اللغة والأدب لا تتوفر أبداً في منهج كلية اللغة العربية ولا في منهج كلية الآداب ولا في منهج دارالعلوم . وإنما يتحقق الغرض المنشود في منهج يجمع كافتها . فمنهج الأزهر لا يزيد عن أنه أغراض في النحوية والصرفية واعتراضاتها كما وأنه لا يعنى بناحية ضبط المفردات أبداً . ونراه يعنى بنواح جديدة من التاريخ والنفس ويدرسها دراسة خاطئة على وجه العموم شأن كل من يستجد في ثقافة ما . وإنما يتم منهاجها بمنهاج دارالعلوم وهذه ينقصها كثير مما يجب على المتخرج أن يكون ملماً به كأديب بكل المعنى . والعجب في مخرج دارالعلوم أن يكون بعيداً كل البعد عن تطريبات الأدب العالمي التي لا يلم منها إلا بشذرات مقطعة من هنا وهناك لا تعرفه به إلا معرفة ناقصة . مما لا يكفل إلا بمنهج كلية الآداب ولكن يؤخذ عليه ضعف اللغة فيه من ناحية والتزبد من المواد الأجنبية من ناحية أخرى .. ولكن أتى يتأتى ضم هذه البرامج ثم تكليف الطالب بتحصيلها . الذي يشاهد نصبه من برنامجها الواحد فكيف بها مجتمعة . وهذا مسلم شكلاً كما يقولون وأما هو من حيث الموضوع فسهل الاحتياط له . بعد ما رأينا من تداخل بين الدراسات وزوائد يمكن الاستغناء عنها . ومن بينها يتأتى اعداد المنهج على أكل الوجوه أو على الوجه المنشود ...

ومن ثم يصار ضم المعاهد^(١) الثلاثة في كلية واحدة يحمل لها فرعان :

(١) كنا ابدينا اقتراحاً لاصلاح الأزهر جاءت مناسبة الآن بحيث يحقق كل اهدافه . فان الأزهر رقم صبغته التجديدية . ورقم ما يبدى من استعداد للتطور واخذ به . لا يزال بعيداً عنه . لان اخذه فيه لا يتعدى كونه صورياً . فان العالم الاسلامي يطلب من الأزهر وهو جامعته الدينية الوحيدة . ان يعد له لا هوتين (متكلمين) . وفقهاء بكل المعنى يدرسون بدقة البيانات ومقدار مشاركتها . وما الاسلام بين هذه البيانات القائمة ومقدار ثبات تعاليمه بين ما يصدق العلم من نظريات في الاخلاق والنفس والشؤون والمعاداة والاجتماع والاقتصاد والقانون واصل النواميس وما الى ذلك . هذه المشاركات التي اذا حدثوا بها او قرأوها يطالعونها متفهمين فيرون في فجر الاسلام معجز احمد . واذا وقفوا على بعض بحوث البستاني في الدائرة هؤلاء —

(١) يدرس فيه البرنامج ولكن مع تقوية جانب اللغة تقوية مبالغاً فيها ليعد لغويين قعدين يمكننا أن نستفيد منهم .

(٢) يدرس فيه البرنامج ولكن مع تقوية جانب الأدب تقوية مبالغاً فيها بحيث يعد أدباء بالمعنى الصحيح وتقدم يفهمون دقة ودقيقه .
ومن وراء هذه الخطوة المباركة يمكننا أن نطمئن إلى فئتنا الأدبية . ونطمئن إلى

— لكل كلمة . وهي بمعلومات شائعة عند غيرهم . وعدا هذه المشاركات اللازمة . ضروري أن يخرج فقهاء ينزلون منزلة مجتهدى المذهب على الأقل يستطيعون تخرج المسائل على اصول الخلاف بنحو مما نرى في تأسيس النظر للبدوي وعند البزدوي ومن اليهم ممن كتب في الخلاف كلام الحرمين والكنيا الهراسي وكتب الاشياء ككتاب ابن رجب وابن دقيق العيد والزرکشي والسيوطي وابن نجيم . والعجب كيف لم يقرر واحد من هذه الكتب في الازهر ويفضلون عليها مذكرات مشرفة كتشف الشارب وإيم الله . وبذلك وحده يستطيعون الاحتياط للنوازل ومعرفة الخارج . ولقد سمعت من يقول من مسلمي الروس بحجرات زائدة (لن نتوجه بالفتوى بعد هذا ونحن نسأل المتصدرين في مصر فلا يكون رجع الجواب الا ما الاستفتاء عن سواء اذ يجيبون بأجوبة المسائل المعروفة على اقتضاها ومخالفتها لطروف السوأل ومناسباته . كان الشيخ بحيث مورياً فانقطع المورد بعده) هذه عبارته لم ازد فيها علم الله . غاجة العالم الاسلامي . ان يكون الازهر كما يحب ان يكون مرجعاً عاماً للفتوى وجامعة كبرى لتخرج العلماء . واذا اقتضت الحال (وهي مقتضية) ان تساهم الدول الاسلامية بتوفير خزائنه وجب ذلك . ووجبت الدعوة الى المساهمة . وواجب ان يرتبط الازهر بروابط أكيدة من حيث كونه مرجعاً رئيسياً بمعهد النجف والزيوتونة والقرويين بحيث تتقارب وجهة الدراسة . وتكاد تتوحد ادارة معاهدها . وان في هذه المعاهد علماء حقيقيين يجدر الاستفادة بهم في اعداد المشروع . والعالم الاسلامي يطلب من الازهر واطفاً اعنى مبشرين ودرس الازهر لا يحقق هذه الغاية بكاملها . وجاع العلة في بقاء سير الازهر هو احتفاظه بكل (اقسامه الاولى . الثانوي . العالي . التخصص) وحقيقة ان الازهر لن يبلغ رسالته على الوجه المطلوب الا بعد ان يبالغ في الدراسة العالية . ويضيف دراسات على القرآن والسنن والمعارف الاسلامية العامة على النسق الذي تدرس عليه في الجامعات الاوربية ليتشكل الدرس بشكل اقرب إلى الاسلوب العلمي في غير ضجر ولا تأفف . وعليه فنقترح الغناء القسم الاول من الازهر عموماً والاستعانة بميزانيته لتقوية التعليم العالي مع تغيير كلي في سير الدراسة في القسم الثانوي بحيث لا يدرس الرياضي وما اليه الا الى الثاني الثانوي . ما عدا اتمام درس اللغات التي اخذوا بنصيب منها في المدارس الاميرية . وبعد يتوفر على دراسة اعدادية للقسم العالي (الكليات) تتناول النحو والصرف وعلوم البلاغة واللغة والاشتقاق والادب في كتبه الاولى (كقصص تلخيص ومبادئ اللغة للاسكافي) والمنطق والتوحيد والاصول وفرع مقدمات العلوم (يجب ان يجعل فرعاً في الازهر ليعتق الملك في الطالب) كالذي ألف فيه المرحوم —

متجاتها بحيث نستطيع أن نزاحم بأدبنا الأدب العالمي من كل وجوهه . لا أن يبقى قابلاً في موضعه لا يعرف من شأنه إلا أنه لا قيمة له .
ومن وجه آخر تتلاقى المخرجة في مذهب التفكير وروح الدرس ومذهب الانتاج .
بما لا ترى بعده الفئة اللغوية محافظة الى حد منكر . ولا الفئة الأدبية محددة الى حد
التجاوز والخروج على مذهب العربية وروحها الخالصة . وطابعها المتميز

— الشيخ . راشد ابو عليان . وفرع الاصطلاحات كالتعريفات فـ (يجب ان يجعل فرعاً في الازهر ايضاً) وفرع الكنى والالقب على معنى ضبطها كما في لب الالباب للسيوطي والالباب لابن الاثير . واما ان يتناول الطالب علوم الكليات وهي غريبة عنه اشد ما تكون . فالتنا في مذهب التربية العقلية . تنتقل به بطفرة تترك فراغاً في تفكيره فلمس اثره ونشكرو منه . ومن ثم تفرغ لتنظيم الكليات بحيث يضاف اليها علوم وتلقى علوم ويستقدم لبعض الفروع بمستشرقين لهم ضلع بالغ فيها على مسحة يقتضيها التسمي العلمي المشهود ويجعل للازهر الاشراف الاكبر على الفرع الآخر من كلية الاداب الذي يختص لغة . وتخصص المهنة يجعل سنة واحدة . وبهذا وحده يمكن للازهر ان يقدم متقنين دينيين مطمئنين الى ثقافتهم محققين لها . يصفى اليهم في الاوساط العالية فلا يهاتف منهم اذا خاضوا في ابحاث علمية لاهم يؤدونها تأدية خاطئة اذا صحت لهم النتائج . فقد حدثني بعض اساتذة بيروت انه ضمنه مجلس بازهرى ذهب يبدى اعجابه بالطريقة السقراطية وانها ضرورية في تربية العقليات وكما كان يعجب منه اذ يدعوها الطريقة الارستقراطية مختلطة عليه مما جعل الجماعة يصغون اليه بنهول ساخر . وكذلك يكونون متحزمين لكل ما يبعث به على القرآن . ينفذون المجتمع الاسلامي بتناجهم الخالص لا ان يكونوا هالة كما نشهدهم على عمل غيرهم . ممن لا يمت الى اختصاصهم بوجه . فهم يتناولون (حياة محمد) للدكتور هيكل كتحنة ثمينة ونادرة وكتب الاستاذ فريد وجدي كشيء يجدون مادة ثقافتهم فيه وهكذا مما كان عليهم مثل هذا العمل وعليهم وحدهم مثل هذا الانتاج . ولقد قال لي يوماً بعض المسيحيين مداعباً يا هذا اما عندكم من الشيوخ من يكتب ويفكر حتى تولى هذا الواجب مخرجو اوروبا فقلت له بمراوغة . فيما تقول من هذا شاهد كثرتهم وعظيم اثرهم حتى تركوا كل مسلم شيعياً . وبالجملة اذا حققنا المشروع على وجهه فلا بد ان يكون لهم مثل هذا الانتاج لكون دراستهم ولعرفتهم باللغات وبه تواجه الغرب فآخرين ويصبح بيننا من مثل المرحوم قاضي القضاة سيد امير على الهندي كثيرون . هذا ما خطر لي صالحاً وكنت اعددت رسالة تتناول هذا الاقتراح من كل وجوهه بعنوان (ماذا في الازهر) وبما نشرناها بعد ان شاء الله . . .

القسم الثاني

عرض ومقابلة

لست أعرض هنا إلى شيء من الخلاف في أن اللغات توقيف . أو خلق في محل النطق ، أو مواضعة . لاعتقادي بأن هذا الاختلاف في أساسه وجوهره ، لا يراد منه اللغة . وإنما غايته كلامية بحتة . ولذا لا تكاد تسقط على مبحث من هذا الطراز عند اللغويين القدماء . وإنما سرى أو عدى بصريانه إلى اللغويين ، الذين نشأوا بعد استعراة الخلاف الكلامي الذي كانت هذه إحدى مسأله . كقدمة للخلاف الذي صبح اللاهوت الاسلامي ، حتى آخر العهد بمباحث خلق القرآن وصفة الكلام ، ولذا كان يحله من علم الكلام أمثل . ومن ثم نذهب من أول الأمر إلى اعتماد وتقرير مذهب وضعي صرف .

(قسم علماء^(١)) المقابلة اللغوية في هذا العصر . اللغات باعتبار تدرجها التهديبي إلى مرتبة وغير مرتبة . وهذه الأخيرة تتضمن أدنى اللغات ياناً وأبسطها الفاظاً كالزنجية وهندية اميركا . والشمالية الشرقية الآسيوية والحامية والصينية . ومن أم صفاتها أن الفاظها آحادية المقطع لا فرق فيها بين الاسم والفعل والحرف . واللفظة الواحدة تكون اسماً أو فعلاً أو نعتاً . بإضافة الفاظ أخرى ذات معان مستقلة .

وأما المرتبة . فتمتاز بسعة نطاقها ومنها لغات العالم المتمدن . وتنقسم باعتبار قابليتها لتصريف والاشتقاق إلى (متصرفة) و (غير متصرفة) وهذه الأخيرة تشمل اللغات الطورانية على فروعها والمنغولية والتتقاسية والاوغرافية . ومن أم صفاتها أنها مؤلفة من اصول جامدة لا تقبل التعبير في بنائها مطلقاً . وان الاشتقاق يقوم فيها بالحق أدوات لا معنى لها في نفسها على آخر تلك الاصول . مثال ذلك في التركيبة

(١) من كتاب الفلسفة اللغوية لزبدان ص (٢)

(ياز) الاصل الدال على الكتابة فيضمون منه فعلا ماضيا بالحقاق (دي) في آخره
فيقولون (يازدي) وفي الماضي السابق يقولون (يازديدي) أي كان قد كتب . وفي
الجمع الاسنادي يقولون (يازديديلر) أي كانوا قد كتبوا وهكذا بحيث تبلغ هذه
الواحد عشرة عدداً مع بقاء الأصل على بنائه) . . .

(وقرروا ^(١)) أن كل اللغات القديمة تعاقبت عليها ادوار ثلاثة . ففي الدور الاول
كان كل من كلماتها ذا هجاء واحد فتوضع الكلم احداها بعد الاخرى بحسب نظامها
النطقي لتأدية المعنى المقصود . وما برحت لغة الصين من هذا النوع .

وفي الدور الثاني أخذ بالحقاق كلمة إلى أخرى فيؤدي اللفظان المعنى الأول مضافاً
إليه معنى جديد . أو يحصل من تركيب هجائين أو أكثر معنى آخر . وفي هذا الدور
أيضاً أخذ بزيادة أحرف على الاصول في أولها أو آخرها أو بين حروفها للدلالة على
معان ترافق المعنى الاصلى مثال ذلك في العربية (قاعل) و (استعمل) ومنه زيادة
بعض الحروف في اللغات الاوربية للدلالة على تجديد عمل الفعل مثل (commencer)
أبتداً (recommencer) أبتداً ثانية ومثل (honorer) كرم (deshonorer) احتقر . . .

وفي الدور الثالث اكتسبت كلم اللغات التصريف وهو تغيير الاصل إلى هيئات
متعددة للدلالة على معان . منها تصريف الافعال في الازمنة . ومع الضمائر وبنائها
للمجهول والحقاق الضمائر بالاسماء والافعال . ومثل النسب والتصغير وما اشبه ملخصاً
عن لانرمان في تاريخ الشرق القديم)

هذا التقسيم كما نرى يبتداً أساساً اللغات الحية آخذاً بأدناها كالصينية . وهو بهذا
النظر والملاحظة غير دقيق . وذلك لأنه يفترض مبدأ . ما يتخلله طفرات حقيقية .
والتقسيم الذي نظنه أدق وصحیحاً . هو ان اللغات جميعها المرقية وغيرها مرت
في ادوار ثلاثة . . .

(١) ذو المقطع البسيط . أي أدنى المقاطع مثل (ba) وهذا الدور في غاية وله
المقاطع الواحدية . المجموعة في حروف الهجاء أو بعبارة اخصر وله الجدول الهجائي

بأصواته المختلفة (الحركات فيما بعد في العربية) . وهكذا كانت في كل صوت . يدل دلالة بعينها فشلا (عو) يدل على الحيوانات الزئيرية و (وا) يدل على الصوت المتكرر بحركة الفكين . وعنه نشأ (وو) في العبرية بمعنى وصل . .

(ب) ذو المقطعين . ونعني به الحرفين بصوتين . والحرفين بصوت واحد . . وهذا الدور انتشأ مصادفة وبمحاكاة الطبيعة في مختلف أصواتها . وفي آخره لما ابتداء الانسان الرق المطرد وسمى يطلبه . قصد إلى التأليف من منطقته . فشلا السامي في هذا الدور لما أراد أن يدل على أن الحيوان يسوي . عمد إلى حرف العين ذي الصوت المضموم أي (عو) الذي يدل على الحيوان المقترس وإلى حرف الواو ذي الصوت أي (وا) الذي يدل على الصوت المتكرر بحركة الفكين . فدغمهما وتوصل إلى (عووا) بمعنى حيوان يصوت أو يواصل التصويت .

ومن رأينا ان المعلات في العربية . تنظر إلى هذا الدور . فهي ثنائية الوضع مؤلفة من مقطعين واحدتين فقط . وباستقرار العربية في الثلاثي بدأت تصحح الصوت فيها وتستحصل مثل (عوى) بمعنى صوت الحيوان . .

وفي هذا الدور والذي بعده . توضحوا اللغة الصينية ومثيلاتها وبذلك تعتبر وكأنها قطعت الادوار الأولية واستقرت فيها .

(ج) ذو المقاطع . وهذا الدور بلا ريب كان يقصد الانسان اليه قصداً للحاجة فكان يجمع من المقاطع البسيطة الواحدية . والمقاطع الثنائية ويؤلف منهما دلالة مركبة وهكذا . وفي هذا الدور اتخذت العربية وحدتها . واستقرت في الثلاثي . .

وفي ختام هذه الادوار التي تؤلف العهد الأول . وقفت لغات واميت لغات ونشطت لغات آخذة بالحياة الجبارة . وهذه وحدها هي التي ألفت العهد الثاني الذي يسمى عهد اللغات المرتقية . وباعتبار قابليتها للتصريف والاشتقاق . تقسم إلى متصرفة وغير متصرفة . ونحن انما يعنينا هنا القسم المتصرف فقط وهو في نظر ناقد تطور في دورين تصريفيين . .

(١) التصريف بالالحاق . .

(٢) التصريف بالاستناد . .

وسياتى الكلام على هذا التقسيم الذي كان الغرض من ذكره هنا العرض والمقابلة فقط . وكيفما كان فنحن لم نقصد الا بسط رأي جديد بين يدي موضوع لم يتوضح بعد . وما احرى أن تثار من حوله طائفة من الابحاث أن لم تكشف عنه . فلا أقل من أن تقيط من غموضه ..

الدور الأول

الانسان الفطري

لم يعد من الصعب أبداً ولا في حال من الاحوال . تصور كيف كان الانسان الأول إنسان الفطرة أو بعبارة أكثر جدة وأكثر طرافة . إنسان التجربة الاولى التي بدأت مستضعفه . وبرزت فيه على غموض . حتى لم يكن على شيء مما يستدعي النظر ... وأما الانسان الذي نمجد فيه الله . فهو ذو الملكات والاستعدادات المتكاثرة على شبه الاقسام او التوالد الذاتي في الحيوانات الدنيا . هذه الاستعدادات التي لم تزل سراً مغفلاً . وعقدة لا تحل . ولا يمكنني أن أقول بأنها ستبقى كذلك فلعلمها تكشف عن نفسها يوماً من اليوم ..

وهذا الانسان لم يزل يشير العجب الخاشع . ويبعث بالتقدير والاحترام العميقين حتى استقر في منطق الدينين منذ ابد العهود اللاهوتية . ان الله خلق (١) الانسان على صورته . ولهؤلاء عذرم فان انسان العواطف العاقلة ، والمشاعر المفكرة ، والاحاسيس المنطقية التي انتظمت الشرائع والتعاليم وتواضعت النظم . لا يزال يشعر بين الشعور الذي استولى على اجيال التاريخ . بل ربما لم يكن في عصر بأكثر وضوحاً من العصر الحديث . الذي دعى فيه (اوغست كنت) إلى إحكام هذا الشعور واحاله كعبادة لعل لها أيضاً طقوسها ولها هياكلها ...

يد كان الانسان الفطري غير هذا الانسان الذي نعرفه وندهش له تلك اللعشة التي كانت مصدر نزعات مختلفة . كان انساناً خاملاً (كما يقولون) لا يكاد يرتفع عن

(١) جاء هذا الاثر في التوراء سفر التكوين . واخرجه الشيخان بلفظ ان الله خلق آدم على صورته واخرجه احمد في مسند ابي هريرة . راجع كشف الحفاء والالتباس للعلواني حرف الحاء .

مستوي النوع . الذي هو فصيلة من فصائله المشاكلة . والذي تكون بعد ذلك مثلاً اسمي . . وكما قلت في طالعة المقال لم يعد من الصعب أبداً تصور كيف كان الانسان الاول . وذلك لأننا أصبحنا اليوم وتحت نظرنا أشكال عن الانسان المتطور نحتفظ بالخصائص الأولى في بساطة نسبية وسذاجة غير مطلقة . .

ولذلك لن أعتني هنا وفي هذا المكان بنقل صور عن الانسان الفطري . لأن هذا لا يعنيني كثيراً . ولا قليلاً أيضاً فاستطرد اليه . كوضوح له فروع من العلم تخصصت لدرسه . ولست آخذ الآن في واحد منها . وإنما اغني من كل الانسان الفطري بالبحث عن لهجته (ولا أرى هذا التعبير دقيقاً وأدق منه) البحث عن شتي الأصوات السليقية عنده . التي استقرت في غايتها على صورة وكانت لهجة . ومن ثم نلاحظ أن اللهجة داخل في مفهومها الاستقرار ولن تكون لهجة الأصوات التي تتخذ عدة أشكال تردقبد الحاطر . .

لغة الانسان الفطري

نستقبل الانسان الأول وهو يلهج بأصوات غير متشكلة . وليس يهتما ما قبل هذا لأنه من فروع النشوء العام وللنشويين أن يقدروا هنالك ما شاؤا . ولكن الذي يهمني وبصورة خاصة . هذا الدور لأن عنه انبرعت اللهجة قالفة . .

واقصد من غير متشكلة انها لم تنطبع بطابع خاص يميزها . بل كانت جارية مجرى الأصوات التي يقال الاضطرابية في قسمها الغني . وهي الأصوات التي تولد عند الانفعالات . ولا تتميز فيها المقاطع كالانين والعنين والاحيج . وهي أصوات المتوجمين والمنمومين . والهمهمة . وهو الصوت الحاصل من تردد الزفيرها أو حزنًا . والزحير وهو خروج النفس بشدة عند عمل شاق والنحيم والتهيم وهو الانين المركب الذي يخرج المكدود . . .

وكذلك بقيت الأصوات آخذة حنة مطردة على نسبة الترقى العام . حتى انتظمت في أغراض ثابتة وإن كانت عمومية . تولد عنها أصوات لا تزال دارجة في كل اللغات

ويظهر أن هذا الدور امتد كثيراً وعاصر الانسان أطول العمر . وكان في حلقات لا ميل إلى تمييزها على وجه الدقة والتحديد . ولكن يمكن إرسال القول على كثير من الفروض . وفي شيء من الوضوح أيضاً . .

تأثرت لهجة الانسان الفطري في هذا الدور على امتداده بصوت الطبيعة في نفسه ، وفي المواليد الحية ، والنامية ، والجامدة .

وكان من نتيجة هذا التأثير أن تولدت اصوات كلية . كانت فيما بعد هي الجدول الهجائي بلهجاته التي صارت في سموقها اللغوي حركات الحروف . .

وهنا نكون قد وقفنا بك على لغة الانسان الفطري المترامية في القدم البعيد وراء معارف التاريخ . ونكون أيضاً قد عثرنا على الطرف الأقدم من لغة الانسان الأول التي هي أم اللغات . والتي لم تزل مسراً مغلقاً في مباحث (علم اللغة المقارن) .

وعليه فاللغات وحدتها الحقيقية هذه الحروف بأصواتها (أي الحركات الثلاث في العربية وسواها في سواها) وهي بعينها لغة الانسان الذي ارتقت البشريات عنه . وليس معنى هذا أنهم توصلوا إلى الجدول الهجائي على ترتيبه . بل المقصود أن مجموعة كلمات اللغة الفطرية (أن صح هذا التعبير) هي مجموعة هذه الحروف بأصواتها التي توصل اليها بالمصادفة . والمحاكاة . والتقليد (أي ارادة المحاكاة)

والاسباب التي حدثت بي إلى هذا الظن كثيرة . أهمها اختلاف حروف الجدول فلة وكثرة . وتقصاناً وزيادة وعلى نسبة كثرة وقلة الجدول نسبة اتساع وضيق اللغة نفسها . فهذا الاختلاف شاهد على أنه وحدة لغوية أي اليه تنحل اللغة . . .

وإذا كان الشأن تألف المركبات من البسائط . والبسائط قامت مقام المركبات في ظروفها . فلا شك إذن في أن الجدول الذي هو بسيط أية لغة قد كان لغة في ظرف بعينه . واليك^(١) مثال هذا الاختلاف .

(من القبائل القاطنة أواسط افريقيا من لا وجود للمقاطع الشفوية (ف ب م و) في لغتهم . وبعض هنود كولومبيا يستحيل عليهم التلفظ بهذه المقاطع (ب ف ج د ب

(١) راجع كتاب الفلسفة اللغوية ص (١) .

(و) . وأكثر أهالي أستراليا لا يستعملون المقاطع الصغيرة (س ز ش ث ص ظ) والنيوزيلنديون في غنى عن جميع هذه الحروف (ب م ن د ف ح ج ل ق ص و ي) واللغة المصرية القديمة خالية من هذه المقاطع (ب ج د ز ظ ض) الخ .
هذا الاختلاف الذي نعرض شاكلته . يدعونا إلى عدم التردد في استنتاجنا السابق . كما أنه إذا صح يدلنا على أن لغات العالم لم تنشعب عن مصدر واحد . وإنما اللغات ولادة أسباب مكانية اجتماعية وانفرادية . كالعادات ولادة الطبائع والظروف . وان دعوى نشوء اللغة عن الأصوات بالمحاكاة وما إليها يقضي بهذا أيضاً . . .

وبلى هذا أهمية . الاستدلال بمقاطع اللغة الصينية التي لا تزال حية إلى اليوم بقانون (الاستصحاب المقلوب) فإن المقطع الواحد فيها يلفظ بخمسة ^(١) أصوات أو أكثر ليدل في كل صوت على معنى خاص . .

ولقد تقدمنا بأن ما يسمونه مقطعاً في الصينية هو مقاطع عندنا . وعليه فلا ريب في أن هذه المقاطع تنحل إلى أبسط جداً كانت تنطق كذلك بأصوات مختلفة . لتدل في كل صوت على معنى بعينه كما هي في حال التركيب . ومن ثم ندرك أن هذه الأصوات هي أصل الحروف الصوتية في غير العربية . والحركات في العربية . أو بمنزلة هذه على أقل تقدير . ولهذا نجد في العربية مثلاً اختلافاً باختلاف حركة الحرف . لأن هذه الحركة لها معنى خاص في الحرف . وهي منه في عهود اللغة الأولى . بمنزلة الصيغة من الكلمة في عهود اللغة الأخيرة فكما تقضي الصيغة بتغيير معنى الأصل الواحد . كذلك حركة الحرف . والكلمة المؤلفة من حروف مختلفة الحركات مثل (فَعَلَ) تكون بمثابة الجملة التي تتضمن فيها كلمات مختلفة الصيغ فهي اذن جملة بسيطة . . .

ولسنا نعي هنا بأن جميع حروف الهجاء تولدت إذ ذاك كأصوات ذات معان . وإلا كان يجب أن يتعد الجدول في السامية على فروعها . والحال الواقع يكشف عن أن العربية انفردت بحروف كما أن غيرها كذلك . ونرى في هذه الحروف الزائدة أنها (ان لم يكن ولادها نحت تأثيرات أجنبية) ولادة المقاربية والحاجة كالضاد من الدال . .

(١) راجع مقدمة المحاضرات الأولى لفوستاف لوبون ص ٤٣ .

وجلة القول أن الدور الفطري في غاية أدى إلى هذه الحروف بأصواتها لتدل دلالات ثابتة تختلف باختلاف الصوت مع الحرف . وربما ماغ لنا الاحتجاج باللغة (التركية) التي تمثل بالنظر اللغائي ^(١) طفولية لم تسوها مراحل العمر . قال ^(٢) أبو حيان الأندلسي في كتابه (الإدراك لسان الاتراك) ..

(الاسم أحادي وثلاثي وثلاثي ورباعي وخماسي . فالأول متحرك بضمة ومتحرك بفتحة ومتحرك بكسرة مثال ذلك (صو) و (يا) و (جي) والحروف التي بعدها أشباع وليست أصلاً . وكذلك حروف المد واللين الثلاثة لا يكون شيء منها أصلاً في هذه اللغة) . ونحن لا على شك في أن اللغات كانت على حالة من ذلك . وأن هذا الأحادي هو أساس اللغات وهو يمثل في حروف الهجاء بأصواته المختلفة ذات الدلالة المختلفة . وبالجملة فانا نجد في التركية التي يحكى عنها (أبو حيان) تحقيقاً لما نظن في النشوء اللغوي . وأنه خضع لمبدأ التركيب حتى بلغ مبلغه من الثلاثية والرابعة وهكذا .

ومن الممكن جداً تعيين دلالات هذه الحروف بأصواتها حين كانت لغة على شيء من الافتراض المقارب . وسبيل هذا التعيين المعلات مطلقاً . وبالأخص منها (الفيف) في العربية . وليس اعتمادها بأخذ معانيها المعجمية على وجه التحديد . وإنما بأن تنتقل منها بالمقاربة إلى ما هو الإدخل في تفكير الساذجين واعتباراتهم . على أن العربية بنوع الاجمال لا يمكننا أن نفهم منها شيئاً على وجه الضبط . لما أن نسبة تطورها كبيرة جداً . وبالأخص إذا نظرنا إلى هيئة اللفظ فان العربية لم تعد على شيء يقرب من الأصل . لما كان للاتباع من أثر خطير في تغييرها . وربما كان أخرى بهذا القصد أن نتمد البابلية والآشورية والآرامية وما إليها .

وعليه إذا أردنا أن نعين معاني الحروف على اختلاف الأصوات لزمننا أن نفهمها على ضوء هذه اللغات . ونحن لا على شك في أنه يمكن حلها وتحديد معانيها . ومن ثم نفهم العربية فهمها تماماً لاشية عليه ولا شبهة فيه . وليس في تأليف الثلاثي فقط بل في الموازين أيضاً ..

(١) كلمة من وضعنا الجديد لتحل محل علم اللغات المقارن وهي مصدر من لاغى قارن بين لغتين .

(٢) راجع كتاب توجيه النظر للشيخ طاهر الجزائري ص ١٨ .

ويتفرع عن هذا فهم سر الحركات . ولماذا كان هذا الاختلاف في المعنى باختلاف الحركة الواحدة في الميزان . وإن لم يعد هذا نظراً في الأدوار المتأخرة من حياة اللغة . ولقد بتأتى اعتماد معانى أسماء الحروف الفينيقية في فهم الكلمات . ولكن لخلوها عن معانى أصوات كل حرف يبقى سر الحركات غير مفهوم كما يجب . وذلك لأن الجدول الأبجدي منفصل عن أشكال صورية كان يقال عليها هذا الحرف اسماً كقطع الألف . رسموه بما يشبه رأس الثور . ومعنى هذا المقطع (الثور) أيضاً . وعليه فيمكننا أن نعتبر بأن الأولين أي قبل عهد وضع الجدول الأبجدي كانوا يفهمون من (أ) الهوائي معنى الثور وما يشبهه فيكون له مصدوق الجنس . ثم في عهد بلوغ اللغة زادوا اللام والقاء تخصيصاً للنوع . ومن ثم نفهم أن هذه الحروف كانت تدل على أجناس معانيها الفينيقية في العهود الساذجة الأولى .

وإذا أخذنا في تحليل كلمات العرية على معاني الجدول خرجنا بمقاربات يمكن عليها فرض التطور . واليك كلمة (شجر) التي تحمل إلى (ش) ومعناه سن وهو ينظر إلى مطلق النبات و (ج) ومعناه جبل وهو ينظر إلى مطلق الارتفاع و (ر) ومعناه رأس . والمعنى المؤلف (نبات مرتفع له رأس) وهو تماماً معنى الشجر وانظر إلى تخصيص اللغوي الشجر بماله ساق . وكلمة (جبل) التي تحمل إلى (ج) ومعناه ينظر إلى الارتفاع و (ب) ومعناه بيت و (ل) ومعناه الملاصقة والمساس والمعنى المؤلف (بيت مرتفع ملاصق وكأنه للسحاب أو للأرض) وهو تصور صحيح عن الجبل .

وكلمة (جبل) التي تحمل إلى (ج) ومعناه الارتفاع و (م) ومعناه المياه وهو ينظر إلى السحاب و (ل) ومعناه الملاصقة أو المساس والمعنى المؤلف (مرتفع يلامس السحاب) وهو تصوير لوضع الجبل تماماً . وكلمة (سمك) التي تحمل إلى (س) ومعناه (الدعامة) وهو ينظر إلى مطلق القوي المتحامل و (م) ومعناه المياه و (ك) ومعناه (كف) الذي ينظر إلى مطلق التبسط في صغر والمعنى المؤلف (كف الماء للقوي) وهو تصور قريب عن السمك .

إذن فهذه الحروف ذات معانٍ جنسية وقد بقيت ملاحظتها في وضع الكلمات إلى آخر العهد اللغوي . وعليه فلا يبقى ما يستبعد معه تقديرنا الآتي من أن الثلاثي

والرباعي وما إليه لم تنشأ بالنعث أو بشيء من هذا أبداً وإنما نشأت بزيادة الحرف فقط. وبعد فانا لا نقول بأن الجدول يضمن لنا دراسة كل كلمات اللغة وفهمها على وجه التحقيق. وإنما يمكننا أن نستروح إليه. وأهم شيء يفيدنا منه أنه يبرهن على أن اللغة انفصلت عنه ثنائية فتلالية بحيث لا ينظر إليها كنظرية إفتعارية (١).

كما أنه يبطل المبالغة في تقدير عمل النعث في السامية على الإطلاق. وخصوصاً في الأدوات. فإن ما لا ريب فيه أن هذه الأدوات كان لها معان أولية تمجرت وبقيت كذلك لتدل هذه الدلالة المتحجرة (٢).

وبالجملة قرر بأنه يمكن اعتماد الجدول الأبيجدي بمعانيه في تحليل الكلمات وردها إلى معانيها الأولية إلى أن يتم لنا استخراج جدول واسع يتناول معاني الحروف والأصوات.

الدور الثاني

نرامي النظر في تخطف وتكن. وراء حقب من التاريخ المظلم. إلى هذا العهد الذي بدأ الإنسان يتوكل فيه. أو ابتدأه متوقلاً في مآلى التطور. ولكن على كل حال حقق خطوة لها غايتها ومن نفسه طريقه في غير ما يتحدد ولا التواء. وكان من نتائج هذه الخطى الأولى والسادجة. ان انتظمت مقاصده في أغراض جد يسمى وراها. وكثيراً ما كانت تأتي خطاء متخلفة. وكان لها مع ذلك أثر ليس بقليل في الرقي العام. وركى اللغة وتطور المنطق الذي تقع منه في هذا الدور على تقدم محسوس. ونصادف الإنسان بما انطوى عليه من الغريزة المكتسبة. يحاكي ويقلد على غير قصد منه.

(١) كلمة من وضعنا الجديد بمعنى (utopian) أي خيالي مترق وهي نسبة إلى كلمة (utopia) وقد جاء في المعاجم الإنجليزية ان الكلمة لا وجود لها أصلاً وليست كما توهم ترجع إلى كلمة (topos) فلا يبعد إذن أن تكون مأخوذة من كلمة (طوبى) السامية بمعنى الجنة ومنه (طوبى لهم وحسن مآب) والكلمة الجديدة من قول العرب افتخر القول والرأي أي به غريباً جداً ولم يتأبه عليه أحد.

(٢) وبهذا يظهر مقدار المبالغة في تخريج الأدوات والضمائر على سنة من النعث وسبيل من الاختزال. وهو وإن يكن فيه شيء من الحق لا يشكر. فقد أخذ على وجه متزايد وأكثر من بالغ في هذا التخريج صاحب كتاب الفلسفة اللغوية فراجعته من ٣٢. والحق أن طائفة منها وطائفة من الزيادات في الموازين حرفية من أول الأمر كالتاء في (تفعل) والتاء في (تفعل) على ما اتهمنا إليه فراجعته في القسم الثالث من المقدمة...

ويقين أن الانسان بعد اضطراره إلى هذه المحاكاة بحكم كونها المصدر اللغوي له
فحسب . ترك ثروة ليست بقليلة في هذا المضمار وإن كانت محدودة معدودة . . .

وهذه الثروة هي أكثر المقاطع الثنائية التي يمكن فرضها . وانما أحلنا على الفرض
لأن من المعقول أن اللغة في حالتها الراحنة ، ووجودها الشاهد لم تعد تحتفظ من تلك
الثروة بأكثر من أنها تمثلها في وجودها الارقي . وما بقي اليوم منها في المعاجم
(كأب ونب) فليس جميعها من الثنائي رأماً عند التحقيق كما سيأتي في محله . . .

ونحن وإن ذهبنا نقرر بأن الثنائيات من وضع هذا الدور أو وليدة عوامله فلسنا
نعني أن ذلك كان يقصد الانسان إلى التأليف والتركيب . وانما انتزعها تارة من مصدر
بسيط غير ملاحظ فيها تركيباً . وتارة نشأت بنفسها من ضم المقاطع التي يحتملها التعبير
وخصوصاً إذا كانت مجموعة المقاطع المضمومة تدل على معنى شخصي واحد . فبضرورة
استمرار هذا التعبير لهذه الدلالة يتوحد في غايته . وهذا لا يعجزنا المثل عليه بل هو
قريب وعلى طرف الثام كما يقولون . وليس فرضاً بل حقيقة غالبية . مادامنا نستطيع
تعيين دلالة الحرف وصوته على أن في الأمثال التي منوردها كثيراً من الطرافة .
وطرافة اللغة . وبالأخص حين يكون عملنا محاولة لأول مرة تعرف في (علم تحليل
اللغة) . ولا نستطيع هنا إلا التصريح بأن معرفة دلالة الأصوات تماماً . ودلالة الحروف
البسيطة كذلك . تحتاج إلى مجهود كبير ، وإلى معرفة لغوية شاملة ، وإلى استقراء
دقيق ، يقعد بالباحث المنفرد . وذلك لأن اللغات المرتقية في وضعها الحالي . أصبحت
على بعد يقرب من الخلاف بالنسبة إلى أوليتها القديمة . . .

ولذا سنقتصر الآن من التطبيق على بعض الحروف فقط ليكون كدليل على
صحة النظرية من وجه . ومدعاة لبذل الجهود وتوفيرها على تحقيق أصوات وحروف
كل لغة ونسبتها إلى الكلمات المؤلفة من وجه آخر .

والآن نستطيع أن نتخيل كيف كان يعبر انسان الدور الثاني . وكيف كان
يبين باعتماد معاني الجدول الفينيقي . ولو ذهبنا هكذا في التحليل لكلمات اللغة . وعلى
سنة متظمة تقف على مستوى الأخيلة الواضحة . وعلى مقدار سذاجتها . ونستعين بذلك
أيضاً على تحقيق التطور الوضعي وتاريخ الاشتقاق . واليك مثلاً على هذا (عبي) فإن

(المین) تدل على الحيوان الزئيري . (والباء) تدل على البيت . وكأن المعنى الأولي (حيوان البيت القوي) الذي هو كناية عن الرجل ثم اشتق منه بعد أطوار من الترقي اللغوي والشعبي . اسم لباس الرجل الخاص به (العباية) ثم غلب الأصل في معنى الفرع المشتق . واميت معنى الأصل بالنسيان أو بعدم الاحتياج . حتى صار في معنى الفرع حقيقة وضعية .

وكما قلت اقتصر على هذا المقدار من الامثلة للغاية عينا . وبودي لو استرسل في هذا المذهب من التحليل الطريف، الذي يكسو البحث اللغوي جدة لاذقة، ولكن نحول دونه عقبات أقامها المقابلة بين فروع السامية . بيد أنا مهما تنصلنا هنا من التوسع في بحث الموضوع فلا نهمله من كل أطرافه . ونرى من الضروري أن نتكلم على رأينا في المسلات . التي لا تتردد في الحكم عليها بأنها ثنائية ألحقت بالثلاثيات بتصحيح حركة الحرف حرفاً . وإذا صح هذا التقدير فلا ريب في أنها تكون أقدم ما حفظت لغة من كلمات العهود السالفة والعريقة في القدماء . ومن ثم فهم في الواوي واليائي معنى جديداً وهو انه الحركة الأثرية للحرف . وهذا عدا عما اختلف وطورته العربية منجاة الأصل الذي انشعب منه والهيئة التي ولد عليها . لأن هذا الأصل وهذه الهيئة بقية من الطفولة اللغوية كان لها في مدارك العافولة معانها ومكانها . واما هي من العربية الراقية فليست بأكثر من مفرد ذي مدلول قد يقارب المعنى التركيبي القديم وقد يباعدده .

ويظهر أن العرب في أدوارهم الأخيرة قصدوا إلى تقليل المعلات مطلقاً وامانتها ونوسلوا إلى ذلك بأمرين :

(١) إبدال الهمزة به . وغلب هذا في المثال . وهي ظاهرة قلما تنبئ اليها باحثو الاشتقاق العربي . مع ان لها خطرهما في بناء الكلم وتحرير معانيها فمثلاً (اور) أصلها (يور) و (ايج) أصلها (ويج) و (أخى) أصلها (وخی) ولما بقيت على قلة في المفاعلة فقالوا في (آخى . وأخى) و (أشاح) أصلها (وشاح) كما سيأتي في القسم الثالث بتحقيق . وأهمية هذه الملاحظة (عدا ما ذكرنا) في تصحيح التاريخ اللغوي وتغيير الأصول الموضوعية من الملحقه الخافاً .

(٢) الحذف والضعيف . وهذه أيضاً ظاهرة لغوية لم ينتبهوا اليها وهي بلا ريب عظيمه الأهمية . من حيث وجوه المعرفة في الأولى فشلاً (نبى) يصار بها إلى (نب) . وربما دل لهذا تقدير بعض المستشرقين في لفظ (مكة) وانها مشتقة من (مكا) بمعنى البيت العظيم في البابلية . واذا صح هذا ولا مانع من صحته . فأصلها معل . وفي دور التصحيح قلوها إلى التضعيف . وكذا ما تحتفظ به بعض لغات القبائل من (أبا) في (أب) أي الوالد . وأيضاً بناء (تَقَلَّ) من الثنائي المضعف يرده إلى الأصل الممل كما في (تظنى) و (تعطى) فان النحويين ^(١) يقدرون بأن حرف اللين منقلب من النون في الأول . ومن العلاء في الثاني . وهو مجازفة محضه اذا لم تقدر بأن أصل المضعف الثنائي . ثنائي معل . فرد إلى الأصل عند الزيادة هرباً من الاستئصال الذي يجبر اليه .

والذي يقطع بأن المعلات هي صور مصححة عن الثنائي الصوتي . وانها تحمل كل معاني الثنائي القديم . الكلمات ^(٢) التي كل حروفها من جنس (كالد) بمعنى الهوى و (البية) كلمة تقال للطفل تلعباً وهكذا . فانها لا تعمل إلا على هذا الوجه . وكذلك سبب قتلها . وهي ترجع إلى الممل المعتمد على حرف واحد . فالبية ترجع إلى (البو) بمعنى ولد الناقة وجلد الحوار يحشى ثاماً أو تبناً . والدد يرجع إلى (ددا) بمعنى اللهو واللعب .

وتفسيره ان العرب لما أخذوا ببعض هذا الصنف من الممل ، على وجه التصحيح ومحو الصوتية منه قام على حرف واحد . بينما أقل ما تعتمد عليه الكلمة في العربية ثلاثة أحرف . فضعفوه هذا التضعيف ولثقله ندر وجوده في العربية .

على ان في العربية أيضاً ما يقطع عرق النزاع . في أن المعلات صور مصححة عن الثنائي الصوتي . وانها أصل لثنائي المضعف . وهو الثنائي المخفف كدم ويد وأب وذلك لأنها ان كانت ثنائية ^(٣) ساكنة فلا معنى لتحريك الآخر وهي تعتمد على

(١) راجع ملحقات شرح الاعلم الشتمري لديوان طرفة طبع روسيا . . .
(٢) هذا النوع الذي نص اللغويون على ندرته راجع كتاب ليس في كلام العرب لابن خلوويه ص ٣ .
(٣) ذهب الامام الاصمعياني والشيخ ابراهيم اليازجي إلى أن الأصل النشوي القديم لغة هي

أقل ما به تم الكلمة . وعليه فلم يبق إلا أن تكون منفصلة عن محل مما تحكون به متخلفة بالنسبة إلى موضع اللغة .

ويدل لهذا الاعتبار فيها (أب) المحفوظ بالاعلال والتضعيف والتخفيف . وهو ينظم في تطورات ثلاثة أبا فأب فأب . وبهذا يعال الاعراب بالحروف في الأسماء الخمسة . وذلك لأنها تعتمد على حرفين فإذا اضيفت أسهلوا الحركة وأشبعوها . والتي جعاني أعتمد انفصال أب من أبا دون العكس . ان القبائل التي تنطق به معلاً متخلفة من حيث الاجتماع مما يتبعه تخالف اللغة . وبقى أسباب أخرى قد تقوي وجهة النظر المذكور وهي :

(أ) ان اللهجات الدنيا تميل إلى الاطلاق والتصويت وهذه ظاهرة عامة تقريباً .

(ب) ان اللغات القبلية التي تحفظ في الكلمة الواحدة تفاوت صوتية بتفاوت ارقا . القبيلة .

(ح) ان العربية قد جازت^(١) دوراً صوتياً كانت الحركة فيه تنطق حرفاً كما ينبغي .

ومن ثم نفهم سر التضعيف الذي كان القصد منه طرد كالم العربية على ثلاثة أحرف والتحلل من الصوتية . وهذا التقدير وحده هو الذي يعال السر في جريدة المعاني المختلفة ا كبر اختلاف . لكل كلمات الثنائي المضعف تقريباً . وذلك لأنها تنظر إلى أصول عديدة فشلاً (شح) بمعنى ينظر إلى (شيخ) و (شح) بمعنى وسع ينظر إلى (شحي) وهكذا . وأيضاً به يمكن تحليل كيف كان من العرب من يقول في (مَرَّ مَبْرُوفِي زَرَّ زَبْرُوفِي ذَمَّ ذَامُوفِي كَعَّ كَاعُ) إلى آخره مما هو كثير كثرة مطلقة .

التناثبات الساكنة كذق وان فالاول وضع في معجبه (مَدَّ) قبل (مدح) والثاني نشر في مجلة الطبيب (السنة ١٨٨٤ ص ١٩٤) ان الثنائي موضوع في الاصل على حرفين . وينتصر الاب انتاس الكرملي لهذا المذهب وقد توسع بشرحه في كتاب نشوء اللغة العربية ص ١٠٩ و ١١٠ و ١١١ .

(١) راجع بحث تطور اللهجة من القسم الثاني في المقدمة .

على ان الثاني المضعف أقرب الى اللفظية واقعد . مما يظهر انه عولج بالصقل اللغوي . ويؤيده انتشار المضعف في مثل هذه الكلمات وقلة المل مما يشعر بأنه أخذ بالامانة . وفائدة هذا النظر من عدة وجوه .

(١) عقد وحدة دائمة بين مبادئ المل والمضاعف والرباعي غير الأصم

والمهموز كعب وعب وععب وعبا

(٢) رقوب مقدار التطور المعنوي بينها .

(٣) تحقيق ما هو الحقيقة والمجاز فيها .

وهذه انما تتأتى لنا بهذا الملحظ الاعتباري في اللغة . وينبغي أن يتنبه^(١) الى أن الكلمات التي فيها حرف حلقى تنظر الى المل رأساً على وجه الاطراد . لأن واحداً من هذه الحروف ليس أصلاً .

وعليه فالمعلمات من بقايا هذا العهد السحيق . وانما رأينا هذا الرأسي في وضع المعلمات على أنواعها لتختلف الجامع المعنوي بين صورها المسادية الست . مما يدل على انها لم تخضع للوضع النظامي . وانما كانت وليدة فوضى الوضع القديم . وهذه الظاهرة اعتبرها صحيحة جداً في الدلالة على القدامة . وكذلك يجدها من تفرغ لدرسها بصورة استقرائية على كالم اللغة . وهنا تقف على أن المعلمات بأنواعها المختلفة أثرية وجدت قبل الوضع اللغوي الدوري . وقبل أن صارت العربية كلغة ذات فقه خاص واشتقاق ثابت على اطراد .

وهذا الدور تفرده كحالة لا بد منها في نشوء اللغات . ونمضي عليه بدون تردد . ولربما يحتمل مناقشة في غير اللغات السامية . وليس لأنها لم تخضع لهذه الظاهرة . ولكن لأنها في السامية اكثر وضوحاً . وقدامى لغويي العرب أدركوا شيئاً من هذا في كثرة في المفردات ولكن وجهه لخدمة الاشتقاق العربي . ولم يحاولوه درساً كقانون في انشاء اللغة . وكذلك أدركها صاحب كتاب الفلسفة اللغوية غير انه تنبه الى أن الثلاثي متفرع من ثنائي سابق لا في الاشتقاق فقط كما فهمه الأقدمون حين ذهبوا يطبقونه في الابدال وتعاقب الحروف . بل في النشوء اللغوي أيضاً . بيد انه كان

(١) راجع هذا البحث في الحلقة الثالثة من الدور الثالث من المقدمة .

كثير الغموض إلى حد كبير . وهو في محاولته اثبات هذا التقدير لم يجاوز ما قرره الأقدمون من الابدال والنحت في الثلاثي . مع ان العربي لا يعرف هذا النحت للتخصص كما سيأتي لك تحقيقه .

ولا ريب أيضاً في انه حين يقول بأن اللغة العربية مؤلفة في الأصل من أصول قليلة ثنائية . لا يعين انه يعني ان اللغة عاشت في دور كذلك ثنائية فقط . ولكن مع ذلك لا يسعنا إلا أن نقول بأن الفكرة انقدحت في ذهنه . وان كانت متضائلة غامضة . وإذا حاولناه انصافاً فلم تكن أفكاره في فحواها . بأكثر من افكار كتاب العين التي بها^(١) الخليل بن أحمد وأرسلها ارسالاً .

الدور الثالث

لم يعد الانسان في هذا الدور ساذجاً على المقدار الذي كان عليه في الدورين الأولين . سواء في اللغة أو في أي منحى آخر من مناحي التأهل الارتقائي بمعناه العام . ولم يكن أقل من ذلك في السمو الفكري والعلمي والحياة المدنية . . .

ولقد يمكن للباحث التاريخي أن يعين مبدأ الدور الثالث على مقياس ما عرف في تاريخ الاجتماع ونرجح أن يكون مبتدأ هذا الدور . هو بينه عصر الحجر المذهب . الذي تم للانسان فيه كثير من الرقي . فعرف استخدام الآواني الخزفية ، وابتناء المساكن ، وتدجين الحيوانات ونسج الملابس ، وتعييد الأرض للارتفاع بها واستدراها بالزراعة . .

وكان بحكم هذه العوامل التي توفر الحاجة إلى الخطاب المبسوط على نسبة ما . ان وجه عنايته إلى اصطلاح المنطق . وجمع جهده في انتزاع الكلم وتحصيلها من أي وجه . ولذا غلب عليه الخلق والايجاد والضم والجمع . وما عليه أن يأتي موزوناً . مادام يجده كافياً لحاجته وهو مع ذلك غاية ما سمحت به الفواعل المنتشرة في الطبيعة والوسط والاجتماع . . .

(١) راجع مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٨ .

ونحن إذا ذهبنا قدر مبدأ هذا الدور بالعصر الحجري المهذب . فلا نكون على شطط من التقدير أو على مجازفة من النظر . بل نكون قد سائرنا الواقع الذي يمكن للباحث التاريخي أن يتمحله بشتى القرائن والدلائل . وبهذا التقدير يتمكن الباحث الأقوي في سهولة من استعراض أدوار النشوء في بناء هيكل اللغة على سنة تدريجية غير آخذة سبيلا من الطفرة . أو قائمة على أسس المفاجآت المحضة التي كانت تحمل محل الرضى من أذهان كتبة التاريخ العلمي قبل سلطة النقد وهيمنة قوانين التطور العام . وضروري أن ندر أيضاً ونحن نشهد من تقدم الانسان كثيراً . وقع منه على رغبة غير محدودة في التقدم الواسع . ان الثلاثيات كانت تتزايد وتنمو وتتكاثر . ولكن نكاثرها لم يكن بالقصد اليها وإنما كان على سنة التركيب الكلبي الذي يتخذ بحكم التعبير به عن الشيء الواحد صبغة الأفراد . ومعنى هذا أن عصر الحجر المهذب شهد ثلاثيات كانت تستعمل للدلالة بها على مفردات من الأشياء . . .

وهذا الدور الذي قدره يقع في حلقات متباعدة المدى . ولكنها بقيت خاضعة حتى في عصور كونية اللغة لطلاب الثلاثي وحده . في شعب كالعربية بحيث كان فيها وحدة المادة . وربما يكون هذا نتيجة هيمنة اعتقادية . فان عقيدة الثلاث ظهر أنها كانت تسيطر على شتى ما آتى الانسان القديم . وكانت في أدوار مصدراً عاماً للعادات . ولكل ما هو من عمل القليل . .

ولا يستبعد احتمال هذا في جانب العرب القديمي . وهم من ذوي العراقة في معتقد الوثنية . وإذا صح هذا الظن فلا ريب في أنه يفتح أمام الباحث أفقاً جديداً من الدرس للعربية القديمة . .

ونحن إنما عمدنا إلى تقسيم الدور الثالث في حلقات خمس . لما أنها تماقت على اعتبار الثلاثي فهي بهذا لم تغير في أساسها . وإنما اختلفت في نسب جعلت بينها تفاوتاً إرتقائياً فقط . وسنأخذ فيما بعد بالكلام على كل منها مع حصر النظر في التطبيق على العربية طلباً للاختصار ونقياً لداعية الخلاف والمناقضة . وذلك لآتي على ثقة كبيرة من سلامة النتائج على العربية ولست أعني أنها ليست كذلك فيما سواها . ولكن أقصد أن تطبيقها فيما عدا العربية يحتاج إلى فضلة بمجهود وزيادة درس

الحلقة الأولى

في هذه المرحلة نشهد الانسان عاملاً جاداً مقتنعاً بقوة محكم إرادته . ليخضع ماحوله من أجل معاشه غير متظر ما تاتي به المصادفات . التي ينتهب العيش منها إنهاباً . بل عاملاً بكلتا يديه ليحيا ولينتفع مزوداً بمعارف من الطبيعة . وحيل مما اكسبته ضرورة التناحر . وانا إذا أطلقت لفظ الانتفاع فلا أريد الانتفاع الشخصي المؤقت . بل قد بدأت فكرة الادخار الاستغلالي أيضاً تثاب عنده على نسبة . كنواة للادخار التي صارت في غايها آثرة ويلة . فراح يؤنس الحيوانات ويدجنها . كل ذلك من أجل ضمانة المستقبل . . .

ولقد أعمل ضروب الحيلة لتكوين منطقته بين هذه المطالب الجديدة . والآفاق الارتفاعية ، التي انفسحت أمامه . وكان أن أدرك طلبته بنجاح أطرده مع الترقى الانساني . وكذلك لن يقف الا حين تقف الانسانية عند حدودها الفاصلة . فكانت له لغة يستطيع بسهولة أن يعبر بها عن خواجله ، وعواطفه ، وأشياءه اللاتي تلامس حياته ، ويقع عليها بمحواسه . وان كان ضيق نطاقها الطبيعي يجعل تعبيراته عامة . واصطلاحاته على اشتراك . .

ولكن مهما يكن فلقد كانت لغة على مقياس من تفكيره وحوالجه . ولا يبعد أن تكون هذه الحلقة امتدت إلى آخر العصر (البرونزي) الذي تم للانسان فيه وضع الحجر الأساس في بناء الحضارة . ومن ثم كان لنا أن نقرر أيضاً أنها بقيت طيلة الحلقة الأولى على غير تناسب ولا نظام . وذلك لأنه لم يعمل فيها يد التنقيح بعد . وانما كما سبق يجتهد في اصطناع الكلمات لابرار تصوراته وأفكاره ومكنونات نفسه . ولنقل مايريد إلى من يشاركه الحياة ويمجاوره المسكن . .

وعمد هذه الثروة اللغوية التي تقدرها في الحلقة الأولى من الدور الثالث .

(أ) المفردات ذات المقطع الواحد (وهي الجدول الهجائي فيما بعد) . .

(ب) المفردات ذات المقطعين وهي المعلمات في دور النضوج اللغوي .

(ح) المفردات ذات المقاطع . وهي التي انتهت كوحدة في العربية تنحل اليها

كلمات اللغة وتصدر عنها . وهذه المفردات الأخيرة كثرت جداً . وكان من وجوه كثرتها كون المفرد الواحد ينطق على أشكال مختلفة لتأديات مختلفة أيضاً ...

الحلقة الثانية

قارنت هذه الحلقة من حياة اللغة . العصر الذي اصطلح عليه في الدوائر العلمية والاجتماعية باسم العصر الحديدي . وفيه عرف الانسان كيفية استخراج الحديد ، واخترع الكتابة ، وشاد المدن ، وقطع أشواطاً بعيدة من الحضارة ، وبدأ عهد المدنيات العظمى .

ولا ريب في أن اختراع الكتابة يكشف عن مقدار التقدم اللغوي لذلك العصر . فان من المعقول جداً تأخر الزمن الذي يصبح الانسان في حاجة إلى تقييد أفكاره ، ومبادلة عواطفه ، مع البعيد عنه .

وكانت الكتابة أبداً وليدة الرقي اللغوي والاسلوبي ، والبسطة في مدارج البيان . فحاجة الانسان إلى الكتابة في العصر الحديدي يوضح لنا المبلغ الراقي الذي وصلت اليه اللغة . وليس كذلك فقط بل تدل على العقلية اللغوية أيضاً .

وفي رأيي أن الكتابة من وسائل التقدم اللغوي ، أو هي الوسيلة الفعالة بالمعنى الصحيح . ولا يكن ما أقرره من هذا غريباً أو مدعاة للنساؤل . وان كان يعزو كثير من المستشرقين رقي اللغة عند العرب إلى عدم الكتابة . مما كان سبباً قريباً لمرونة السنتهم . ما دام واضحاً جداً أن لغة التعبير المطلقة على حرية صكيرة في المذهب البياني . حين لا تقضي بأكثر من أن يرسل الكلام رسالاً معبراً عن المقصود كيفما تأتي . ما فتى . قنباً بمحصول الغاية من الخطاب .

بينما الكتابة ليست على هذا الوجه . ولا على مثل هذا اللون . فهي تأخذ في مذهب بعينه ، وتفيض في طوابع خاصة ، وتعمل دائبة على التقليل والتهديب . ما دامت تقدم نماذج للمقارنة بين المنتجات للانسان المترقي . فتدعو للأمانة والايجاد ، والاختزال والاطناب ، على حسب الدواعي . وبالأخص حينما تقع من الانسان على غريزة طلب الأصلح . ولست أنكر أيضاً ما يجيء به المستشرقون تعميلاً لرقى العربية . لأنني أفهمه

على خلاف ما يظهر منه . أفهمه على معنى الرقي الكيفي في اللفظ فقط . والا فالرقي اللغوي في صميمه ومادته ليس كذلك أبداً . ولا أتردد في عزوه الى الكتابة فقط . ولولا الكتابة لما كانت لغات اليوم . إلا شواهد كما يخرج باطن الأرض من نصب وقايل . اللهم إلا إذا كانت على قدم نسي .

ومن ثم صرنا نشهد أقواماً على حضارة ما ولغة متخلفة . لأنها لم تكتب بعد . والكتابة وحدها هي التي تجعل اللغة كائناً حياً يدب ويسعى . لأنها منه بمنزلة الوجه الثابت ، والوجود المستمر .

هذا شيء لا أرتاب به ولا أعلن أحداً من الناس يرتاب فيه أيضاً . ولذلك لن أكلف نفسي عناء الإكثار في التحدث عنه ، وتكلف أسباب الاقناع به . وحيث كان هذا العصر مولد الكتابة . وكانت فيه الحاجة اليها . فلا نكر في أن تقدر سمو هذه الحلقة من الوجهة اللغوية . وهي في ظننا الخطوة الأولى لتنظيم اللغة . ومن ثم تهيأت بامتلاكه للاطراد في الترقى على سنة آلية مستقيمة .

وكانت المفردات الاحادية ، لا تزال تسد مسداً في اللغة ، وتزاحم في الوجود الياني . ولكن بنمو العقلية في هذه الشعبة ، بدأ يطرح المفردات الاحادية كذات دلالة معنوية على الانفراد . ويميت فيها دلائلها الخاصة ، حتى لم يبق لها أثر إلا في تكثير مفردات اللغة بالزيادة بها ، ولكن على وجه لم يستقم بعد تمام الاستقامة . فلم يكن للزيادة بها كيفية وقانون ، بل كل ما في الأمر ان الانسان لم يعد يتكل في تكثير اللغة ، وتسمية الأشياء ، على المصادفات الطبيعية ، أو الملابس الظرفية . بل أصبح يلجأ إلى التأليف قارة ، والتركيب قارة أخرى ، عند الحاجة وبحسب مقتضيات .

وروح هذه الكثرة ، والعامل الأوحد فيها هي المفردات الاحادية (جدول الهجاء فيما بعد) رغم انه لم يكن رتب على وجهه .

وكما قلت لم يكن للزيادة بها قانون يصطنع عند التفرع . فكانت يزيد على الثاني هكذا من غير تقرير لموضع الزيادة . ومن ثم يتضح الفرق بين ثلاثيات الحلقة الأولى والثانية . فان التسلافي في الأولى . كان عبارة عن تركيب مؤلف من ثلاث

كلمات . فلم يكن مفرداً في مفهومه وان تبيين بحكم دلالة وموضوعه . بخلافه في الثانية فقد كان عبارة عن مؤلف حرفي ، لا دلالة لحروفه على الانفراد في اللغة الآتية . وان كانت ذات دلالات أثرية عن عهد من الوجود اللغوي أدنى . كما قصد فيه من أول الأمر الوضع الشخصي . ولا شك في انك تلاحظ فرقاً بين ما دخله القصد في أن يكون ثلاثياً . وبين ما كان ثلاثياً بضرورة تشخص الموضوع له .

وبتحرير هذين الفرقين ، يمكن أن نقف بوضاحة ، على مميزات كل من الحلقتين ، وعلى درجة التفاوت بينهما

وبناء على هذه الافتراضات المظنون صحتها ، لم تعد اللغة انكالية أبداً . بل أصبحت على نسق مثلي من الكائن الحي ، فيما بعد دور الطفولية يهيئ لنفسه أسباب البقاء في غير معونة لأنه متمتع بكل مقومات الحيوية . لا ينقصه شيء مما يلزم لبقائه الأولي ، إلا كما ينقص الحلقات المقنودة في تقدير النشويين . على ما في هذه المقومات من استمداد للتطور المستمر ، وقابلية للوجود الارقى . وسير بنا أمثلة عن هذا الاستمداد ، وهذه القابلية في وضوح ، وفي غير ما ايهام .

الحلقة الثالثة

في ظننا أن هذه الحلقة ، ترتبت من الحلقة الثانية ، فقد أدت اليها بما هيأت فيها من أسباب ، وبطنت من قوى .

وطبيعي أن تؤدي هذه القوى التي لها طبيعة النواة وخصائصها . إلى الحلقة الثالثة في تقديرنا بكل ما اشتملت عليه ، وجميع ما امتازت به . من طابع لغوي ، إلى عمل وضعي ، إلى نشوء نظامي ، لا يختلف في شتى اعتباراته .

ولا يمنع دون هذا أي شيء من إحالة . فان الحلقة الثانية التي انفصلت بما شهدنا من ارتقاقات لغوية ، في البناء والوضع . حتى تم للانسان أن يجمع هدفه في الكتابة بعد اللغة . وتم له معرفة الاسم ، والفعل (بمنزلة الوصف) والحرف المهمل ، دون الحرف الذي جاء لمعنى .

وإنما رأينا هذا الرأي . لأن من البعيد جداً التقدير الذي يقرر عرفان الاسم

الوصفي حينئذاك . لأن الوصف في الحقيقة . علم على معان تقوم بالأشياء ، أو على وحدات عرضية تقال على الدوات . فتقرر الاسم كعلم ، ثم إبرازه كوصف محض ، عمل مركب فوق منزلة اللغوي الراحنة . كما أنت تقدير إدراك عقلية الوسط لهذه الوحدات والمعاني ، يكاد لا يتماثل أو هو غير متماسك بالفعل . لأن انتزاع وحدات الأشياء . يحتاج إلى عقلية علمية ناضجة ، وإلى دقة في المقايسة والموازنة مما هو بعيد بلاريب عن هذه المنزلة التي قدرها .

وأذكر أني رأيت بحثاً مستشرق كبير . ذهب فيه إلى أن الساميين لزم من متأخر ، كانوا لا يعرفون من الألوان سوى الواضحة كالسواد والبياض . وهذه علامة اتخذها كظاهرة من طفولية الأمة . وإخال أن هذا صحيح . وربما أيده عدم معرفة العرب للون اللازودي ، إلى ما بعد خروجهم من الجزيرة ، مما اضطرهم إلى استعارته بلفظه وإهابه الأجنبي . وإنما كان يستعير بالفعل عن الوصف . ولا يؤخذ من إطلاق لفظ الفعل ، أنا ضني الفعل المذهب ذا القواعد المقررة . بل ما يقارب المصدر في المفهوم اللغوي . كما سيأتي في بحث (الأفعال) من المقدمة وكذلك تؤكد عدم معرفة العربي حروف المعاني في كل الحلقة الثانية . التي هي في مقياسنا الوجه اللغوي للعصر الحديدي . وذلك لظهور التحولات الطويلة فيها التي صيرتها أدوات في نظم الخطاب

والبك مثلاً (واو الجمع) فهي في ظننا واو العطف ، المختزلة من كلمة (وَوْ) التي تحتفظ بها العبرية بمعنى (وصل) . وتقات إلى الجمع للاشتراك في الدلالة . ولذا عرفت قدامى النحويين الجمع ، بأنه ما أغنى عن التكرار بالواو . وهذا الظن قديمارض بالقلب ، ولكن البحث اللغوي معارضاً بالعقلية الساذجة ، فحين بتصحيح ظننا على وجهه . وكذلك (أو) العاطفة فهي عندنا متأخرة عن واو العطف وكأنها مركبة من واو العطف وهزة الاستفهام . ومن ثم يظهر كيف قالوا هي موضوعة في الأصل للشك . وسلباً (أم) الموضوعية للتقسيم بملاحظة أن الميم علامة الجمع الخ^(١) ..

هذه الحيوية الخصبة في كيان الحلقة الثانية . أدت إلى التنبؤ اللغوي ، وإلى

(١) بسطنا الكلام عن الأدوات في كتاب (دراسات على فنون العربية) . ولأمر على هذا التفريع نظير في الإنجليزية وهو (almost) المؤلف من كلمة كل والاكثر لنعطي معنى تقريباً . وهو في الأجنبية يكثر كثرة مطلقة .

نوع من بلوغ الحلي . وكان من نتائج هذا البلوغ ، ان اجتهد في ضبط موضع الزيادة ، بدون ان يتركها على فوضوية من تعيين الموضع المذكور . فهو لم يكن يعرف قبل هذه الحلقة موضعاً بينه يخص الزيادة به ، ولا قانوناً لها ، وربه زمن ليس بقليل حتى اصطلح الموضع الخاص بها .

ومضى قدامى رجال اللغة ومحدثوهم ، في غير تردد ولا تفكر ، على تعيين ^(١) الآخر موضعاً للزيادة في الأكثر . فانك لو أخذتهم من أقدم العهد الدراسي أي من عهد الخليل إلى العهد المصري ، لوجدت الجماعة على وفاق من تعيين الموضع المذكور . . .

وينبغي أن لا يفهم من عبارتنا ، أن اللغويين ^(٢) قدروا الدور الثنائي وأثبتوه كعمر صرت به اللغة ، في تطورها الطبيعي للتكامل .

وإنما كانت كل أبحاثهم في هذا الباب ، عبارة عن أن الواضع لاحظ عند وضع بعض الثلاثي معنى الثنائي ملاحظة مشتركة . كقط في قطع وقطف وقلم وهكذا .

وكما قلت لم يترددوا في هذا الظن أبداً حتى اصلوا عليه أصولاً ، ووضعوا ضوابط أتى عليها علماء ^(٣) الاشتقاق كأبن جني في سر الصناعة ، والزجاج في الاشتقاق ، وابن الاثير في المثل السائر إلى سوام . ونحن وان كنا لا ننكر أن في كثرة من كلم اللغة ما يسند هذا الظن ، أو يحمل عليه ، نقول بخطئه ونرى رأياً آخر يبين رأيهم ويخالفه . ورأينا وان كان يبدو غريباً فلا يبين الصدق ، ولا يجانب الواقع ، وهو جدير بالدرس والتوسع .

ويجب أن لا ننفل وننحن نؤرخ لتطور اللغوي ، أو بعبارة أخرى لتطور الوضعي عند العرب ، أن الأمر قبل كل شيء وصفي . وأقصد بهذا أن على الباحث استقراء

(١) ويندر بعض باحثي اللغة اليوم كزبدان والاب أنستاس الكرملي إلى جانب هذا وجهاً احتمالياً يأخذ الثلاثي على انه محتمل ان يرد إلى ثنائي باعتبار زيادة الفاء او العين او اللام راجع كتاب الفلسفة اللغوية للاول وكتاب نشوء العربية لثاني وسيمريك مناقشة هذا الرأي الاحتمالي في القسم الثالث من المقدمة .

(٢) أي القدامى منهم وان كان بعض متأخري اللغويين يراه طوراً نشوئياً ثابتاً .

(٣) لحسن هذه الضوابط تلخيصاً حسناً صديق حسن خان في رسالته (العلم الخفاق)

مفردات اللغة وأخذ صفة عامة لها ، قبل أن يلتمس وجه التعليل المنبني على تقديرات مجردة . وما أيسر التقدير في جانب الدرس . ولكن قلما يأتي بنتائج عملية صادقة أو لا يأتي بها أبداً .

وهم في تقديرهم درجوا على ان الآخر موضع الزيادة . ونحن نقرر انه الوسط دائماً في غير ما يكون حلقياً من المواد . فان حروف^(١) الخلق عندي متقلبة عن أصوات هوائية تصعب الحرف . ولم تستقر على الوجه الحرفي بالمعنى الدقيق إلا بعد بلوغات لغوية عديدة . ومن ثم لا يصح أن يعد الخلق حرقاً في مباحث التأصيل . فقطع نرجع إلى (قط) ، وحلب ترجع إلى (لب) ، وعصفور ترجع إلى (صفر) التي ترجع إلى (صر) ومنه الصر طائر كالمصفور ، والصرصور الخ . وأيضاً ما كان فيه حرف تون فالأكثر زيادته . لأن التون تبين بالغ فقط . (قهر) يرجع إلى المل (روى) الذي منه الري . ويشهد لهذا كلمة (دد) بمعنى اللهو ، الذي حفظ على وجوه ثلاثة تنظم التطورات التي فرضها . قالوا (ددا) و (دد) و (ددن) وقالوا في جمع دينار دنانير . وكذلك التاء يكثر كونها متقلبة عن واو وهكذا .

وبالبحث المستفيض ، والدراسة الدقيقة ، والمقابلة الصادقة بين المفردات بوجه عام . قف على صدق النظر المذكور . ولا تغفل أني سأتكلف أمثلة صدقت فيها وجهة النظر مصادقة أو اتفاقاً . بل سأخذ في عرض أعرق أمثلتهم ، وهو (قطف) فإنه يرجع إلى (قف) وكما تشهد المعاجم يدل على الضم والجمع و (الطاء) تدل على الالتواء والانكسار . وهذه الدلالة تنسحب على كل الجوامع الحرفي كقذف وقرق وهكذا مما سيأتي تحقيقه ببيان ومقابلة في (بحث الثلاثي من القسم الثالث) . ولا بأس من أن تنوه هنا ، بأن صنيع الجوهري في بناء معجمه (الصحاح) على ملاحظة لام وفاء الكلمة . هو الذي الفتي إلى هذا الرأي ، وانتهى إلى هذا الظن . وإن كان ليس مبنى ملاحظة الجوهري أصلاً ، وإنما ملاحظته معجمية فقط . وأرى أن الحامل له على هذا الوضع ، هو ما رآه في كتاب (مقاييس اللغة) لأحمد بن فارس ، من تنصيب

(١) ويشهد لهذا عدم وجودها في اللغة البابلية التي هي بلاريب أدنى مستوى من العربية بالنظر القناني راجع كتاب تاريخ اللغات السامية للدكتور ولفنسول ص ٢٠ و ٣٩

على الاصالة . فنثلاً (جند) يقول فيها الجيم والنون والدال أصل . فالجوهري طلباً للاختصار بنى معجمه على الآخر والأول ، الذي هو في قوة النص على الحروف الاصول . هذا ظن نرسله في كثير من الثقة والاطمئنان . ولقد يزيد في خطورة الحلقة الثالثة ، أن تكون انتهجه في التفريع والتأصيل الوضعيين . واذا تقرر هذا وهو ليس بعيداً ، فتكون هذه الحلقة من التقدم اللغوي بمكان .

ولكن قد يقال بعد تقرير هذا القانون . كيف كان طبعه في الأفراد حتى يصدروا عنه ؟ وأي تقدير يحتمل في هذا الصدد مستبعد ، من مثل المجامع اللغوية وما إليها .

أقول من المظنون ان هذا عمل فردي ، ثم تنطبع به الجماعة بعد الانتشار والشروع ، ويتقرر على الأيام كظاهرة لغوية . ولهذا شاهد من المكتشفات الحفرية فقد ورد في قائمة أثريات الحفر ، الجاري عند اللاذقية في (رأس شمرا) ذكر لوح كتابي ، عليه حروف مسماوية . وحروف يصطنعها صاحب اللوح بين المسماوية وبين الفينيقية الشهيرة ، مما حدا بالمكتشفين إلى الظن بأن الكاتب فينقي ، اجتهد في اختراع الأبجدية الفينيقية ، وكانت هذه إحدى محاولاته .

قد تكون هذه القوانين اللغوية ، عملاً من هذا القبيل . وقد تكون عملاً جماعياً ، تقوم به الجماعة ، ويتقرر من غير قصد اليه ، كما هي سنة التطور في الأشياء ، وفي عامتنا الشائعة ما يوضحه . وان كنت اميل إلى أنه من عمل الأفراد الجليلين ، ثم يأخذ سبيل الشروع والعمومية . ومن هنا تقف على ان عمل العربي في هذه الحلقة ، كان في الاهتداء فقط إلى محل الزيادة . ومن بعد اطراد التكاثر على سنة بينها لا يعدوها ، ولا يأخذ مأخذاً مبانياً ، بل يحاكي ويقلد ، ويلحف في المحاكاة على قانونها .

الحلقة الرابعة

ربما كان الحديث في كل هذه الحلقة مفاجأة مطلقة . وربما كان من العسير التسليم به والاستدلال عليه . ولكن هذا لا يمنع من المضي في تقرير ما نرى . وأيضاً

لا يمنع أن يكون هو الواقع فكثيراً ما كان الحاطر موقفاً ثم يهجي على تأكيده العلم .
على أن ما نحن منه الآن بصدد ، لا يعد كذلك برمتة ، بل لبعضه مؤيدات
وشواهد وقرائن ، أن لم يكن كل الواقع فليس بعيداً عنه : وإن لم يكن نفس الحقيقة
فليس يباينها .

ومع أني أعتقد بأن ما أقدمه في هذه الحلقة هو أعظم أبحاث المقدمة وأخطرها ،
فلا أغفل الدارسين بل أتصف للدرس ، وأتصر للتاريخ ، وأقول ومل ، قولي صراحة ،
بأنه رأي يعتمد الاستنتاج ، وإن أتجده الصدق على مفردات اللغة .

انني أنتظر أن أفاجيء بكل هذا ، في حديثي عن الحلقة الرابعة التي فيها تم
النضوج اللغوي عند العرب . فلم تعد اللغة في حاجة إلى شيء مما كانت تحتاجه أولاً ،
بل خضعت خضوعاً تاماً لأصول في الوضع ، أعتبرها اللغائيون (الفيلولوجيون) أسماً
وأرفع ما عرفت أمة من الأمم .

تركنا العربي في الحلقة الثالثة ، يزيد زيادة تعتمد طريقاً واحداً ، ولا تتنكب
أبداً الرسوم والاعلام الممينة . والآن نراه (لما انفسح امامه من الآفاق الارتقائية على
اختلاف شعبها وهذه كثيراً ما تتداخل في مشابهاة تقضي بتوحيد الوضع) يلجأ إلى
القلب . ويحاول أن يجعل منه منفذاً إلى غرضه ، أو فيه تحقيق كل ما يبغي من جملة
مرايه . فمضى عليه ووضع متخذاً أسبابه ، ولكن بقي كشيء لم يتقنه بعد تمام الثقافة ،
ضرورة انه ابتداء ابتداء . يد أن قد وجد فيه توفيراً للعناء وتخفيفاً للثؤونة . فاجتهد
باتقائه رغبة منه في أن يجعله السبب الوحيد إلى الوضع غير المتخالف . ولم يترك الوضع
عليه حراً ، بل محكوماً بقوانين تحفظ الفكرة الواضحة ، وترجم عنها في وضوح . ومن
ثم نرى العربي بعد ما اعتمد في التزيد اللغوي على المفردات الأحادية (الجدول
المعاني) يذهب إلى ترتيب هذه المفردات كمحاولة انتهت به إلى الترتيب المعاني
دون الأبجدي . لأنني أشك أشد الشك في أن تكون الأبجدية ترتيباً صحيحاً ، ويخيل
إلي أنها عبارة عن ضوابط للحروف ، متخذة شكلاً كلياً لتسهيل الحفظ . هذه العادة
التي انتقلت إلى أصحاب الفنون . وكان الأولين تنبهوا إلى هذا ، فزعموا أن هذه

الضوابط منقولة عن أسماء^(١) ملوك أقدمين اجتهدوا في اجراء حروف اللغة عليها .
بينما البساطة كلها تتجلى في الجدول المذكور ، ولا يفهم عني اني اقرره كما هو
اليوم أي على شكله وحروفه ، لوضوح التخالف في بعض مواضعه ، والزيادة في
البعض الآخر . ولكن مع ذلك هو أقرب ما يكون إلى الأصل ، ولا يمكننا إلا أن
قبله كما هو لتصحیح الوضع في المستقبل بقطع النظر .

ومن المحقق أن اختيارنا قد يكون مدعاة للتساؤل ، ولا أنكر أن هذا التساؤل
صحيح ، ولكن اطمئن جداً الى اختيار الجدول لسببين :

(١) شهادة المقاليل بحسب قاعدة الدوائر التي ستمر بك .

(٢) تشكك الحفرين في قدماء الحروف الفينيقية ، بعد ما اكتشفوا من
آثار عرب الجنوب التي ترجع بتاريخها إلى ما قبل أقدم أثر فينيقي . مما لا يبعد
الظن بأن عرب الجنوب كانت لهم حروف على ترتيب خاص يكتبون بها .

ومع اعترافي بأن كل هذا لا يكفي لاثبات أقدمية الجدول على ترتيبه ، لا أستطيع
إلا أن أثبت له هذه القدماء ، ما دامت مقاليل مواد العريضة تنتظم عليه ، ومن ثم
أراني متحلاً من أية تبعة في اعتماده وتقريره .

وكما قلت جعل العربي القلب محور الوضع ، ثم اجتهد في تنظيم قاعدة المقاليل
والوضع على اعتبارها ولقد تأتى له استخلاص قاعدة موزونة جداً ، بعد أن رتب
الجدول الهجائي (وقد يصح اعتماد الابهجدية ولكن أجديني أميل الى الجدول) .

وهذه القاعدة قيمة بتوليد ستة مواد لكل ثلاثي ، متخذة تولداً على مثال
تولد الكائن الحي ، وأيضاً تعيش في أدوار محدودة لا تتعدها ، وتخضع ككل شيء
للناموس العام ، كما انها تعين المادة الاصل ، ثم المقاليل على التوالي التاريخي ، بحيث
تقف من بعد على مقدار قدماء كل مادة ، ومعرفة العمر الطويل الذي عاشت فيه .
وسأتي الكلام عليها مفصلاً في القسم الثالث ولكن لا بأس من أن نلم بطرف منها .
هذه القاعدة تعتبر أقدم المواد من الثلاثي ما كانت مساوقة لترتيب الهجائي .

(١) راجع تفاصيل هذا الزعم في كتاب ادب الكتاب للصولي ص ٢٩ .

فأقدم مادة من ثلاثي (م ل ك) هي (كلم) وطريقة توليدها بجعل العين واللام .
فاءً وعيناً . وعليه فالمادة الثانية (ملك) والثالثة (مكل) . ولو ذهبنا نستولدها على
الطريقة عينها فلا تله إلا مادة الأصل (كلم) . وهذا يشبه من كل وجوهه قانون
(Atavism) الرجوع إلى الجذ - ومن ثم يقف الثلاثي عن الانتاج ، إلا بنوع من
التغيرات يجري عليه بعد تمثيله دائرة بكاملها .

والتغير الذي تقضي به القاعدة ، يكون بجعل اللام من مادة الأصل (كلم)
عيناً ، وحينئذ تتولد المادة التي هي رأس الدائرة الثانية (كل) التي ينشأ عنها (ملك
ولكم) . ويقف الثلاثي عن الانتاج أبداً بعد استيفائها . ومثال القاعدة على الترتيب
المذكور .

الدائرة الأولى « كلم . ملك . مكل »

الدائرة الثانية « كل . ملك . لكم »

والقاعدة تقضي بوجود جامع معنوي بين المقاليب الستة ، لا يمكن أن يتخلف
وان كان على بعد ، وانما التحالف في الخصوصية فقط . ومن هذا نعلم أن الواضع القديم
كان يحرر التشابه بين المسميات ليضع لها من مادة تتوافق في مفاهيمها التي هي
(ملاحظة الوضع) وان تخالفت في الماصدقات . وليس هذا دعوى مجردة ، أو
اجتهاداً مفتعلاً ، وانما هو شيء راهن في التطبيق على مواد اللفظة . وما أبالي إذا
صدقت باستبعاد مستبعد ، أو بنقص في مقدمات الاستدلال التي تتوقف على هدم
سور مجاهل التاريخ .

وأعتقد بأن مقدار الثروة العظيمة التي حازتها العربية ، انما كانت من عمل القلب
فقط ، بينما كان عمل الابدال وما اليه في جانبه نذراً يسيراً . ولنوضح هذا على المثال
المضروب بالمقابلة بين أوضاع المقاليب الستة ودلالاتها ، التي نخرج منها بمعنى يصح أن
يكون جامعاً وهو (القوة تترك أثراً) والقوة في كل شيء بحسبه . ومن ثم نقف على
أن اصالة نقل (كلم) الى الكلام بمعنى اللفظ بملاحظة الكلام الناقد ، أو للملابسة
الكلام للقوة وما إلى ذلك من علاقات النقل . ولا ريب في أن وضع الكلام بمعنى
اللفظ ، متأخر جداً لغرض العلاقة ولضعف الجامع المعنوي فيه . وسيأتي درس القاعدة

بتوسعة وعمق في القسم الثالث ، بما لا يترك شبهة في أن العربي صدر عنها في وضعها ، وما تنكب أسبابها . ولقد يبدو مهماً أن يكون العربي استعمالها بدقة تفوق أرقى لغة عصرية . وما ضرب هنا مثلاً على سبيل الإيضاح ، ليست له صفة مشتركة ولا جامع معنوي ظاهر ، إذا ما برزت نهج القواميس . وإنما تبين لك الحقيقة حينما تأخذ بتطبيق قاعدة المقاليد . ولهذا المثل قصة أوردها هنا ، بياناً لمدى الخطأ الذي تقع فيه إذا تجردنا إلى المعاجم فقط ، دون أن نترك للقاعدة عملها فيما نسوق المعاجم من نصوص . لما كنت آخذاً بوضع مواد المعجم ، عرضت لي مصادفة كلمة لم يكن عندي خاطر عنها ، وإنما كان مفاجأة وجدانها والخطر اليها . وقفت على بحث أثري عن (حضرموت) وكان أن جاء فيه ذكر قلعة تبلغ سبعة طوابق ، تسمى (حورة) قدح في خاطري هذا الاسم ، تأصيل مادتها في الاشتقاق لناطحات السحاب ، وكان أن اشتقت لما زاد عن سبعة طوابق لفظ (مُحارة) بالضم كقائمة ، وهنا تساءلت عن (المحارة) بالفتح - صدقة الأولو - فشككت في أن تكون من مادة (حور) . وقدرت أن تكون من (محر) ، ولم كانت دهشتي باللغة حينما رأيت صاحب اللسان ، يرد المحارة إلى (محر) على رأي القليث ، وإن كان الفعل مماثلاً ، بينما الجمهور يردونها إلى (حور) ذهاباً مع عدم وجود الفعل في اللغة . وذلك لأن القاعدة تقطع بهذا ، فإن من مقاليد (رحم) وعلى ضوء قاعدة المقاليد ، نقف مبهورين للملاحظة الدقيقة التي بنى العربي الوضع عليها ، وهي التخصيص في كيس الحمل الجنيني على فصائل النوع تخصيصاً ملاحظاً فيه أدق الميزات . فإن من المحقق أن (الأولو) حيوان في الدرجة الانتقالية ، ومن المحقق أيضاً أن هذا كان شيئاً معروفاً لعصر الوضع العربي ، فلم يبق ما يستبعد معه ، ظن أن العربي وضع للكيس الجنيني في الحي التام الحياة (رحم) ، وللكيس الجنيني في الحيوان الانقباضي (محارة) وعليه فالمحارة كيس جنيني لأولو .

يعجب الباحث العلمي أشد العجب حين يقف على هذا الوضع المكتمل للملاحظة ، والذي لا يقع على مثله في أية لغة عصرية على سموها العلمي واقتعادها القوي . وبالجملة فهذه القاعدة ليست على تردد من أمرها ، ولا على شك من صلاحيتها

تكثر اللغة عند الحاجة ، ويكفي أنها تضمن أحداث مواد لا تعرفها عربية المعاجم ، وإن كانت تدل عليها ، لما تقرر من وجود جامع معنوي بين المقاليب . فلم يعد من الصعب أبداً ولا في حال من الاحوال ، تعيين الدلالات بحيث لو وضعها العربي ، لما تجاوزها هذا المعنى . عدا عن أنها تعين المئات من المواد كما سيأتي لك في مادة (زفن) فأنها عينت وجود (قنز) في دور من العربية ، وإن كانت لا تحفظها المعاجم اليوم ، ولم يدركها عهد الرواية . ويؤكد ما أوصلت اليه القاعدة ، النص الأثري الذي احتفظ به صاحب القاموس وبسطه صاحب التاج ، من أن الفنرج رقصة .

وعدا فائدتها نظمائن جداً إلى عرفان العربي لها في هذه الحلقة ، وانها خطته الوحيدة في الوضع سواء بنى الاصلة على الترتيب الهجائي أو الأبجدي . وكيفما كان الأمر فلا مناص من اعتماد هذه القاعدة في تصحيح نصوص المعاجم التي لا نكاد نظمائن إلى كثرة منها ، وفي تلافي تخلف العربية حيال ما يندق العلم من اتساعات موضوعية تستتبع تزييداً في اللغة .

وقد يتساءل عن وجه هذا الترتيب الدائري ، وعن كيفية اتساق اللغة عليه ، مع العلم بأن العربي اهتدى إلى قاعدته ، بعد أن كانت لغته موفرة المواد التي ليست على اعتباره .

ولكن قول ايجاباً بأنه اهتدى اليها ، واقته غنية بالمواد الثلاثية ، وهذا لا يتنافى مع الترتيب الدائري المفروض ، لأن الوضع الأول الذي ترك الثروة المذكورة ، كانت الملاحظة فيه ساذجة وعمومية ، وبعد الاهتداء الى قاعدة المقاليب ، اجتهد العربي في طرد المواد جميعها الموضوعية وسواها على اعتبار القاعدة في المعنى والخصوصية . فلقد تكون مادة ما ، أقدم مما تقضي القاعدة بتقديمها ، ولكن بهذا المعنى والخصوصية تكون كقضى القاعدة . على معنى ان العربي أمات فيها معانيها المتخالفة ، ليضمها على خطة ذات وحدة متفاهمة .

هذا هو الثلاثي في نشوئه وتزييده ، ولا تركز إلى شيء مما يخيّلون به في أصله ، لأن مبناه على الخاطر المرسل في غير توازن . ولعل مذهبهم^(١) في التركيب والاختزال

(١) راجع كتاب الفلسفة اللغوية ص ٨٠

لتحصيل الثلاثي ، أقرب إلى الفكاهة منه إلى التحقيق . ولنضرب أمثلة منه لنرى مقدار ما فيه من اعتماد على التخيل المحض ، والتقدير الوهم . قالوا في (قطف) انه من (قَطَطَ . لَفَتَ) وفي (قَش) انه من (قَمَ . قَشَّ) وفي (بَعَجَ) انه من (بَعَجَ . بَجَجَ) وهكذا مما لا يحتاج إلى تعليق ، ولكن ضرورة التنبية دعيتي إلى الاستطراد به في بحث كيف نشأ الثلاثي وكثر .

الحلقة الخامسة

مر العربي بالحلقة الرابعة ، ولم تعد لغته في حاجة إلى شيء مما يضمن بقاءها ، لأنه وفر فيها كل عناصر البقاء ، ولم تعد في حاجة إلى ما يحفظ تزايدها ، لأن فيها من الحيوية الفائضة ما يكفل تكاثر النوع .

وهي ان تكن في حاجة إلى شيء ما ، فاحتاجها إلا إلى مكملات تحكم اللغة ، وتغني عنها التريث البطيء ، وتدفع بها إلى المد غير المنذرجر .

رأينا كل هذا في جعل الجدول الهجائي بمعانيه العمومية نواة اللغة ، التي لا بد أن تنمو إذا وضعت موضعها من التربة الصالحة ، ولا بد أن تزيد لا على نسبة رياضية فحسب ، بل على نسبة مضاعفة آلية .

ورأينا دقة العربي في جعل الثلاثي وحدة الكلمة ، لأنه أعون على التزايد ، في غير تخرج ولا تأزم من فصاحة وبيان .

ورأينا كذلك مثلاً لاقصاف الحياة من الكائن على نواويس ثابتة لا تتخلف ولا تضطرب .

أحكم كل هذا بقوانين ، وأخضع لغته لها ، وكذلك عادت معينا لا ينضب في قوة وتدفق . يد انه كان من المعاني التركيبية ما لا تأديه كل هذه الثلاثيات ، لأنه ينبغي عليها وفيه زيادة من المعنى تقتضي ما يؤديها ، ولا تتم الدلالة إلا بها ، فاحتاج إلى الزيادة ولكن احتفظ بالثلاثي كوحدة للمعنى ، واستعان بحروف الجدول على صيغ هذه الوحدة بصيغة تجعل منها معنى مؤلفاً . ولا ريب في أن العربي قد توصل في هذه الحلقة والتي قبلها إلى زيادات تصريفية ، جعل موضعها في أول الثلاثي ،

وأما الزيادة من أجل تحصيل كلم المعاني المؤلفة ، فجعل موضعها الآخر . ومن ثم تولد
الرابعي والخامسي ولكن في تعاقب ولحاجة ماسة . وعليه فالزيادة على أقسام .
(١) زيادة البناء . وتكون على الثاني لتحصيل الثلاثي وموضعها الوسط .
(٢) زيادة الاشتقاق . وتكون على الثلاثي لتحصيل الرابعي وما إليه وموضعها الآخر
(٣) زيادة التصريف . كتفعل واستفعل وموضعها الأول غالباً لعدم الالتباس .
وأما زيادة الاستناد كقربت فليست من أقسام الزيادة على معنى التأليف ، الذي
هو المراد هنا ، بل بها تصير الكلمة مركبة ، لأنها سواء كانت علامة أو ضميراً فهي
شيء غريب عن الكلمة ، وإنما تضاف لحاجة أسلوبية فقط .

هذه هي الطريقة التي كان يجنح إليها العربي ، لاستحصال الرابعي والخامسي .
وهذا شيء لا نرسله في تردد بل نقوله وملوثنا إيمان به واطمئنان إليه ، فلقد كان
لحروف الهجاء في مفهوم العربي معانٍ عمومية يزيد بها على الثلاثي عند الحاجة للوضع
في معنى جديد . وليتنبه إلى أننا لا نعني بالرابعي إلا الأصلي كدحرج ، دون
الملحقات كحوقل وما إليه ، فاتها ثلاثية زيدت زيادة تصريفية . وإذا صح هذا يظهر
لك مقدار الوهم والدخل الذي سقط فيه الأقدمون حين ظنوا الرابعي وما إليه ، تولد^(١)
بالتركيب والاختزال ، كمثل (بثر) ظنوا إنها من (بثر . أثير) و (شقحطب)
إنها من (شق . حطب) إلى آخر ما هنالك مما هو أولى بفلسفة العزائم . والحق أن
العربية ثبتت عن (النحت) بما فيها من القوائين العملية . وكان النحت^(٢) أبداً ظاهرة
من طفولية اللغة . وليس معنى هذا أنا ننفيه وننكره على اعتبار أنه لم يقع في العربية .
وإنما ننفي بدون هوادة أن تكون كلمات المزيد كلها على هذا الوجه أو كثرتها . ونحز
إنما نعتبره في النحت المثلي^(٣) على المفاجآت فقط كما في حوقل وبسل مما لو حررت
فيه الاعتبارات والملايسات وقفت عنده .

(١) راجع الصاحبي لأبن فارس ومقاييس اللغة له .

(٢) ولا نعارض بشيء من اللغات الأجنبية التي تستريح النحت حتى كان قانون تقديمها المستند
لأن اللغات الأجنبية في غير استثناء على طفولية لغوية ظاهرة ويظهر هذا في الأدوات والضمائر
وأسول الاستناد وإنما قوتها في الحقيقة تعود إلى خصبها الفكري فقط .

(٣) راجع الكلام مفصلاً عليه في القسم الثالث من المقدمة .

وهذه النظرية لا مجال للشك فيها أو التردد أبداً ، ولا بأس من إيراد أمثلة على سبيل توثيق ما نذهب إليه منها .

ذكرت دائرة المعارف الإسلامية معتمدة تحقيقات (كلان هوار) أن القرطاس هو ورق البردي وانتهى إلى أنها دخيلة ولو أخذنا بتحليل لفظ قرطاس على ضوء القاعدة المذكورة ، لوصلت بنا إلى عريتها بهذا المعنى بدون فتد أو ريب . فإن قرطاس ترجع إلى (قِرْط) ومعناه في العربية ، ورق الكراث ، ولما كان الورق من البردي على نسق أبسط اضافوا إليه (السين) ليدل دلالة تشتمل على أهم مميزات الورق النباتي المذكور . وكأن المعنى التحليلي ، ورق نباتي أبسط من ورق الكراث .

وهذا قد يكشف أمام نظر الباحث عن أفق جديد ، ينبغي تأريخ الكتابة والأوراق ، وهو أن قدامى العرب كانوا يستعملون أوراق الكراث في كتاباتهم . ولما سقطوا على ورق أو وصل إليهم ، ووجدوه أبسط منه وأصلح ، وضعوا له من اسم ما يستعملونه لغرض نفسه ، ولكن مع إضافة ما يدل على الذي به الامتياز وكذلك نجد المادة تشهد لنفسها بالعلاقة في العربية ، وتنفي عنها كل اتهام من دخل ولا شك في أن هذه القاعدة ستضع حداً لدعوى التعريب في كل ما يشبهه الدارس . ولا عجب إذا قلنا بأنها تضع للأبحاث اللغوية قاعدة صحيحة ، وتكشف عن اعتبارات دقيقة متماسكة ، وتغير كثيراً من زيف التاريخ اللغوي . وإليك مثلاً آخر (عنقاش) الموضوع في العربية للمتجول في القرى ، وهو كذلك بحسب القاعدة ، فإنها تدره إلى ثلاثي (عنق) وهو شدة السير و (الشين) تدل على التنشي وعدم النظام . وعليه فاللدلالة التامة له (السير على غير نظام) . وهو بعينه المقصود من المتجول في القرى . وإليك كلمة (ختم) الموضوع لاخذ الشيء خفية وواضح إنها تنظر إلى (ختل)

إذن من المحقق إن العربي كان يضع على هذه الصورة ، ولا يتكلف النحت والاختزال ، ولا شيئاً من هذا مما هو أقرب إلى الخرص الواهم والتلفيق المنظم . وعليه فليس يوجد مزيادات نشأت من اختزال وما أشبه . وإنما بصورة مطردة ، السداسي يرجع إلى الخامس ، وهذا إلى الرابع ، وهذا إلى الثلاثي ، وهذا إلى الثنائي ، وهذا إلى

الأحادي . وهو مجموعة حروف الهجاء ، التي هي في ظننا لغة الانسان الأول ، المتباعد في القدم والمعرق في التوحش .

وانما وقفت الزيادة في العربية عند حد السداسي فقط ، لأن الزيادة بلغت ضعف الأصل ، وأكمل الزيادة العددية التكرار ، وبعبارة أحصر تقف الزيادة في العربية عند ما يبلغ المزيد أصلين ثلاثين . ولقد وقع للصرفيين ملاحظة جديرة بالتقدير ، وإن جاءت لم غفواً ، وهي جمل الزيادة في الميزان دائماً بتكرار اللام عند التمثيل ، مما كأنه ينظر إلى الملحظ المذكور .

ولو تخففاً من كل فوائد هذا التقدير التاريخية ، وفوائده في تصحيح نقول المعاجم ، فلا ريب في أنه يفيد فائدة غير محدودة في الوضع المستقبل ، وسد حاجة العربية وسط هذا المد العلمي الزاخر بالمصطلحات . بعد تعيين دلالة كل حرف من الهجاء .

ولقد تأتى أيضاً للعربي في أخريات هذه الحلقة أن يوسع من نطاق الوضع باستخدامه قوانين لم تكن الحاجة اليها ماسة كثيراً ولا تكون أيضاً . وانما قوانين قد تدعو اليها حاجة وقد يوضع عليها . وهي في حالي الاستعمال والاهمال عنوان على خصب اللغة . ومثلها من اللغة كمثل الاستعدادات فيها الحياة وهي معيها أيضاً .

ونحن اذا قلنا في أخريات الحلقة قائماً نعينه على النسبة فقط ، والا فالحلقة الخامسة كان أولها عند انتهاء الحلقة الرابعة التي ترتبت ، وما انتهت بفواصل لغوي من نوع تلك الفواصل ، وانما وقفت دون أن تنتهي وقبل أن تبلغ الغاية من تطورها ، فقيت على شيء من فوضى الموازين والجوع والمصادر والافعال ، لأنها وقفت فجأة بداعي الخروج من الجزيرة ، وتخلل العرب في بقاع متباعدة من الارض .

ومن هذه القوانين التي نظمها ، الرباعي بالتكرار ، وهو الرباعي غير الاصم ، كذبذب . وأرى أن استحداث هذا الوزن من التثنائي رأساً ، وهو متأخر جداً ، والذي دعى إلى استحداثه الدلالة على المعاني التركيبية ، في صورها البسيطة ، كالحركات العكسية السريعة على المكان الواحد . وسبائي تحقيقه في القسم الثالث . وكذلك خطت الحلقة الخامسة دون أن تنتهي ، ولكن مع ذلك أخذت الاستقرار شيئاً فشيئاً . واستحدثت في سيرها ما تدعو اليه الحاجة من موازين ،

دخلتها الزيادة الصرفية كافتعل واستفعل وما اليه . ولقد يكون هذا الأخذ الجديد الذي تدل العربية عليه . من اقرار الموازين بدلالات قارة ، واقرار الافعال على باب واحد ، وكذلك المصادر والجموع انهاء حقيقياً للحلقة الخامسة . ووصولاً بالعربية الى المستوى الذي كانت تصل اليه لو ظلت في محيطها بدون براح .

التطور في اللهجة

هذه فصول من المقدمة ، تعرض لناحية تنزل منزلة الشكل من اللغة وهي اللهجة . وليست اللهجة في نظري بأقل شأنًا من الناحية الأخرى التي هي الالفاظ ، لأنها قد تكون وحدها فارقاً على خطر .

ولا تنتظر من تصريحي هذا ، أن أحدثك عن اختلاف اللهجات على اختلاف القبائل ، فإن هذا له شأنه ، ولكن ما أحدثك عنه ليس شيئاً من ذلك ، وإن كنت سأتمس شواهد منه . وإنما أريد أن أستعرض تطور اللهجة على وجه عام ، دون ما نظر لقيمة بعينها ، أو لناحية من الانحاء . وأظني في حديثي عن اللهجة أستعرض شيئاً طريفاً ، وشيئاً له لفته الخاصة ، كما أن له الى جانب ذلك مكانته في تتبع المدرس العلمي بدقة وتحقيق . ولا أجِدُني مبالغاً إذا قلت بأنه سينقض كثيراً مما قد تقرر بين الناس كحقيقة لا ريب فيها ، وسأخذ يبحث ما ذكرت وملئي ثقة بالتسامح التي أصل إليها ، ولا أظن بأنها تملل ^(١) أبداً إلا على هذا النهج .

وسأتحاشى الوقوع في الخطأ الذي وقع فيه الباحثون عن اللهجات ، إذ أخذوا بمايا التطور المستمر في قبيلة ما ، علماً عليها وحدها ، ولم يرعوا أي اعتبار من اعتبارات اللهجة الواحدة . وهو وإن يكن حقاً من بعض وجوهه ، فليس حقاً على الإطلاق ،

(١) من اعرض المباحث اللغوية لتعليل اختلاف العربية على القبائل واتخاذ هذا الاختلاف مبادئ حقيقية . ومن ثم كان لتعليل ونظم نشوء العربية بمكان من الصعوبة . ونحن قد فرغنا الى هذا البحث الذي ترى تنقلاً منه في هذا الفصل والذي قبله من كتاب (دراسات في فنون العربية) وهنا اكتفينا بما ترى لأن هذه المقدمة ننشرها تعريفاً بأفكار شتى وتصحيحاً لاسلوب المدرس بحيث محتبك من مجموعها افتراح الاصلاح الجديد

لأنك ستري ان ما كانوا يسمونه باختلاف اللغات ، ليس له هذا المعنى حقيقة ، وإنما هي بقايا خلفها التطور الذي لم يتكامل . وسنرى ان هذا تفسير صحيح لكل هذه المتخلفات التي حار في شرحها علماء اللغة . على ان مما لا ينكر أن هناك اختلافات لغوية ، ترجع الى مخرج الحرف واتساقه أو تكسره . وأما الاختلافات المحفوظة في البنية أو الاعراب أو التهج البياني فهي تطورات فقط . وأهم شيء يقتضي به هذا البحث ، هو ربط ما بين هذه الاختلافات بحيث تتنظم في سلم ارتقائي واضح . وتسلسل تصاعدي صحيح . عدا عن ان الأبحاث حتى اليوم لم توف على الغرض المنشود ، بل جاءت قاصرة عنه ، وضعيفة أيضاً ولم توفق إلى نتائج موثوق بها .

ولكن سيُرى بحثنا أكثر ضبطاً ، وأكثر إنتاجاً على منهج الصدق ، وان كان يعد أحياناً عن المؤلف ، ولا يشا كل المعروف المشتهر . وقد اقطع بأن نتائجه سنظل وحدها الكفيلة بتوضيح ما يختلف عليه الباحثون ، وما يرون فيه تفاوتاً مع ما هو أشبه بالسائد في المنطق العربي . ولا بدع فعلى ضوء هذه التقديرات ، وصلت إلى ما خفي على اللغويين عموماً بدون استثناء ولا تمييز . ولست أقول هذا من باب الاطراء لمتوج قد يكون ضئيلاً وقد يكون ثرياً . ولكن تشويقاً للباحث على الدرس النصف والتحليل غير المفروض .

ويمجدري أن الفت النظر إلى هذا الذي أرغم انه خفي على اللغويين ، خذ (المصباح) في كلمة (يَبْرِين) فانه ذكر (يَعْقِد) وهو - العسل يعقد على النار - و (يَعْضِد) وهو - بقلة مرة لها لين لزج - والمزهر^(١) في بناء يعول فانه يذكر (ينبوع و يسروع الخ) وكذلك نجد لها لا يترددان في انها أبنية اسمية ، اشتق عليها نوسعة ، كما أن اللغويين عموماً لا يترددون ، وإنما اختلافهم في حروف التثنية هل تكون أصولاً كلها ، أم فيها مزيد فيقابل بلفظه .

ونحن بكل صراحة نقول ان ما ذهبوا اليه خطأ ، ونقرر في غير تردد أن العربي ما عرف هذه جميعها أبنية ، وإنما مربها في عهد من عهود اللغة أفعالاً فقط ، وقد كان يصف كما قدمنا^(٢) بالفعل ، وكان ينطق بالحركة حرفاً ، فلا عجب ان وصف بهذه

(١) المزهر ج ٢ ص ١٠١ (٢) راجع ص ١٤٣ من المقدمة .

الأفعال وما على شاكلتها ولزمت كأسماء ، وتطورت اللغة من حولها وبقيت في اللغة لتدل على مسمياتها ، مع الاحتفاظ بلونها الأثري الذي ينظر الى وجود سابق ، كانت له هذه الظاهرة . والتي حلنا على هذا أمران :

(١) بقاء هذه اللهجة المقدرة على لسان قبائل عربية من مثل ما أنشد^(١) الفراء .

« اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّا فِي تَلَعُنِنَا يَوْمَ الْفِرَاقِ إِلَى جِيرَانِنَا صُورُ »
« وَأَنْتِي حَيْثُ مَا يُنْفِي الْهَوَى بِصَرِي مِنْ حَيْثُمَا سَلَكَوا أَذْنُو فَأَنْظُرُ »

ولا تصنع إلى ما قررناه في غير تحقيق ، ان هذا متولد من اشباع الحركة في ضرورة الشعر ، لوقوعه في غير الضرورة كثيراً ، وفي أبنية عدها السيوطي في المزهري . ويحقق ما نذهب اليه من التعليل والظن ، (ينبع) فقد نصت المعاجم على أنها من بابي طرب وقعداوها قد احتفظت العربية بأثرين يدلان على هذا التحلل والانفصال . أما الأول فقول عنتر في المعلقة .

(يَنْبَاعُ مِنْ ذِرْفَى غَضُوبِ جَسْرَةٍ زِيَاةً مِثْلَ الْقِنِيِّ الْمُكْدَمِ)

وأما الثاني (فينبوع) اسم للمسيل الناز . ومن شواهد بقاء اللهجة أيضاً قول الراجز :

(أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْعُقْرَابِ الشَّائِلَاتِ عَقْدِ الْأَذْنَابِ)

ومع اني لا أعلم من إلى التصديق بصحة هذا الرجز ، وأرجح أنه أثر من افعال لغوي ، لا أمتنع من قبول (العقراب) ككلمة من اللغة . وقال ابن الأنباري في مبحث (نيم) من كتاب اصول اللغة ، (وقد ورد (نيم) بالياء وقد ورد (نعام) في (نيم) ثم قال وهذا أكثر من أن يحصى ، وقد ذكرناه مستقصى في المسائل الخلافية) وبقاء هذه اللهجة على لسان بعض القبائل ، يدل على أن تحلل العربية من هذا الطابع كان لعهد قريب من القرآن .

(٢) كون كل ما جاء على الواو أو الياء ، ورد كذلك على الضم أو الكسر

(١) راجع الصاحبي لابن فارس ص ٢١ . والضرائر للالوسي ص ٢٨٣ . والزوزني في المعلقات ص ١٨٤ وهذا الأخير نسب البيهقي لابن هرمه بن الحرث .

في أبواب الأفعال ، مما يدل على ما نذهب إليه من التحلل . فمثلاً (يعقيد) نصت
المعجم على أن الفعل من باب ضرب وكذلك يعضيد . وفي ينبوع تنص أيضاً على
أنه من باب قعد وطرب ، وهكذا مما لا يدع مجالاً للشك في أنها أفعال مضارع أثرية
بقيت في اللغة كأعلام على أشياء ، وهذه العملية هي التي أدت إلى الاشتباه والخطأ .
ولقد وفق الخليل جداً في تسميته الضمة واواً صغيرة ، والفتحة ألفاً صغيرة ، والكسرة
ياء صغيرة . ونأهيك بالخليل ودقة نظره ، وصمو ملحظه العبقري ، الذي كأنه خلق
من طيعة اللغة ، فكان على طبع منها ، وكانت اللغة في نفسه كما تكون في قانون
اشتقاقها .

وعليه فالعربية قبل أن تصبح لغة لفظية تماماً (أي تقوم على الحركات) كانت
صوتية (أي تقوم على الحروف) ومرت أيضاً في أدوار معرقة في الصوتية ، حتى
تحررت أخيراً ، ولكن تحرراً غير مطلق ، وبقيت صوتية في نواح غير قليلة . والذي
يجعل هذا الظن صحيحاً ، وفي غير شيء من شك ، احتفاظ العربية لمهد القرآن بهذه
الألفاظ المتفاوتة حركة وحرفاً ، مع الترادف المعنوي ، والوقوع على موقع واحد ، كما
سيمر بك في شمال وشمال وطومار وطمار وهكذا مما يعدو الحصر . ويجدر بكتابة
القواميس في العهد الجديد أن يرعوا هذه الناحية ، ويعملوها حقها من التنبيه .

وهذه الصوتية دور طبيعي ، لا بد لكل لغة أن تجوزه ، ويظهر أكثر ما يكون
على اللغات الدنيا في سلم الارتقاء . قال أبو حيان في الكلام على التركيبة التي هي من
اللغات المتخلفة (جميع حروف المد واللين الثلاثة . لا يكون شيء منها أصلاً في هذه
اللغة ، بل هي نواشيء عن أشباع الحركات) .

والعربية وإن لم تصبح لفظية بكل المعنى ، فقد تركت قوانين أعدت اللغة
لتحرر على الإطلاق ، كما سيأتي في الكلام على (زيدلان) . وفي ظني أن العهد
الصوتي طال أمده ، حتى كان طابع اللغة خلال أدوار ثلاثة . ولكن لم يكن على صفة
واحدة ، بل اختلف قوة وضعفاً ، ومن ثم يجيء العهد اللفظي الذي عنده وقف
تقدم اللغة .

العهد الصوتي

الدور الأول

يبدأ هذا الدور بالمرحلة الأولى من الدور الثالث ، التي تقدم الكلام عليها ،
وكان من أهم مميزاته أمور :

(١) نطق كل حركة حرفاً .

(٢) الابتداء بالساكن ، والانهاء بمتحرك . ونظن بأن الحركة الملازمة للآخر
كانت الواو كما في الاشورية والبابلية .

(٣) النطق بالساكين المتعاقبين ، الذي صار محذوراً في الادوار الأرقى من
حياة اللغة . والذي حدا بي الى هذا الظن ، ظاهرات تقوم في طائفة من الموازين ،
وظاهرات أخرى تقوم في مفردات أيضاً . وضروري أن أتكلم هنا في شيء من
إيضاح ، لما للموضوع من الخطورة ، ولما ينبغي عليه من شتى الاعتبارات في التاريخ
اللغوي .

قلت أهم مميزات هذا الدور ثلاثة أمور :

(١) نطق كل حركة في الكلمة حرفاً ، والذي حملني عليه وجود كلمات في
العربية تشهد بأنها وليدة عهود صوتية كما في شبال بمعنى شمال (بالكسر) ولا شك
في أنها سبقت بعهود كانت أكثر صوتية ، ضرورة انها مركبة من حروف ذات
أصوات لدلالات بعينها .

(٢) الابتداء بالساكن ، والانهاء بالمتحرك ، والحركة ضمة ممدودة . أما الشق
الأول فقد دعاني اليه ، هذه الموازين التي تعطي بصورتها أنها قد عاشت في دور
كانت تنطق فيه ساكنة الأول ، كاجفيل واخريط واعشوشب وما اليه ، ثم في
تطورات أضافوا همزة توصلاً إلى النطق بالساكن . وكذلك الأسماء الاثنا عشر التي
حفظت بهمزة الوصل ، كاسم وامر الخ وهي كما نظن أثرية عن سكون الأول .

ولقد أصاب الأستاذ (جبر ضومط ^(١)) في تقديره سكون الأول من الأفعال، ولكن ان يكن يؤخذ عليه شيء في التخصيص بالأفعال . على اننا لا نستطيع أن نسب اليه كراي ، لأننا لم نقف على فكرته مفصلة، وانما أورد ^(٢) هذا تنق من استطراد في الكلام على الأفعال .

ودعاني إلى تقدير الانتهاء بالمتحرك المذكور ، احتفاظ لفظ (عمرو) بالواو في ليلته . الأمر الذي جعل علماء العربية يتساهلون على الدوام عن سر هذه الواو . ولما عي عليهم الأمر ، قلوا الكلام إلى هو الحديث ، وانصرفوا إلى فكاهة الموضوع ، فاتهمه بض بالاختلاس من (داود) ولم يرق لبعض آخر هذا الاتهام فشكى ظلامته . وفاتهم ان الأمر أخطر من هذا ، وكأني ألمح فيه الدور الذي تمخض عنه . وليس في هذا ما نهم به لأن عهد العرب بالكتابة قديم جداً ، ويرجع إلى عصور متطاولة أي إلى العصر الذي كانت العربية ينطق بها بحركة الآخر . وخصوصاً إذا سائرنا اللغة التي تقدر ان المحورايين عرب .

ولقد كشفت ^(٣) الحفريات عن مدرسة حمورية تعلم الكتابة والهجاء والحساب وهما يكن من قيمة هذا الرأي ، فلا ينفي علينا الاتصالات العربية في عهد المحورايين .

ومما لا ريب فيه ان تطور الكتابة بطيء جداً ، بل قد يكون معدوماً في الأزمان التي كانت بها وقفاً على أفراد ، ومحتكرة بين أيدي أشخاص ، وهي دائماً بالنسبة إلى تطور المنطق تكون على تراث . ولا يفوتنا أيضاً ملاحظة الاعتقاد السائد عند القدماء ، في أن الكتابة مقدسة ، وان هي إلا وحي يوحى ، مما يضع أكا د الثرات في سير تطورها .

(١) من أفذاذ لبنان كان لغويّاً قعيداً يميل في درس اللغة إلى الأسلوب العلمي ويتقن جداً في دراساته اللغوية والبيانة وله عدة كتب ومحاضرات ومن آرائه التحقيقية . ذهب إلى أن سفر التكوين ربما كان من وضع يوسف (عليه السلام) ليظهر نسبة الرفيع في وسط مضيق فيه ونس هذا الرأي برسالة شائعة

(٢) راجع مجلة الكشف التي كانت تصدر من بيروت ج ٣ عدد ١ و ٢

(٣) راجع ادبيات اللغة العربية لزيدان ج ١ .

ولا ريب أيضاً في أن هذا الاسم أي (عمرو) تسمى به عدد عديد من قدامى ملوك العرب ، وذوي الخطر فيهم : مما دعى إلى كتابته من أول العهد بالكتابة . ولكن تطور الشكل اللفظي ، وثبتت الكتابة ، وبقي عضواً أثرياً في الاملاء ، لا قائدة منه ولا غناء .

وإلا فأي معنى لهذه الزيادة ، وبناء (فَعْل) قد سمي منه ، ولم تكن فيه ظاهرة من هذا . وظن أبي حيان الأندلسي وغيره ، بأنه للفرق بين (عُمَر) وبينه غير محتمل ، لكثرة هذا الاشتباه في العربية . وأيضاً لأن التسمية (بَعْمَر) أحدث جداً من التسمية (بَعْمَرُو) وقد نص غير واحد ، على أن المعدول من أصله ، حديث الوجود في العربية ، مما يقضي بأن تكون الزائدة في عمر لا في عمرو .

على أن الأولين بدؤوا يهتمون شيئاً من هذا النظر . قال أبو اسحق إبراهيم بن السري (أن ذلك - أي الزيادة للفرق - كان قبل الكتاب العربي ثم ترك استعمال ذلك بعد ، وبقيت منه أشياء لم تغير عما كانت عليه في الرسم قديماً) وشاهدنا في عبارته ، أن العلماء القدامى اتضح لهم شيء من غامض الموضوع ، وفهموا بعضاً من سر الرسم القديم ، وإن كان ما فهموه لا يعبر عن الحقيقة في شيء .

ولماذا أتكلف هذا ، والشواهد كثيرة في النصوص الحميرية (كأخت امهو) أي أخت أمه ، وفي تحريك ضمائر الجمع للغائب المضافة أو المقرونة إلى حروف الجر ، بالضمة المدودة مطلقاً في لسان قبائل ، وفي بعض الأحيان وعند الضرورة في لسان قريش .

وظاهرة أخرى احتفظت بها العربية في بعض المواضع من الوقف ، وهي ظاهرة الوقف (بالروم)^(١) التي تلاحظ فيها التحلل عن الصفة العمومية . وقد ذكر^(٢) الألوسي أن من القبائل من كان يقف بالروم مطلقاً .

وبالجملة فاني أرى في نتائج هذا الفن ، تحليل ما غمض فيما سقطنا عليه ، وتحليل ما قد نسقط عليه أيضاً .

(١) الروم حركة مختلصة تميل الى الضم .

(٢) راجع الضرائر ص ١٦٩ .

وهذا بناء (فَعْلُون) نعتقد بأن أصله (فعَلو) ، وفي دور الانتقال باللغة، وكدوا النطق بالتون ، وثبت هذا كقاتون في طبع العرب المغوي . يدل لهذا ، الأثر الذي تركوه في المحيط البربري ، ظاهرة واضحة في الأسماء . كخلدون وحمدون وزيدون ونزهون . فإن هذه التون زادها العرب من أجل تمكين المنطق وتخلصاً من الصوتية البادية ، وذلك لأن البربر سميت بأسماء العرب ، ولكن طبعوها بطابعهم المغوي العام ، قالوا حمدو وزيدوا الخ . والعرب وكدوها بالتون ، واحتمال أن يكون تسمية بالجمع ، بنيه الزيادة في (كسكسون) الذي لفظه البربري الخالص (كسكسوا)^(١) ، ولم يكتف العرب بالزيادة على الأسماء المستحدثة فقط ، بل عمدوا إلى الأسماء البربرية القديمة ، وأضافوا إليها التون لغرض المذكور . كما فعلوا في (زُرْهُون) اسم الجبل الذي دفن فيه مؤسس دولة الإدارة في المغرب . وأظن بأن أصله^(٢) (زُرْهو) والعرب زادت التون عليه .

وأيضاً وزان (فَعْلَيْن) ليس أصلياً كذلك ، بل هو يرجع إلى بناء (فَعْلُون) ولكن بما أن الاتباع في العربية ، قانون شائع وواضح الأثر في كل مناحي اللغة ، دخلوا بالياء على الواو . وأمثله^(٣) في العربية تجاوز الحصر والعدد ، قالوا شكاية في شكاوة ، وقنيان في قنوان ، وكذلك نشأ وزان (فَعْلَيْن) . هذا ظن في جملة الظنون نرسله ونحن لسنا على خلافه في قليل أو كثير ، ما دام درس اللغة يعتمد التقدير الذي تنسق عليه الابنية والكلمات ، ويتخذ أداة للتفسير والشرح .

(٣) التقاء الساكنين على معنى عدم حظه في العربية الأولى ، وربما كان شاهداً صحيحاً عليه ، جواز التقاء الساكنين على حدة في العربية المرتقية في مثل (مَادَّة) و (خُوَيْصَّة)

وقصارى القول ان صوتية اللغة أمر لا ريب فيه ، ومرور العربية في عهد الابتداء

(١) على ما نص عليه العلامة المغربي اليوسفي في رحلته .

(٢) ومن الهنات . زعمهم بأنه مركب من (زُرْهُونَا) ثم تصحفت الى (زُرْهُون) . ولقد ادى عبثات من هذا الباب تغوت للعدي كتخريجهم لكلمة مصفور من (عصى وفر) على ما نص عليه صاحب التاج الزبيدي .

(٣) راجع المختص لابن سيده ج ١٤ ص ١٩

بالساكن والوقوف على متحرك ظن نظنه ، وعليه شواهد قد تثبت ، ووجود بقايا أثرية في اللغة تمثل وجوداً سبق وكان ذا صبغة عمومية من المحقق جداً .

(الدور الثاني)

يقارن هذا الدور ، الحلقة الثانية والثالثة من الدور الثالث السابق الذكر . ونرى إن اللغة لم تتحلل فيه من كل مميزات الدور السابق ، بل بقيت على شيء منها ، ونظن ظناً مؤكداً أنها بقيت بحركة الآخر ، ولم تتحرر تماماً من التقاء الساكنين . ومعنى هذا إن أسباباً من البناء اللغوي القائم ، جعل اللغة تنهياً لتحلل ، وإن لم يكن على الوجه الأكمل ، وعليه قد بقيت الحركة تنطق حرفاً في كثير من مواضع الكلمة أي لم تعد تنطق كذلك على أطراد .

ومن ثم كانت وجه التحلل ، وأيضاً بقيت بحركة الآخر ولكن على نسق لا اختلاف فيه ، وربما كان هذا مسلماً لنا ، بيد لا نظن أن في مماجنا ما يسعف بالشاهد عليه ، ومن هنا قد نؤخذ في تقدير لا يستند إلا على حدس محض ، ومغرق أيضاً ، غير أننا قد نتمكن من التصريح باعتماده ثانية ، رغم أنه لا يوجد شواهد عليه ، بناء على عدم استقامة التقديرات التي بعضها حقيقة لا ريب فيها إلا كذلك ، وهذا له اعتباره في نظر المؤرخ الذي يجتهد في الاستطلاع إلى ما قبل التاريخ ، متخطياً الحوائل وإن تكن صفيقة ، والحواجز وإن كانت لا تبين .

وضروري أن لا يبقى شواهد تنظر إلى هذا الدور ، واللغة قد قطعت أطواراً تبعد بها جداً عن الدور المذكور ، ومهما كانت الأسباب المقتضية بقاء المفرد على لونه من القوة والقابلية للدوام المتطرف ، لا بد أن تموت بحكم الاستغناء ، خلال انقلابات لغوية خطيرة ، وقلما تبقى النفايات والبقايا أجيالاً من عهدها الولادي . وعسى أن تكشف الأيام شواهد هذه التقديرات ، حيث تخفى الساقيات ما أتت عليه في غفلة الإنسان ، ويقظة الجواني الجائحة ، وإنه لدهش حقاً أن تسبث هذه بعد أن أن أقبرت ناطقة بما كان كأنه لم يكن .

وفي تقديرنا أن اللغة دارت دورتها وكانت طويلة جداً ، ومثمرة كثيراً ،

وانتهت إلى الدور الثالث وقد خلصت من حركة الآخر ، ولكن بقيت في فترة من
الاعتداء إلى الاعراب ، كانت بمثابة تجارب تفشل أحياناً ، وتنجح حيناً ، ومن بين
هذه التجارب التخطيطية خرجت العربية نهائياً بتجربة الاعراب المدهشة ، التي بلغت (١)
إليها في آخريات الدور الثالث .

(الدور الثالث)

شهدنا كيف بدأت اللغة تتحلل من طوابعها الرسخة بفعل التقادم ، ورأينا كيف
لم تعد على شكل ينزل من الطبيعة منزلة العناصر في القوة والوجود ، وإنما بقيت عرضة
لتغيرات التي يقتضيها التطور ، ويفرضها النشوء ، وكان التغير الدائم وحده هو السر
الحقيقي لدوام البقاء وتعاقب الوجودات المستمر .
وأظن في شيء من الحيلة ، إن العربية في هذا الدور كانت كالعبرية من حيث
اللهجة التي أفيض في الكلام عليها ، واجتهد بتمثيلها على صورة واضحة مما كانت
عليه ، رغم ما يحول دون ذلك من غمضات التاريخ .

(١) عني المستشرقون بدروس الاعراب من ناحيته النشوئية . وهذه ناحية لم يعم بها قدامى
للحاجة الإلهي وجه نحوي . وقد حاول الأستاذ إبراهيم مصطفى في كتاب (أحياء النحو) درس
ظاهرة الاعراب على وجه تحليلي نشوئي . وقد وفق في بحثه إلى حد ما ولكنه كبير على أي حال
ومع أنه لم ينته بالموضوع فقد وفق كثيراً وأدرك من غامض البحث كثيراً . والحق الذي لا مرية
فيه أن درس النحو على الوجه الذي دل عليه الأستاذ سواء كان عندياً أو اعتمد فيه رأياً سابقاً .
هو أحياء للنحو على نحو جديد . وليس معنى هذا أنني أوافق الأستاذ على كل النتائج التي وصل
إليها أو قررها في الكتاب فلا فني لا أرى كثيراً من التعاليل أو الالتباسات التي خرج عليها
مشاكل النحو . كرايه في التنوين وفي الفتحة إنها الحركة المستعجة وأعتقد بأن الأستاذ لو درس
العربية على النهج التطوري الذي نأخذ العربية به لوصل إلى حلول حقيقية جداً وغير رأيه في أشياء
كثيرة . وهو في أسلوب الدرس إنما يؤخذ على وجه عام باعتقاده العربية كمخلوق لا قبل لوجوده
الراهن . على أنه وإن انتهى إلى تعيين قائمة الاعراب ومعنى الحركات الاعرابية . فلم يبين شيئاً من
السري أن الرفع لماذا كان علم الاسناد وهكذا وإنهى ولم ينته إلى الجواب عن كيف نشأ الاعراب ؟
والاعراب من هذه الناحية أجهلنا بفهمه على الوجه التطوري الذي أثبتنا عموم أثره على العربية
وحل معناه في كتاب (دراسات على فنون العربية) . وعلى أي الاعتبار فالكاتب من أفضل
الكتبة التي درست النحو في العهد الأخير . ويمتاز بشيء خطير أيضاً وهو الأسلوب العلمي الهادي .
وبكاد يكون من هذه الناحية فداً بين أساليب الدراسات التي كتبها شوقيون في العهد الحديث

وأنا إذا قلت هنا بأنها كالعبرية ، فليست أعني شيئاً سوى اللهجة وإنما أحرص على التنبيه حذراً من الظنة المتهمة التي قد ترمي بالخطأ .

وبقايا هذا الدور كثيرة في العرية ، وليس على معنى التصحيح فقط كما في يبروع ، وإنما على معنى بقاء اللهجة أيضاً في بعض من القبائل ، مما يدل على أن انتقال العرية إلى الفظية لم يكن زمن بعيد . ولما تركت هذه البواقي ، ضرورة أن التطور لم يمثل دورته التامة . وهذا شبيه بما يحدث في البناء العضوي للكائن الحي ، فلقد تبقى بقايا وزوائد ، لا عمل لها في الهيكل الجسدي سوى أنها دليل على وجود سبق ، كان لها فيه خصائص اندحرت ، ومن ثم أصبحت طفيلية في الوجود المائل . وكذلك الناموس في فصائل الأنواع ، يقضي بالانقراض عند وجود الأرقى والأكمل ، ولقد يبقى مع ذلك بقايا من الفصيلة المنقرضة ، ولكن لا تستقر ، بل لتكون في عيني القناء مشهداً من الوجود المتهور . والأسباب التي حفظت الأثرية في اللغة أربعة .

(١) التشخص العلمي . كما في يبروع .

(٢) القصد الكنائي . كما في ياجوج وماجوج .

(٣) حداثة الارتقاء . كما في انطور .

(٤) الكتابة

إما الأول : فمن المعقول جداً ، إن اللفظ إذا اتخذ مفهوماً شخصياً لم يعد يتأثر بالتطورات التي تعرض لأصله إلا نادراً ، لأنه فارق في المعنى ، وأصبح يحتفظ بدلالة عينية . ومن هذا أكثر ما حفظ من المتخلفات في العرية فمن الأفعال ^(١) المضارعة

يَسْرُوع (اسم دوية تكون في الرمل)	يَعْقِد (العسل يسقط على النار)
يَعْسُوب (اسم دوية شبيهة بالجرادة)	يَعْضِد (بقلة مرة لها لبن لزج)
يَرْبُوع (اسم دوية أكبر من الفأرة)	يَقْطِين (نبات معروف)

وأما الثاني : فلا مجال للتردد فيه ، لأنه بمثابة التشخص العلمي أيضاً ولكن في

الماني ، فدلالة الكلمة أو التركيب ، ليس إلا المعنى المثلّي فقط . ومن هذا الباب كما أرى ^(١)

(ياجوج ومأجوج) في معنى كثنائي عن التاجج المتدافع ، والتأجج في كل شيء بحبه . ولقد يتلقى رأينا هذا في كثير من التردد والاستبعاد ، وأنا أقرره على أنه احتمال فحسب . أرى أن كل ما قرر في معنى (ياجوج ومأجوج) من أنه علم على قوم ، خطأ لا حجة عليه تنهض به ، وشبهة وقعت لعلماء التأويل من امتزاج الثقافات الدينية ونهها على غير وجهها ، فإن لهذا التركيب مثل في نبوة (حزقيال) ، وقواه عدد التوراة (ماجوج) في أولاد يافث .

وهذا كما أرجح أصل شبهة المفسرين في قصة ياجوج ومأجوج ، وهو وهم . والحق عندي إن ياجوج ومأجوج ، مثل من بقايا العهد الصوتي ، بقي في اللغة للغاية المثلية فقط . وعليه فياجوج فعل مضارع من ثلاثي (أجج) ، ومأجوج اسم مفعول منه ، والمعنى التركيبي التاجج المتدافع . فقول الله (إن ياجوج ومأجوج مفسدون في الأرض) معناه أن القوم الذين يقال عليهم ياجوج ومأجوج الخ ، والكلام جار على التنزيل مبالغة ، وهو كثير في لسان العرب . ومن ثم نقف على أن القرآن لا يستعملها بمعنى واحد ، بل كلما وقعت في موضع كانت على معنى منه كما في الانبياء فان قول الله (حتى اذا فتحت ياجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون) تمثيل لحالة الخروج يوم القيامة بعد بعثرة القبور .

واظن انه كان يستعمل لعهد القرآن كمثل في هذا المعنى ، واستعان به القرآن لتأدية الغرض الذي يرمي اليه ، وبفضل استعمال القرآن له فقط بقي في معجم اللغة . ولا عجب أن يخفى هذا الخفاء وهو مستعمل لعهد القرآن ، فقد ذكر ^(٢) (ابن فارس) أن الفاظاً في الحديث وقعت ، لا يعرف معناها على وجه الضبط .

ولهذا السبب حفظ قولهم ^(٣) جوع برقوع ، وفرس يعبوب ، وطريق ينكوب ، وأرض ينحضور .

(١) هذا احتمال في جملة الاحتمالات الكثيرة . يستند الى اللغة واذا ارسلناه فلا نقطع به .

(٢) راجع الصاجي ص ٣٤

(٣) راجع المزهج ٢ ص ١٠١

وينبغي على هذا الظن تصحيح القوائم التي يسوقها اللغويون كنواندر ، وتمييد
سبيل اللغة المعثر . ومن ثم يتسنى للعربية أن تستقيم على وجهها ، وتستقر في الوجهة
التي قصد إليها العربي ، فإننا نرى من خلال صنيعة ، أن الحركات في الأفعال التي
هي الأبواب الستة ، تنظر إلى عهد صوتي كانت الحركة فيه تنطق حرفاً ، وهذه
الحروف التي هي بمثابة الحركات ، تنظر إلى دلالات بعينها لا تتأدى إلا بهذا الحرف
الشكلي . كما تقدم ^(١) في الكلام على الدور الثاني من تطور اللغة .

ثم في دور الاستقرار قصد العربي أن يثبت الأفعال على صورة آلية ، فلما في
مفتوح العين أبداً ، والمضارع مكسور العين أبداً ، والأمر يتبع المضارع .

وما بقي من اختلاف الأبواب التي قدرها الصرفيون ، ليست على الحقيقة إلا
مثلاً من عدم الاستقرار اللغوي ، ولو مهدت الظروف لغة السبيل لاستقرت على الوجه
الذي فرضه لها بلاريب . ولقد نشهد في بعض الأبواب انقراضاً أو تناقصاً ، كباب
ورث فانه لم يحفظ من كلماته الصحيحة إلا ثلاث يجوز ^(٢) فيها الباب الرابع . ولقد
ترامى للغويين شيء من هذا ، فقال ^(٣) أبو زيد الأنصاري (إذا جاوزت المشاعر
من الأفعال فانت بالخيار بين الفهم والكسر) وقال ^(٤) الفراء (الأصل في المضارع
الكسر) .

وصحة الأمر أن الاختلاف ، وعدم التساوق القائم في أفعال العربية الثلاثية ،
لكونها أقدم ما عرف العربي ، وبضرورة انفصالها في عهد السداجة . ثم اجتهد
العربي في دور الاستقرار بإزالتها ، والقضاء عليه ، فصحيح الماضي على الفتح وأما
ما عداها من الباب السادس ، وأما ما بقي من الأبواب فهي تصريفية فقط ، كباب

(١) راجع ص ١٢٨ و ١٢٩ و ١٣٣ من المقدمة . فقد قررنا أن الحرف الواحد من
الهجاء كان يختلف معناه باختلاف الصوت أو الحركة . فالحرف الواحد بعدة أصوات يدل
على عدة دلالات مختلفة .

(٢) راجع نزهة الطرف للمبدائي ص ٨

(٣) راجع مقدمة القاموس الفيروز آبادي .

(٤) راجع مادة (آي) من اللسان . وقد نص العلامة الرضي في شرح الشافية وكذلك
الجاربردي اختلاف الصرفيين في أمالة باب نصر أو باب ضرب فراجع .

طَرِبَ وبَاب كَرَّمَ ، يلجأ اليه لحاجات معنوية . وقصد تصحيح المضارع بالكسر ، وإماتة باب نصر ، وبقية الابواب يلجأ اليها لأغراض من المعنى ستقصيها في بحث الافعال من المقدمة . وقرر الباب الثالث فيما كان حلقى العين أو اللام كشرط ، وما وقع حلقيا وليس من هذا الباب فأنري .

ويؤكد هذا اطراد أبواب المزيد بالكسر ، إلا ما لا يتأتى الكسرفيه ، مما يدل على اختيار العربي للكسر كأصل .

وانما جنح إلى ما قرر لأنه خضع لعقوبة لغوية خطيرة ، كان ضروريا معها أن يجهد بتصحيح ما سبق وضعه ، وأن لا يضع إلا على نهج منظم وسيأتي الكلام عليه في فصل (تعليق واستنتاج) .

ولنأخذ في وصل ما اقتطع . قررنا ان العربية في هذا الدور ، كانت على شبه قريب من العبرية أي صوتية من بعض وجوها ، ولنضرب مثلاً فيه فرض وفيه حقيقة :

اسم الفاعل : في هذا الدور كان على وزان (فاعيل) وكان يقال عليه ضاريب وقائم وهكذا وان نص علماء العربية على أن وزان فاعيل ليس من أبنية العرب كما نه^(١) عليه الفيومي حيث قال (وزان فاعيل ليس من أبنية العرب فهو بمنزلة قاييل وهابيل) لأن الجماعة يعنون العربية الحاضرة ، ونحن كذلك قلنا ليس من أبنية العرب الباقية ، وانما يحى في انفصالاته العديدة فليس بغريب عن العربية أبداً . وربما دل له كلمة (آمين) التي تحمل^(٢) لها القويون وجوها شتى ، وكان أقواها أن الفها اشباع عن الفتحة .

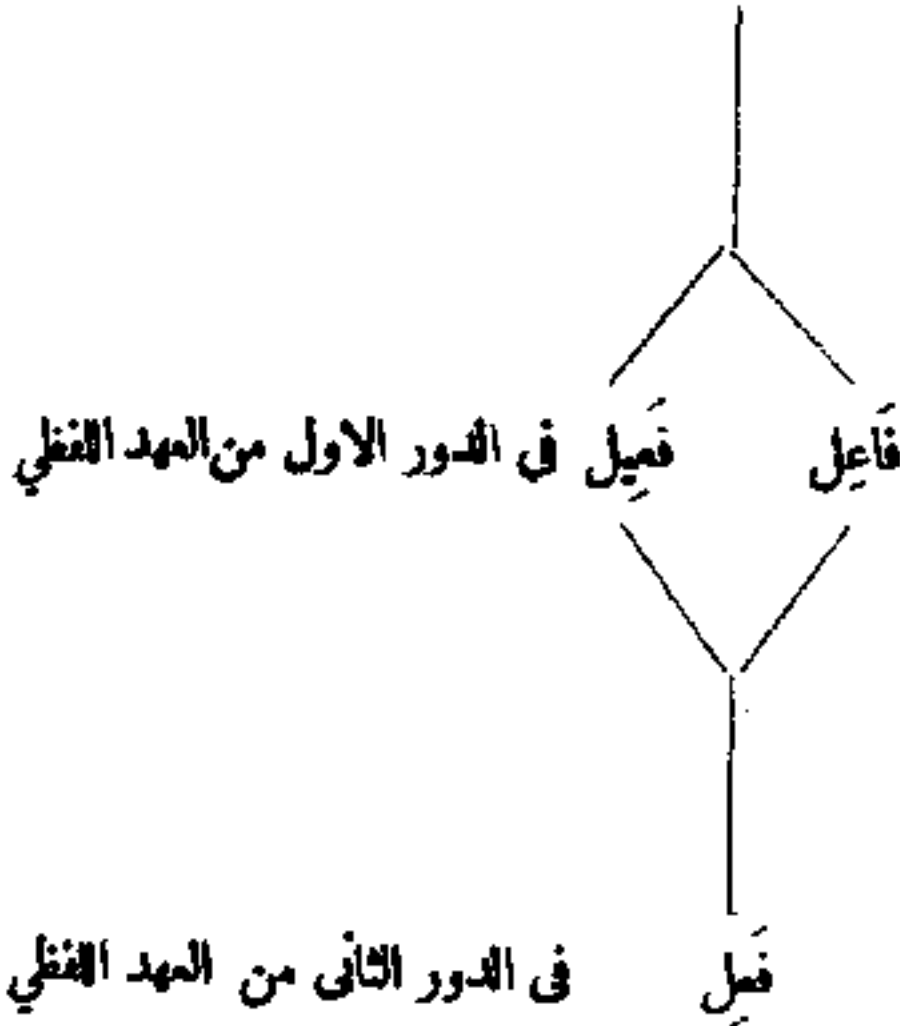
وفي الدور الأول من العهد الفظلي اختصر الى (قَاعِل) و (فَعِيل) ، وفي الدور الثاني اختصر إلى (فَعِل) وفيه أيضاً خفف بالاسكان فقيل (فَعْل) .

(١) راجع المصباح ج ٢ ص ١٠٥٥

(٢) راجع شرح معلقة منتزة لروزني .

مثال تطور اسم الفاعل في العربية :

(فَاعِلٌ) في الدور الثالث من العهد الصوتي



هذا مثال من تطور اللمبة ، يوضح لنا معنى غامضاً من المناحي اللغوية ، قد خفيت على علماء اللغة ، وأورثتهم شبهة بالغة ، إذ أثبتوا اختلاف الدلالات باختلاف هذه الصور الميزانية ، والحقيقة أن الاختلاف استنتاج محض من عرض الأمثلة على كل وزن .

ولا أعني أن العربي كان يقصد إلى أمانة فاعل وفعل استغناء بفعل ، لو لم يكن الخروج من الجزيرة ، ولكن أقصد أن جميعها تطورات عن فاعيل المات ، الذي يدل على الذات المنصفة بالحدث ،

والبك مثلاً آخر أصح ، لأن أمثلة من أصله الصوتي ، لا تزال محفوظة على قلة . (فاعُول) صيغة مبالغة قديمة ، ترجع إلى الدور الثالث من العهد الصوتي ، أخذت تنقرض من اللغة تدريجياً ، استغناء عنها بفَعُول ، بينما هي في العبرية كثيرة جداً أو سائدة مما يؤكد رأينا واختصرت إلى (فَعُول) في الدور الأول من العهد اللغوي ، وإلى (فَعْل) في الدور الثاني . .

(فاعُول) في الدور الثالث من العهد الصوتي .

فَعُول في الدور الاول من العهد اللفظي .

فَعْل في الدور الثاني من العهد اللفظي .

وتقدر ان منه (يَقُظ) الذي ذكر صاحب متن المقصود ، ان المراد منه المبالغة .
وعليه فهو ينظر الى وجودين ، انتسب اليهما على تعاقب ، فكان يَقُظ وكان ياقُوظ .
وخذ كذلك مثالا على (فاعَال) فقد قالوا منه (خاتام) وقد ثبت ^(١) هذا
المثال مع كل الانفصالات التي تعاقبت عليه ، بحيث يكون خير مثال يمكننا اعتماده في
تقرير النظرية . وهو يفهمنا بالوجه الآخر ، مقدار تفاوت درجات الارتقاء عند
القبائل ، بالنسبة الى التطور العام .

فاعال - خاتام . في الدور الثالث من العهد الصوتي

خَتَام - فَعَال فاعَل - خَاتَم . في الدور الاول من العهد اللفظي

فَعْل - خَتَم . في الدور الثاني من العهد اللفظي

(١) ذكر الزبيدي في تاج العروس من (خ ت م) لغات في خاتم اليد وهي خاتام خاتَم

هذا المثال الذي نراه حافظاً لكل صور التطور ، وتلوينات الترقى . والذي يفتونا في سراحة عن مقدار عمل التطور في العربية ، الى حد ان بدت معه على خلاف كبير . واراني معنياً بهذا المثال على صورة خاصة ، لأنه يحقق الفكرة من كل أطرافها ، واذا درسناه بانصاف وتفهم ، عرفنا كيف نملل الاختلاف القبلي الجسم ، وعرفنا الى ذلك مقدار العصور التي تكيفت فيها العربية حتى تمخضت عن لغة القرآن ، وحتى تزلت منزلتها من السموق اللغوي ، والاهاب القشيب والحلة البارعة .

وأظن بأن العربي في مثل هذا ، كان يرمي إلى إماتة الصوتي ولا يقصد الى التكثير والتزيد .

ومن كلمات هذا الدور التي لا تزال محفوظة في معاجم اللغة ، وهو (طومار) اسم للصحية ووزانه (فوعال) ، وسبب تخلفه مع عراقته الصوتية كما نظن هو افراد القبيلة . فان من المعقول جداً بقاء قبائل لم يشملها التطور ، إما لعدم الاتصال أو لحدائث الارقاء فان القبيلة في كيان المجتمع كالعنصر كثيراً ما يبقى متخلفاً في وجود أدنى أو حافظاً لصورة من هذا الوجود ، بينما يكون الجسم كله قد تجاهله في وجوده الأرق ، كالأذن في الانسان لها عضلات تجعل منها عضواً خاضعاً لتكيف الصوت ، ومع ذلك لا قوم بعملها ، وكذلك الجفن الثالث في العين ، والزائدة في المعى لا عمل لها في الانسان على حين انها ضرورية جداً في حيوانات حية .

وبعد فهذا البحث مهم من كل وجوهه ، ويكفي انه الإداة الوحيدة لتأريخ التفريخ اللغوي والتشعب المديد . على ان فشوا أمثله في عربية المعاجم لا نكرفه ، ولا سبيل إلى تعليله إلا من هذا الوجه وعلى هذا النحو فقط .

وزيادة فقد احتفظت العربية أيضاً بما هو أبلغ من هذا كله ، احتفظت بأشلة تقوم فيها التفاعلات ولما تستقر . وهي تربتاً وجهاً من تطوير الصوتي وتؤكد النظرية

خَتَمَ خَتْمَ . خَيْتَامَ خِتَامَ . خَاتِيَامَ خَاتِمَ الخ ويتضح لك من هذه التفسيرات ان الاصل البعيد خاتام وما وراءه تطور بتخفيف الحرف او بالتصغير تكسراً فان خاتيام بلا ريب منكسر من خَتَامَ او خِتَامَ في منطق بعض القبائل .

بصورة لا تدع مجالاً للريبة . ومن هذه الأمثلة (نِيدْلَان)^(١) حفظ كذلك بالياء ، وحفظ أيضاً بالهمز (نِيدْلَان) وهذا الاختلاف الفت نظري ، إلى حقيقة خفية كان ينوسل بها العربي إلى ما ينبغي من التصحيح . وعليه فهذا اللفظ كان في العهد الصوتي ينطق بالياء (نِيدْلَان) على أنها الكسرة فقط . ولما خطت العربية خطوتها إلى التصحيح تعذر قل (نِيدْلَان) بالكسر فقط لما يترتب على ذلك من محذور الانتقال من الكسر إلى الضم ففصل بينهما بساكن . وبما أن العربي طرد الهمزة في أحرف الين عند التصحيح همز الياء .

وخذ مثلاً آخر (زَيْبِر) يمثل وجهاً من التفاعل في مرحلة أرقى من (نِيدْلَان) فإنه حفظ بكسر المعجمتين ، وحفظ بكسر الأولى وضم الثانية أيضاً . ونحن جبال هذين الوجهين نفلن بأن أصلها (زَيْبِر) ، وعند التصحيح في العهد اللفظي أبدلت الياء همزة ، وفي عهد أرقى قل إلى (زَيْبِر) بكسرها اتباعاً وهو قاتون شائع في الحركات كَنَخِرَ وَمَنَخِرَ وفي الحروف كَطَوِي وطِيبي .

ومن ثم ندرك أن وزن (زَيْبِر) الصوتي (فِعْل) والياء هي الكسرة الممدودة فقط ، ومن الخطأ اذن ما عليه أصحاب المعاجم من عد (زَيْبِر) رباعياً ووضعوه في باب الزاي والهمزة ، وإنما يجب أن يعتبر ثلاثياً مزيداً زيادة أثرية لا زيادة تصريفية وأن يوضع في باب الزاي والياء وما لي أذهب هنا وهناك وفي عرض القراءات وبحثها بالاسلوب العلمي ما هو ممن عن أن تطلب الدليل دونها

وأظن أن في هذا الدور الذي ينزل منزلة الشكل من الحلقة الرابعة ، تماثلت العربية إلى الاعراب ، وانطبعت به كطابع راسخ .

ولكن كيف انتهت إليه وانطبعت على اعتباره . هذا ما يبدو عند الدرس أعقد من ذنب الضب كما يقولون . وينحني إلى حد أن يعتبر ظاهرة غامضة لا تحل على وجه طبيعي . والاعراب على أي الاعتبارات يضع العربية في منزلة سامية من حيث الجانب

(١) راجع التصريف الملوكي لابن جني ص ١٠ والمبهيج له أيضا .

اللغوي . بل سيظل الشاهد العظيم على مبلغ الصقل الذي أخذت به العربية . وعلى مبلغ العقلية التي تناولتها .

ولا كبير إذا قلت بأن العربية انفصلت بعد تمخضات وبلوغات طويلة واستوت في أكل ما تكون لغة ، وهي في وجهي الأعراب والبنية ، أدق اللغات في ملابسة اللفظ للمعنى ملابسة حقيقية من كل الأقطار . وربما كان المثني شاهداً لا يقبل التردد ولا التردد بحال ، فذعن حين نرى المذهب البياني في اللغات قاطبة يعبر عن الاثنين بسبيل الجمع ، ندهش كثيراً وعلى وجه غير محدود للذة العربية التي تبالغ في اعتباره ونجد غيره شيئاً كثيراً يشهد بدقة العربية كلفة ، ويشهد بمبلغ التسامي اللغوي في طبيعة العربي . ومع أن مميزات لغة العرب كثيرة على هذا المقدار ، وإلى درجة مذهشة . فإن الإعراب من بينها أكثر ما يكون إحكاماً وعمقاً ، وأكثر ما يدعو إلى الدهشة . ولعل خفاء تعليقه من أسباب الدهشة المستمرة . وينبغي أن لا يفوتنا أن الأعراب من بين أشياء العربية استوى على وجه التمام ، واستقرت على الوضع الأكل ، بحيث نفي عنه الزوائد والبقايا الأثرية ، واتخذ وضعه التقني في العربية وثبت كصبغة لازمة .

العهد اللفظي

المرور الأول

بالعهد اللفظي بلغت اللغة الشوط الأخير من ترقى اللهجة ، وإن لم تستقر تماماً لأنه لم ينه عمله فيها . ومعنى هذا أن اللغة أخذت به وعملت عليه ، ولكن لم ينسم الزمن والظرف لاختضاع اللغة برمتها لما يقتضيه قانون اللفظية ، فبقيت صوتية في انحاءها ، وظلت قلقة في موازين ، غير أن هذا لا يمنعنا من تقرير أن اللغة لم تعد في حاجة إلى نحو جديد من الإصلاح ، فلقد تمت فيها كل عناصر التهذيب ولكن لم تبلغ بعد ولم يكل نضجها على الوجه السوي .

وهما يكن من أثر مبارحة الجزيرة بهذه السرعة ، في إيقاف عمل الإصلاح
الغوي ، وفي جذر مد التهذيب ، فلا تضي أثر الغويين أيضاً الذين اجتهدوا في
الحصر والضبط فقط ، حتى خيل من صنعهم أنها في منزلة من الوحي كما كان خيالهم .
فصلوا عملاً لا يعينها بالذات وإنما كان تعليمياً أكثر مما هو شئ آخر . ولتجاوز هذا
الحديث الآن ، لتستعرض عمل العربي في هذا العهد الذي يستوي مع الحلقة
الخامسة ، ويقع فيها الدوران اللفظيان ، وإن كان الدور الأول مراحاً لنشاط العربي
بصورة أكثر عملاً وجهداً ، وأكثر إنتاجاً وتصحيحاً كما لم يكن الثاني متخلفاً لأن
العربي اراده للاستثراء الا فيها تحس الحاجة به الى الامانة .

في هذا الدور تقع كثرة الموازين التي تصدر عنها اللغة في اشتقاقاتها ، ولقد كانت
عملية التصحيح فيه جسيمة جداً مما يشعر بطول زمنه ، ويكفي ان نعرف انه حدث
اقلابي يشمل اللغة من مناحيها ، ويستغرق اللغة في متفرق شعبها الا فيما ندر وقل .
ويتبين لك كل هذا في بحث الموازين بحيث لا يصعب معه بعد ذلك تعيين التاريخ
للاشتقاق . وكذلك صحت اكثر الموازين والمفردات عليها من مثل ..

(فاعل . فعيل) من (فاعيل) ..

و (فعول) من (فاعول) ..

و (فمال) من (فيعال) ..

و (فمال) من (فوعال) ..

و (فاعل) من (فاعال) ..

ولسنا في حاجة الى الاكثار من مرد الامثلة ، والذهاب مذهب التحويل ،
لان اللغة التي في المعاجم تخضع في اكثرها الى ما قضى به الدور الاول من اللفظية .
وتظهر في هذه المسحة وكأنها المسحة التي تمثلها العربية غاية . فلم تعذها الا في
ارقاآت حدثت في الدور الثاني ، لم تكن في ذوق العربي وفي مفهومه الاتوياً فقط

الدور الثاني

لم تكن الغاية من هذا الدور ، تمثيل انقلاب في شكل اللغة او في كيانها ، وإنما

هو يصبر عن اغراض تنويعية محضة . وعلى تقدير انه يراد لشيء من التغيير فلم يجر الى انقلاب ذي اثر عام ، وانما عمل الى جانب الدور الاول غير محاول الانتقاص او الامانة ..

وكيفما كان الاثر الذي تركه في اللغة ، والغرض الذي في قصد العربي منه ، فلا يسعنا الا ان نعدّه دوراً تكليفاً وان لم تكن ظواهره على شيء كبير من الموضوع والبروز في بناء اللغة . وخصوصاً اذا نزلنا الاسباب التي نظن انها اضعفت من عمله منزلة الاعتبار . وقد يقوي تأثير الاسباب التي نظمتها بقاء العربية في نواح غير قيّدة ، أو على غير تماسك بل يبدو قلقها للهول الاول من النظر العلمي . كهذا الاختلاف البين في ابواب الثلاثي ، يقابله الاطراد الموزون في المزيّدات . ونحن وان كنا نقرر وسبق لنا ايضاً التقرير ، بان الابواب تنظر في الواقع الى دلالات بعينها كانت لا تتأدى الا بهذا الحرف على هذا الشكل . لا تتوقف عن القول بانها قلقة ، لان الدلالات المذكورة تعتمد على الشكل الحرفي قبل اقتعاد الكلمة في معناها ، وأما بعده فتصير الكلمة ذات دلالة غير منفصلة ، كما اطلقت فهم منها معناها .

واليك الماضي قد تقرر في وزان (فَعَل) مطلقاً (الا لغاية معنوية ليست في ذات الدلالة وجوهرها بل تدخل في كيفها فقط) بينما لم تستقر في المضارع ابداً . وكذلك في المصادر كما سيأتي بسطه . وهذا النظر ينفصل عن اللغة وهي قلقة على معنى انها لم تستقر استقراراً تاماً بداعي الخروج من الجزيرة ، وذواء عمل التفتيح اللغوي الذي كانت بقاياه تتمثل في الاسواق الموسمية . وكانت ذات خطر ولكن لم تكن الا صورة مصغرة عما كان العربي يلجأ اليه كوسيلة للاصلاح المنشود .

وهذه الاسواق التي كانت تقام لاغراض ، مادية تحتكم بمعنوية قوية من القومية والدين ، تتجلى واضحة في التفاهم على اشتراك الالهة وفي نسيئة الشهور . يمكن أن نرى وجهاً من العمل اللغوي للاصلاح . ومن ثم لا نرى شيوع الاصلاح اللغوي صعباً . وايضاً يكشف عن كيف تكون الافتراضات المتقدمة في بحثنا عن الرقي في مادة اللغة وفي اللهجة معقولة ولها مجاز واسع للتسليم . فلا جرم ان لا نعد هذا الدور الذي يقع من الحلقة الخامسة في ختامها ، انقلاباً كبقية الادوار في ترقى اللهجة :

ومن الشرح السابق نكون قد كونا فكرة عن عمل هذا الدور الذي يتلخص في الانتقال بكل حرف الى حركة مع الاحتفاظ بالتأدية نفسها او مع اعتبار تغيير بسيط .
والا فبماذا يمكن تعليل مجيء (فَارِحَ وفَرِحَ) اسمي فاعل من فرح ، على قلة فارج وكثرة فرح تعليلاً علمياً معتبراً . وإليك امثلة عن هذا الدور في الموازين .

(فَعَلَ) من (فاعِل او فَعِيل) كفارح وفرح ..

(فَعُلَ) من (فَعُول) كيفظ ويقوِّظ

(فَعَلَ) من (فَاعِل) او (فَعَال) كمالك وملاك ..

(فَعَّلَ) من (فَعَّلِيل) كغَرَّتَق (١) وغرنيق ..

(اَفْعَلَ) من (اَفْعَالَ) كأحمر وأحمار ..

وجدير بنا ان نستفيد منه بقصد التتبع في وضعنا الجديد ، وما نكون قد اقتربنا على العربية فرى من اباطيل ، وانما سايرنا التهج الذي انتهجه في إبان عملها التشوي . وقد كان في جملة ما ادي اليه هذا الدور ، التخفيف بالاسكان حتى كان قانوناً شائعاً عند العرب . ومن كثرته فيما كان الثاني حرف حلق عد قياسياً ..

وهذا الدور كان به ختام اللغة ، ولا نعني بهذا اللفظ ما يفهم منه ، لأن اللغة وقعت ولم تنته ، وإنما نعني أن قد كان لها انجذاب مفاجئ أوقف ما فيها من عناصر فعالة . ولو ألقينا نظرة إلى اللغة من وراء هذا الدور ، لرى ما هي الصفة العامة للارتقاء لرأينا مثلاً من الرقي الواضح في شتى نواحيه . بيد أن قد بقي شيء من مظاهر الطفولية اجتمعت العربية بالتخلص منه ، ولكن بقي على بعض صورته ، وهو التقاء الساكنين . فإِنْ العربية تخلصت منه على كل صورته ، ماعدا التقاء الساكنين على حده ، فقد بقي في اللغة الشائعة العامة على أنه بدت تطلع ترمي إلى التخلص منه أيضاً عند قبائل غالت في

(١) الغرنيق من وضعنا الجديد وقد وقع في بيت من قصيدتنا لنا (جمعت سجايك النبيلة طرفة = من كل منتخب فيالك غرنيق) ترجمة لكلمة (dimegod) الانجليزية بمعنى نصف آله أو بطل . وكفلك غرنيق أو يخص بآلهة الاشياء كمثل (muse) آله الشعر وهكذا . ووجه الوضع استعمال العرب اللفظ بهذا المعنى ومنه قولهم (الغرائيق العلى) ..

التخلص من التقاء الساكنين ، حتى قرئ^(١) قوله تعالى (ولا الضالين) بالهمز على لغة من جد في التخلص من التقاء الساكنين.

تأريخ النظرية :

قد يكون عجيباً وإيم الله أن أسقط بعد أن أعددت أبحاثي في اللهجة على صورتها للطلع ، على موضوع للقاضي الفاضل الشيخ (مصطفى الغلاييني) ، له هذا التقدير وقد جمع عناصر الفكرة وإن كان على غموض وفي غير توسعة ، لأن الشيخ أرسله يومذاك خاطرة يدعو الأدباء واللغويين إلى درسها. ولقد بقيت صرخة في ورقة لا تتجاوز حروفها مع أنها كانت جديرة جداً بالتوسع والبحث المشبع ، ونحن نتجديداً للجهد نلخص الفكرة عن مجلة الكشف^(٢).

(الحركات في العربية أحرف مد ، في عهد اللغة القديم . فالمضموم والمفتوح والمكسور كان يعتمد على حرف من أحرف المد . وبعد فقد تهذبت تبعاً لسنة قلب القوي على الضعيف ، وأقوى دليل أن العبرية لم تزل تعتمد على أحرف المد في حين أن هذه الألفاظ قد فقدت الحروف في العربية . ومن هذا يمكننا تلميل اختلاف عين الفعل في الأفعال الثلاثية . ونرى أن العربية فقدت كل أحرف المد وما يكن من ذلك فيها فهو زائد أو منقلب بضرب من الاعلال فألف قال أصلها الواو . ونرى أن ما جاء على وزن فَعِل كان على فعيل وما على (فَعْل) أصله (فَعُول) كبئس وبئس ، ويؤس ويؤوس . والخلاصة .

(١) الحركات أحرف مد في عهد اللغة القديم ثم سقطت وقام مقامها أحرف صغيرة.

(٢) الحركات فرع وأحرف المد الساقطة هي الأصل .

(٣) لامتداد أصلية في اللغة والمد الموجود منقلب عن أصل (أوهو زائد) .

ومن هذا التلخيص نتف على أن الشيخ ، لم يجاوز في تديرنا الدور الأول من

(١) راجع تفسير البيضاوي في الفاتحة .

(٢) راجع مجلة الكشف البيروتية . س (١) عد (٢) س (١٤٠)

للمد الفعلي، وكأنه أراد بحث ماهو معجمي فقط دون مجاوزة في التقدير. وضروري أن تأتي هنا بلمحة عن تاريخ انبعاث هذه الفكرة عند اللغويين وكيف انشأت. ترى ونحن على حق ، بأن التحليل رحمه الله كان أول من أمسك منها بطرف ، وأخال من تسميته الحركات أن الفكرة تجلت له واضحة ، فإن من يسمي الضمة واواً صغيرة والكسرة ياء صغيرة والفتحة ألفاً صغيرة لاشك هو واقف على الفكرة بجلاء . وليس هذا فقط فإن مما يحدثنا التاريخ عن التحليل أنه غير صنيع أبي الأسود الدؤلي في الاستعانة بالنقط للدلالة على الحركات التي هي الأحرف المحذوفة من الكلمة . فاختصر من الألف الفتحة ، ومن الواو الضمة ، ومن الياء الكسرة . ولقد وضحت جيداً عند اللغويين من بعد حتى قال الرازي (الحركات ابعاض المصوتات).

وجاء السكاكي فتحدث عنها باطمئنان ودقة وفهم صحيح. وانظره كيف يقول^(١) في الكلام على اسم الآلة (ويأتي على مفعال ومفعلة ومفعل وعندى أن مفعالا هو الأصل وما سواه منقوص منه بموضع وبغير عوض) وأراه قد وقف على الفكرة تماماً وإن كان على غموض ، فلم تتوسع عنده ولا توسع بها من أتى بعده . ولقد حدثني الشيخ بأنه ذاكر بالفكرة المرحوم (احمد زكي باشا) فاستصوبها جداً . وهذا مايدعونا إلى عده في جملة من تناولوا الفكرة بالدرس .

تطور اللغة

قصد هنا أن نرقب مقدار المسافات التي عملها التطور في اللغة على مختلف الأنحاء سواء في الاعراب والاعلال والموازن والاشتقاق والأفعال والمصادر .

هاتيك المسافات الواسعة التي بقيت واضحة في منطق القبائل الشقي ، ومنطق القبيلة الواحدة. حتى ذهل من كثرتها علماء اللغة جميعاً، وراحوا في تحليلها على مذاهب متباينة وابتدعوا لها وجوهاً من الاختلاف القبلي ، وتداخل اللغات ، والضرائر ، والشذوذ ، والغلط.

والواقع أن كل هذه التقديرات ليست إلا حيلة التحيل ، وأما هي من الوجه الحق فليست بأكثر من كونها أثراً من آثار التطور العام الذي تخضع له كل لغة في سيرها الارتقائي ، وتبقى هذه البواقي والمتخلفات لأسباب مكانية وظرفية ، أولاً لأن التطور لم يتم دورته بما يكفي لأن يأتي على كل موائل الوجود المهضوم .

والشيء الذي لا يمكن أبداً الشك فيه ، أن العربية لم تستقر لعهد القرآن على وجه نهائي ، وإن كانت قد أخذت فيه بقوة وعنف . وفي الحق أن القرآن كان سيئاً فعلاً لتهيئة هذا الاستقرار ، واعداده على الوجه الأكمل . وليس كذلك فحسب بل أسرع أيضاً في تحقيق الاستقرار وهضم المتخلفات ، التي تمثل مع الموجود الأرقى وضماً قلماً جداً وشاذاً أيضاً . وذلك لأنهم اعتبروه آية البيان في العربية ، فاحتذوه في كثير من التقليد وأخذوا أنفسهم به أخذاً عنيفاً ، وفي غير اقتصاد ، وانظر أثره في (علي ابن أبي طالب) أعظم هبة بيانية عرقها العربية ، كيف يفعل به انفعالاً يكاد يكون احتذاء صرفاً وإن كان على مميزات وشخصية ..

والأمر الطريف أنك واجد تطور العربية ، كأنك في حلقات محفوظات النسب ومقدرة المنازل على صورة خالية من الفراغات ، حتى التفاعل والمغالبة التي يثيرها الارتقاء وتنتهي بغلبة الأصلح . وهذا شيء لم ينتبه إليه حتى اليوم ، كل دارسي اللغة على وجه العموم ، ولم يعبروه شيئاً من اهتمامهم ، بينما لحظة^(١) علماء الكوفة في كلمات قليلة (كائمن)^(٢) جمع عيمن ، اختصر أو تطور قليل (ايم) بحذف الهمزة والتون ، ثم اختصر كذلك قليل (م) و (مـ) . ووقف هذا الدرس عندها على مرادة أحبطت اعتباره بصورة مطلقة ..

وسنرى حيناً نقص عليك حكايته ، أنه عمل في المادة كما عمل في الصورة ، وكان

(١) يمتاز نحاة الكوفة بفهم العربية فهماً حقيقياً لا يستند إلى تكهنات تسلية . ولسانيات عندية تملئ على العربية ولا تأخذ منها . ومن ثم كان المذهب الكوفي أقرب لتصوير العربية على الوجه الواقعي . وإن كان يضعف في الجانب التعليلي . على أن الخطوة التي صادفها المذهب البصري حالت دون الاستفادة من المذهب الكوفي . ومن أراد فليطالع بكتاب الانصاف لأبي البركات ابن الانباري .

(٢) راجع خاتمة المصباح المنير للفيومي

أم عمله في حروف الاعلال . وقد تكلمنا على نوع من اللغة وقع فيه هذا التطور ،
ومثله هناك تمثيلاً وافياً ، وأعني به انتقال العربية من الصوتية إلى اللفظية ، ورأينا
هناك السير التطوري ومقدار عمله ، واستطعنا أن نسوق أمثلة فذة يتجلى فيها أسلوب
الارتقاء واضحاً . وهي (نِيدْلان) و (زَيْبِر) وقد رأينا أن (زَيْبِر) يمثل تمام العمل في
(نِيدْلان) . وربما لم يكن تكرار الحديث عنها ممياً لأنه عدا خطورتها يظهر فيها
سير التطور واضحاً ويمز أن نجد مثلاً في العربية المحررة (عربية المعاجم) .
والآن تقتصر على إبراد أمثلة شتى ، يظهر فيها مقدار ما عرى العربية من
تطور بليغ ، انتقل بها من وضع إلى وضع آخر يبعد عنه كثيراً .

أمثلة تطور الميزان :

قال العرب (نِيدْلان) و (تِيدْلان) و (زَيْبِر) و (زَيْبِر) . .
هذه كلمات وردت في متن اللغة كذلك ، وهي تنظم عندنا في تطورات حقيقية .
وذلك لأن (نِيدْلان) كلمة جارية على وزن صوتي ممت ، وهو (فَعْلان) والياء
فيه هي الكسرة المدودة .

وهذا الوزن أميت في عهد البلوغ اللغوي ، الذي قضى باستئصال الانتقال من
الكسر إلى الضم . وارتقت الكلمات الجارية عليه ، بصور من الارتقاء ، ولكن بقيت
كلمة تحتفظ بشكل منه ، رغم أنه دخلها عمل أولي مما يقضي به التطور . ولا يمكننا أن
نحدد ظروفها التي أوجبت بقاءها ، ولكن نعرف أنها بقيت وكفى ، وربما كانت
الصدفة ، وربما كان الوضع في موضوع كثرت كلماته فأهملت ، وربما كان شيئاً آخر ،
على أن هذا لا يهمنا كثيراً .

والعمل الأولي الذي دخلها هو قلب الياء الصوتية همزة ، وكأن هذا بعد خضوع
العربية لمنطق عدم الانتقال من الكسر إلى الضم ، فأبقوا على الياء قلبها همزة فخلصاً
من المحذور . فقالوا (تِيدْلان) ووقف فيها العمل الارتقائي عند هذا الحد ، مع أن
له بقية ظهرت في (زَيْبِر) التي تعتبر أرقى بمرحلة واحدة ، وقد أنهى فيها التطور
اللغوي عمله . وذلك لأن (زَيْبِر) في تقديرنا أصلها (زَيْبِر) جارية على وزن أميت ،

وهو (فعل) والياء انما هي الكسرة الممدودة ، فدخلها الإبدال بالهمزة قليل (زئبر) ثم دخلها الاتباع بالحركة قليل (زئبر) .

ولا يؤخذ علينا افتراض واثبات أوزان ككل (فعل وفعلان) . لانها ليست افتراضاً بل بقي في العربية ما يدل على انها كانت ، ولذلك قيل ليس في كلام العرب (فعل) الا (حُبْك) . ولقد أبدى ابن جني حينما خرج من باب تداخل اللغات ، كما هي العادة فيما خفي عليهم وجه تعليقه ، اعتماداً على انه جاء على وجهين وهما (حُبْك) و (حُبْك) . وشرح هذا المثال عندنا ، ان أصله (حُبْك) ولما قضت العربية باستئصال هذا البناء واماتته ، نقلوا كلماته بأحد وجهين ، إما باتباع الفاء للمعين ، وإما باتباع المعين للفاء . ولما كان الاتباع في الضم قليلاً . نظن بأن العربية قصدت ان تستقر عليها بالكسر .

وهذا الحرف بصورة التي نقلت اليها ، يرينا مثلاً طريفاً جداً ونادراً من طرق تطوير اللغة ، والانتقال بالكلمات التي هي على أوزان مماثلة . وبالجملة فهو يقضي ككل أمثلة اللغة المحفوظة ، بأن الاتباع ترك أكبر الآثار . وكان قانون تطور العربية وارتقاؤها في الجملة . والله در السكاكي فلقد اتقدح في ذهنه الوقاد المتبع وجه سري مما قرر فقال ^(١) (لكن الجمع بين الكسر والضم لازماً حيث كان ينبو الطبع عنه فأهل) لاحظ تفسيره باهل ، الذي يقضي بأنه قد كان . فما كان رحمه الله يراه فرضاً بل حقيقة لغوية واقعة .

والخلاصة ان عمل الارتقاء يبدو في هذه الامثلة تام الحلقات ، بحيث يجعلنا ندرك كيف كانت اللغة تنطور آخذة مأخذاً موزوناً . والأمر الذي يمكننا أن نستفيد منها من هذه الامثلة على وجهين :

(١) نسبة ارتقاء القبائل .

(٢) الوقوف على تاريخ القوانين التي خضعت لها اللغة .

أما الاول : فان القبيلة التي تنطق (نبدلان) متخلفة عن التي تنطق بها (نبدلان) والكلمة من حيث هي متخلفة . وكذلك القبيلة التي تقول (زئبر) متخلفة

عن القبيلة التي تنطق بها (زئير) والكلمة من حيث هي وافية الارتقاء ، كاملة التطور .

يبد أنه يبقى قصير وقع فيه الرواة القدامى ، وهو عدم تعيين القبائل التي تنطق بها هكذا على وجوه مختلفة ، الأمر الذي كنا بالاستناد إلى هذا النظر نجعل منه ميزاناً للتقدم القبلي ومقدار التخلف .

وفوائد هذا عدا التاريخ اللغوي ، الوقوف على ان الاختلاف مرجعه إلى عمل التطور ، وليس إلى الافراد اللغوي مما كانت يتوهم معه وجود لغات في الجزيرة ، تفعل كل لغة منها على حدة ، بينما الآن يتجه النظر إلى أن اللغة خضعت لظروف واحدة ، وتطورات متساوقة ، واتجاهات متقارب كثيراً وتتخلف أحياناً .
وأما الثاني : فالذي يستتج أمور .

(١) ان قانون منع الانتقال من الكسر إلى الضم أقدم من تمام تحلل اللغة من الصوتية .

(٢) ان ابدال حرف اللين بالهمزة تخلصاً من الصوتية . وليد الضرورة . وهو متأخر عن قانون منع الانتقال المذكور

(٣) ان قانون الانبعاث بالحركة متأخر جداً .

وأرى بأنك ستقدر هذا الأخذ قدره ، وترى فيه ما هو خلاق بالعناية باللغة ، وخصوصاً حينما نفيض كذلك على أكثر الاختلافات في اللغة .

أُسُولة تطور الاعمال :

قال العرب (عَوِيَّة) و (كَيَّ) و (سَبَق) بالاشمام إلى الضم و (سَبَق) بالكسرة و (صَوْمَة) و (صَامَة) .

أقدم هذه الامثلة (عوية) فهي متخلفة تخلفاً عقب بانفصالات طويلة ، مما يدعو بهاؤها إلى التساؤل الشديد . وتقدير الظروف التي حفظتها في وجودها الأقدم عسير . على ان للباحث أن يذهب مع الاحتمال مذاهب متباينة ، ولكن ليس من شأننا الآن بيان أسباب بقائها . ويأتي بعدها في التخلف (سبق) بالاشمام إلى الضم ،

وذلك لأنه يحتفظ بعمل ارتقائي أولي ، تقوم فيه مغالبة شديدة تنتهي في المنطق العربي إلى الكسر المحض . وعليه فالاشتمام في مثله ليس كما توهم (عبدالقاهر الجرجاني) في باب مخارج الحروف من شرح كتاب الايضاح ، من انه حركة كانت في اللسان العربي ، وانما الاشتمام انتقال وتطور لم يتم أو يتكامل . ومعناه ان (سيق) أصلها (سَوِق) فاتبعت الواو للحركة التي هي الكسرة قلبت ياء ، وفي نطق الضمة قبل الياء مع خفة التكلم اشتمام بلا ريب .

ومن ثم يظهر لك أن الاشتمام ، اعلال بين ايدي التطور ثم في اتباع حركة القاف ياء فلم يتم الاعلال كما يتوهم دفعة واحدة ، بل عاش في أطوار من الترقى بحسب الدوافع الفاعلة ، فاذا كان المثل خاضعاً لأكثر من عمل ، فمعني هذا انه عاش في أكثر من دور ، فمثلاً (سيق) مرت في ثلاثة ادوار حتى بلغت ما هي عليه ، قال ما نطق بها (سَوِق) ثم اعلت باتباع الواو للحركة فقبل (سَيِق) ثم اعلت باتباع حركة الفاء لحركة العين فقبل (سِيِق) . وعليه استغرت اذ لا مطلب وراء ما وقعت عنده ، ولا يستبعد شيء مما نجى به ، بل لا مجال للاستبعاد فان حفظ العربية لعهدا حرفين ^(١) من الممثل بالواو في صيغة (مفعول) ثبتت لها هذه الظاهرة ، وهما (مدووف . مصوون) وكثيراً من الممثل بالياء في لغة تميم نحو (مكبول ومبيوع ونخبوط ومصبود) وايضاً ^(٢) مقودة في مقادة ومثوبة في مثابة ومنومة ومطية ومهيج . دليل واضح على ما افترضه اقتراضاً يصور الواقع في غير تنكب .

ويجبي بعدها (صامة في صومة) وهذه غاية جاءت دونها العربية المحررة ، وارتقاء فعدت اللغة عنه ، وذلك لان مثل (صومة) يعتبر في العربية للشائعة كامل الاعلال تام التهذيب ، فجبي (صامة) فيها . ارتقاء جديد بدأ ووقف دون أن يؤثر أثراً الا قليلاً . والذي يستتج من هذا امور .

(١) ان المثل كان على التصحيح في اقدم عهود اللغة . لا كما ظن النحاة من ان ما قبل الاعلال اقتراض تعليمي

(١) راجع خاتمة المصباح ص ١٠٩٠

(٢) راجع الضرائر ص ١٣ والمصائص لابن جني ومقدمة المبهج له .

- (٢) ان قانون الاتباع هو قانون الاعلال الصحيح .
 (٣) ان الاثمام الى الضم اعلال اولي وليس بحركة زائدة اميتت .
 (٤) ان الاتباع يعمل في الاعلال على التاسب ولو لادني ملابسة .

امثلة تطور الافعال :

قال العرب (دَرَاكَ) و (هَيْهَاتَ) و (يَرَاعَ) و (يَنْبُوعَ) و (وَلِهَ يُوْهَلِ)
 و (وَثِقَ يَثِقُ) ..

نظن بان اقدم هذه الكلمات التي تأتلف منها الامثلة ، في سلم الارتفاع (دراك) وهي في نظرنا تعبر عن فعل الامر في أقصى ما كانت العربية طفولية ، ولا يتأفقه ما صرحت به الجماعة من انها اسم فعل أمر أو خالفة ، لان ملحظهم منصب على اعتبارها الآن في اللغة الشاهدة ولا ريب في أنها بهذا النظر كذلك ، أعني ليست جارية على مذهب فعل الأمر وصورته ، وان كان لها دلالة ومعناه ، ولما كانت كذلك ظن الجماعة ظناً قريباً بأنها أسماء الأفعال ، خصوصاً وهم لا يفرضون للعربية تطوراً ينتظم في هذا التفاوت ، ولو سئلوا عن سر وجودها لاصمتوا عن الجواب الجازم ، اذ كانت مهمتهم قائمة على جمع اكثر ما يمكن جمعه وفهمه أي أخذ صفة عامة له دون ما تحليل ولا تحليل . وأما اذا اعتمدنا هذا النظر الذي نأخذ به ، رأيت الجواب سهلاً مواتياً في غير تكلفة لا غبة بل جاريًا مجري طبيعة كل شيء ، حين لا يكون شيئاً سوى أن هذه الكلمة وامثالها ، بقايا تمثل الفعل الأمري قبل أن يتهدب تمام التهذيب على الشكل الذي انتهت به العربية . وكذلك (هيهات) و (وَيْ) و بقيت أسماء الأفعال . ويحيى بعدها (يراع) و (ينبوع) الحرفان اللذان يعبران عن صورة الأفعال في العهد الصوتي ، (فيراع) فعل ماضي متخلف و (ينبوع) فعل مضارع متخلف أيضاً ، ولكنهما ليسا على خلاف مع الوضع الذي استقر عليه الفعلان ، مما يدل على أن ترتيب الافعال على وضع مذهب ، سبق تمام التحلل من الصوتية .

ولكن بقيت الاختلافات بين أبواب الماضي والمضارع ، ونحن ظننا وابدنا هذا الفن ، بأن هذه الأبواب أيضاً اثرية ، والواقع أن اختلافها كان له مفهوم في طبع

العرب الاقدمين ، لأن شكلية الحروف كان لها تأثير في تمام المعنى ، ومن ثم نشأت هذه الأبواب ، فاذن لم تكن مقصودة في الواقع . وهذا لما ادرك العربية عهد الاصلاح والتهذيب ، حاولت التخلص من الاختلاف المذكور ، الذي لم يعد له معنى في الوضع الأخير ، وقد نجحت كثيراً في أبواب ، وعلى صورة محدودة في أبواب اخرى ، وكان اكبر نجاحها في باب (فَعْلٌ يَفْعُلُ) وباب (فَعِلٌ يَفْعُلُ) أما الأولان فقد نجحت فيهما نجاحاً مطلقاً ، لأن محاولة التخلص كانت اقدم ، وعوامل اتمامها على اعتبار اقوى . وبصورة تكاد تكون مطلقة في الثالث ، وبقي باب رابع لم يتأثر كثيراً بالتهذيب ولكن لا ينكر انه أثر فيه وهو باب (فَعْلٌ يَفْعُلُ) .

وعليه فقد كان للفعل بعد هذا ، ارتقاء آخر آخذ سبيل التحرر من قيود الاختلاف ، الذي سببته ظروف مضي أو انها . واذن (فوهل يوهل) تلي ما قدمنا ، ويظهر فيها عمل التطور بنقلها الى باب (فَعِلْ يَفْعَلْ) واعتبارها أصلية فيه ، وعلى قلة وشاذة في باب (فَعِلْ يَفْعَلْ) وهذا المثال متخلف من وجهين . .

(١٠) النصحيح مع موجب الاعلال .

(۲) دوراتہا بین بانی طرب وحسب .

ويظهر من هذا أن العربي فكر بتوحيد الأبواب قبل تمام عمل الاعلال ، ولذا نضع (وثق يثق) في الدرجة بعدها ارتقاء ، وذلك لأنها جاءت من باب محات مع الاعلال الذي هو تمام العمل الأرتقائي . وهذا تشهد له عبارة أثرية احتفظ بها الفيومي في المصباح قال ^(١) .

(ان كان أي الماضي على فعل بالكسر فالمضارع بالفتح نحو يعلم ويشرب وشذ من ذلك أفعال فجاءت بالفتح على القياس وبالكسر شذوذاً وهي بحسب وييس ويئس وينعم وشذ أيضاً أفعال معتلة سلت من الحذف فجاءت بالوجهين الفتح على القياس والكسر في لغة عقيل وهي بوغر صدره إذا امتلاً غيظك ووله يوله ويولع ويولغ وحذف قآنها فجاءت بالكسر وهي ومق يقو ووفق امره يفق ووهم يهن أي ضعف

(۱) راجع المصباح ج ۲ ص ۱۰۵۹

في لغة ووثق يثق وورع يرع وورم يرم وورث يرث ووري الزند يري في لغة وولي
يلي ووعم يعم بمعنى نعم ووري المنخ يري اذا اكتنز (ويزيدنا في موضع (١) آخر
(بان كسر المضارع في (فعل) لغة عليا مضر والفتح لغة سفلاها) .

هاتان العبارتان نسقط فيهما على تصديق لكل مارأيناه وجثنا به ، وبيانه أن
قوله كل ماهو من باب (فعل) فمضارعه من (يفعل) عند عليا مضر ، ومن (يفعل)
عند سفلاها ، ووغر واخواتها في منطق جمهور العرب بفتح المضارع وفي لغة عقيل بالانكسر
وشذ اي قل في منطق العرب (ومق) واخواتها ثم قوله (على القياس) ، ينشر تحت
نظرنا تسلسلا صحيحا للارتقاء المفروض .

والذي يستنتج من هذا أمور .

(١) أن الصور التي عليها الفعل على اختلافه مهذبة سبقت بصور إميت وآخرها
ارتقاء الأمر ، ثم استقر في أنه يتبع المضارع .

(٢) أن تهذيب الأفعال سبق التحلل من الصوتية .

(٣) أن توحيد أبواب الأفعال متأخر عن التحلل من الصوتية .

(٤) أن الاعلال متأخر في الطبع العربي عن توحيد أبواب الأفعال ، ويكون
أيضا آخر أعمال التطور فيما وقع فيه .

امثلة تطور اسم الفاعل

إذا أخذت اسم الفاعل وصيغه ، ترى الجماعة على اختلاف وتوزع في أي صيغه
قياسية ، فما استقر عندهم الرأي على شيء ، وإنما بقي الخلاف كما بدأ بالغا مبالغه فابن
مالك وابن الحاجب يذهبان إلى مجيئه من الفعل مطلقا ، وخالف ابن عصفور فيما كان
على (فعل وفعل) الخ (٢) .

وربما استطعت أن تدرس في هذا الاختلاف كيف كانت دراسة العربية عند
الجمهرة وكيف بلغت عند البعض على وجه الدقة وإن كان لم يظهر على وجه التحليل

(١) راجع المصباح ص ١٠٥٩

(٢) راجعه مبسوطا في خاتمة المصباح ج ٢ ص ١٠٦٦

الصحيح . وأما رأينا فيه فقد أبديناه بصورة جلية في بحث الهمزة الذي خرجنا منه باستواء فاعل وفعل وفعل وفعل في أصل الدلالة ، وإنها ارتقاآت عن (فاعيل) المات ، قصد ببعضها التوزيع وبالبعض الآخر الأمانة . ومن هذا ترى أن لامعنى لاختلاف الأولين لأنك بهذا الاعتبار تعلم أنها تطورات تفيد إفادة واحدة ، وقد قصد العربي أن يعرض بها على كل المواد في اللغة ولكن حال دون ذلك ، ماينا من أسباب مبارحة الجزيرة ، وانتقال اللغة انتقالا حرجا على أيدي النحويين ، وهذا الأمر أعني أمر الاكتفاء والاستغناء في اللغات ، لاسبيل إلى الطمن فيه فقد قدره اللغويون الاولون أيضا فيما اتضح لهم ، قالوا في المصدر من فعل المضعف أن العرب استغنوا في بعضه بأسماء وقعت موقع المصادر كما في وصاة مكان توصية وزكاة مكان تزكية ، وصلاة مكان تصلية . وإذا اتضح لك هذا الأمر ، علمت أن لاقائدة أبدا لما أطلالوا به في بحث اسم الفاعل من الثلاثي المجرد . لأن الخلاف قائم على اعتبار خاطي ، والذي ينبغي اعتماده في هذا المقام هو أن هذه الأوزان تتوافق في العربية الأثرية على معان واحدة ، وان ما يدولنا فيها من وجه للخلاف فقد جاء من عدم تحقق وجه الوضع عليها ، وأما ورودها من مواد خاصة فقد كان بفعل التناقص المستمر . وجملة الموضوع أن العربي قصد أن يطرد زنة (فاعل) في كل ثلاثي ، مجرد من غير نظر إلى الأبواب .

امسولة تطور الصوتية :

يستوعب فراغا عظيما من العربية ، الاختلاف القائم على الورد بأحرف المد أو بحركات من جنسها ، ولقد تقدمنا بيان أنها انفصالات وتطورات في الحقيقة ، وليس كما وهم الجماعة في شأنها ، وإنها ناشئة عن اتباع الحركة أو أنها لغات ، لأن نظرم يمتد الحركة أصلا ، والأمثلة على هذا كثيرة جداً نظراً لكثرة المتخلفات في العربية ولناخذ كلمة (نصال) مثلاً ، فمن يقف بالروم ينطق بها بأثر حركة على الشفتين ، ووردت (نِصال) على ما ذكره ابن الأنباري في (أصول اللغة) وأنشد .

(لا عهد لي بنيصالي أصبحت كالشن بالي)

ووردت (نصال) كما هو السائد في اللغة . والمعنى في هذا المثل أن أقدمها تخلفاً

التي تنطقها (نيسال) بالروم لأن الوقف بالروم كما حققنا بقية من الوقف بالواو ، فتخافت في المنطق العربي إلى حد الانحفاء إلا في لهجة متخلفة بقي أثره الاشاري فقط عندها ، ويليهما تخلفاً القبائل التي تنطقها (نيسال) واستقرت في المنطق العربي على (نصال) والمفهوم من هذا أمور .

(١) ان الروم بقية من صفة الوقف العمومية .

(٢) أن أحرف المد كانت هي الحركات .

(٣) أن الاعراب سبق تمام التحلل من الصوتية .

هذه جملة من أمثولات اجتهدت بعرضها على وجه فذ ونحو طريف . وهي دراسة في جملتها ، كما تكون الباكورة أول ماتكون ، تجمع إلى الندر الطرافة والجمال .

وإن تكن أنت في بعضها دون ما يجب من الافاضة والتوسع ، فانها على أي الاعتبار تضع لدرس العربية قاعدة علمية ، لا تتنافى أبداً مع عفو الطبيعة . وفي منهج يبعد كثيراً عن الاسلوب الغيبي ، والطريقة الميتافيزيكية . وهذا النحو من العرض والشرح يبدو أجهل ما يكون حين يتوسع به ، ويدرس على نسقه كل ما سماه العلماء بالضرائر والنوادر وما إلى ذلك .

وهذا التطور الذي أثبتنا أثره على المفردات فقط ، لأننا بحكم الموضوع لا يصح بنا أن نتجاوزها ، ثابت العمل في الاسلوب والمنهج البياني على شتى أوضاعه ومختلف صوره . حتى الشعر لم يفلت في أوزانه من الانصقال به والتكامل على مده . ولقد يتسنى للباحث أن يربط بين محور الشعر العربي القديم ، بحيث ينسق في نشوء تصاعدي صحيح ، وان بقيت بين بعض الحلقات فراغات ، فهي تنظر إلى أبحر أميت ، كما أميت في نظرنا (فاعيل) وبقي ما ينظر اليه .

وكان من نتائج هذا الدرس على الشعر أن انتهت إلى نتيجة خطيرة ، وهي ان البيان العربي ابتداءً نظماً ، وتطور كذلك آخذاً نحو التحلل ، وكان من آخر البحور المرتقية ، الخفيف وما اليه والرجز المرمع الذي منه تحللت الاسجاع ويدل لهذا التحام الترميع الشعري والسجع عند الكهنة الشعراء .

وقبل أن يستوي البيان العربي في النثر القراني ، قام زمناً في الفقرات المثلية

والأسجاع القصيرة ، وعابه فيكون السجع حلقة ما بين الشعر والنثر . وان في القرآن صورة واضحة عن شتى تطورات النثر ، حتى يكاد يمتد مع النظم في بعض السور كمثل (إنا أعطيناك السكوتر) . ولكن يعود القرآن فيأخذ في مذهب انفرادي ، ينتقل بالبيان العربي على مثل الطفرة ، ويبدو هذا المذهب الجديد واضحاً في سورة المؤمن وفصلت ومحمد والطوال . ومعنى هذا ان القرآن يجمع مختلف صور البيان العربي قبله . ويأتي بها على نحو معجز جداً ، ثم يسوق اسلوباً جديداً لا ينتسب إلى بيان العربية بحال ، وربما كان في اجتماع هذه الصور الشتى من الأساليب في القرآن ، على مسحة متسامية معجزة ، سر اعجاز القرآن الصحيح .

وليتنبه إلى الفرق بين الروح القرآنية ، والاسلوب القرآني . ودعوانا أن في القرآن (١) صوراً من أساليب شتى ، لا يعني أن روح البيان فيه مختلفة . وهناك فرق شاسع بين أسلوب البيان أي طريقة نظم البيان ، وبين صبغة أو طابع البيان التي تنسب إلى المعنوية والروح فقط .

فان مقال الشاعر على محور مختلفة لا تنفيه عنه ، هذا واضح جداً ولذلك لا أطلب فيه . وأحرى بنا أن ندرس بيان القرآن على هذا النحو ، لأنه الوثيقة السامية في البيان العربي ، حتى انطبع به على الدوام ، فأشدد الكتاب تطرفاً عنه أشد تعلقاً به على الحقيقة ، لأن البيان غذي القرآن .

والخلاصة أن دعوى التطور ، لا تتجأها نحن فقط بل عرفها الأولون ، والبك ما يقول ابن اسحق فيما نقل (٢) عنه ابن النديم صاحب الفهرست (وان الزيادة في اللغة امتنع العرب منها بعد بعث النبي (ص) لأجل القرآن) ومعنى هذه العبارة كما هو صريح منها ، ان العربية كانت خاضعة للتغايرات المستمرة على الدوام ، فهي بين الزيادة والتنقيح على سنة غير متخلفة . وهذا هو الغرض المقصود من التطور الذي نجهده باثباته . ومعنى عزو الامتناع من الزيادة إلى القرآن ، أن القرآن نظم من

(١) بسطنا هذا البحث بتفصيل ، وايضاح في فصل (نثر القرآن) من مقدمة التفسير وسنشرها بعد ما قريب .

(٢) راجع الفهرست لابن النديم ص (٧)

حواشي العربية وأخضعها لقانون يائي ثابت ، وأمات ما هو متراوح الفوضى فيها ،
وانتاشها بحيوية أخرى جديدة .

على ان ابن اسحاق لم يفهم السر الصحيح لهذا الجذر ، وقد صرحت به في
غير مرة من المقدمة وهو توزع العرب في الانحاء ، وتناول المدرسة اللغوية ، للعربية
على وجه حرج جداً . فالقرآن^(١) أمات الفوضى ، واللغويون عادوا فأحيوها .
ومن شاء أن يدرس أثر التطور في البيان ، فما عليه إلا أن يعم النظر في كتاب
(المجاز) للحارث بن المثنى المعروف بأبي عبيدة ، ففيه تقع على تطورات مختلفة جداً
في هذه الناحية سماها مجازات أي أساليب ، والحق انها أبعد ما تكون عن معنى
السمية ، وما هي عند البحث إلا تطورات وبقايا من مجازات اقترضت .

تعليق واستنتاج

هذا فصل يدخل فيما مضى الكلام عنه دخول اللازم ، ويترب عليه ترتب
النتيجة ، ولكن هو وان كان كما نصف ، فلا مندوحة من أن نقف عنده وقفة تزيل
من خفائه ، وتحيط من غموضه ، فان فيه ما يعين على البحث في أمر القواعد التي
سنتهجها في وضع ما نضع ، وفي تقدير الوضع على صورته الموزونة .
وسنأخذ بالكلام فيه على المصادر والأفعال والجموع وتخصيص الموازين ،
وسنرى من بعد أن اللغة وقعت دون ما قصد العربي منها ، ولكن وان تكن
كذلك قد قضت الظروف التي صادقتها العربية في تلك المرحلة من السير التطوري ،
فقد كان في عمل اللغويين لو تريثوا ، ما يصل المنقطع ويبلغ باللغة الهدف الوضعي
المعين لها . ولذا أصبح لازماً على اللغويين اليوم ، أن لا ينوا في هذا الأخذ ، وان
كان لأول أمره مفاجأة محضة ، قد تدعو إلى الدهشة المزوجة بالانكار . ولكن

(١) وذلك لان القرآن باعتماده لغة فريش ، أمات ماعداها ولكن اللغويين عادوا فأحيوها
ونملقوا بها على وجه غير قليل . بل زادوا تملقاً بأحياء اللغات الجنوبية وانتابهم بعض الخطأ في
جمع العربية فسكتوا عن التنبيه على لغات القبائل وانحرادات الجهات

ما علينا أن يكون الأمر مدهشاً وغريباً إذا كان حقاً وصحيحاً ، وفيه وحده دواء العريية فيما تخلف عنه أو يظهر وكأنها ضعيفة فيه .

وأرى كل ما يتوصل به إلى الأخذ بشار العريية ، لا يبدو أن يكون كوسائل التخدير التي تنشر راحة وقية جداً ، ليعقبها الألم والشكوى على أشدها شدة وأحرزها عقدة . فما يفعل اللغويون اليوم إلا كما يفعل اليائس المتعلل ، ينع نفسه بأنه أشقى على الغاية وأنهى كل شيء ، وهو لم ينت شيئاً إلا في ظن نفسه . وله عندي شق المماذير ، ما دام قد أفرغ كل الوسع لاعطاء النتيجة المنتظرة منه على أتمها . وما حيلة اللغوي أن يفعل ، واللغة لا تسمح بأكثر مما سمحت لأنها مقيدة بضروب من القيود ما عرقها العريية ، وإنما ألزموها بها رغم أنها قد تهدم اللغة وتتركها ألقاضاً .

وسيلها الحق هو ما تقرره ، ونلج في تقريره ، ومن ثم ندرك أن سعة اللغة إنما ترجع إلى قوانينها الثرة لا غير . ومن بعد لا يبقى مفهوم لقولهم (ليس في كلام العرب) أو لدعوى (السماع) وغير ذلك من أشكال تمسكية لم يفقهوا وجه السرف فيها (أي كذا خلقت) . ونحن عند ظننا في أمر تكامل اللغة ، ولتستعرض الوجوه التي يبدو فيها التخلف لتكون في البيئة . ونبدأ بالأفعال لأن حديثها أكثر مفاجئة وأكثراً فائدة .

بنظرة شاملة في (الأفعال على الثلاثي) نشهد تفاوتاً عظيماً وعلى مقدار ، وهذا التفاوت بلا ريب يقضي بأمر قد نكون على صدق من شأنه ، وقد نكون متمحلين لا أكثر في التماسات نظرية محضة ، وسواء كان هذا أو ذاك فنحن مطمئنون إلى تقدير أن هذا التفاوت نتيجة لعدم الاستقرار . فإن الثلاثي وليد الأزمان المتباعدة في القدم ، ووليد أدوار الفطرة ، الأمر الذي يجعل كياناً ساذجاً .

ولكن العربي في عهد رقيه ، جنح إلى التنقيح فيها حتى تأخذ سبيل الاستقرار ، كما هو الحال في المزيادات ، غير أنه لم ينته بها على الوجه الأكمل ، فبقيت الأفعال بين متجاذب من دور التنقيح والقديم ، أدى إلى مثار من الاضطراب الواضح . ونظن بأن العربي قصد أن يطرد الأفعال المضارعة على الكسر دون تخلف ودليلاً على هذا شيوع الكسر كحركة أصلية ، فهي في التقاء الساكنين وفي الابتداء

بالساكن تكون على لزوم أو أرجحية . ولقد أدرك الصرفيون هذا ، واختلفوا في أيهما الأصل الباب الأول أو الثاني ، وعلى هذه الملاحظة بنى الاملائيون القدامى قاعدة (الكسر يغلب غيره) ، ورد المحققون الرفع على المجاورة ، حتى اتهم^(١) ابن الشجري في أماليه من اعتمده بعدم المعرفة ، بينما الجر على المجاورة شائع مشهور في الضرورات بلا خلاف فيه ، كما ان الانباع بالكسر كثير في الموازين ، ونادر^(٢) بغيره كما في تَنْصُب - ضرب من الشجر تألفه الحرباء - ولذا نعتد الكسر اعتماداً لا تردد فيه ، بدليل غلبته في المزيد الذي هو بلا ريب من عمل الادوار الارقى . ولنعط صورة من الاستقرار المفروض في الافعال للإيضاح .

(الماضي) يكون على وزان (فَعَلَ) مطلقاً إلا للحاجة معنوية ، فينقل قياماً إلى بابي طرب وكرم .

و (المضارع) يكون على وزان (يَفْعِلُ) مطلقاً إلا للحاجة المذكورة .
وهذا في غير الحلقى فيكون من باب فتح مطلقاً ، والأمر ينفع المضارع وعليه فكل ماض بالفتح مطلقاً .
وكل مضارع بالكسر مطلقاً .
وكل حلقى بفتحها مطلقاً .

وما بقي على غير ذلك فآثريات ، وليس معنى هذا انا ندعو إلى خرق حرمة النص فان ما مضت به المعاجم يتقيد به إذا كان محل وفاق ، قلت اختلف فيه فلراجع الكسر .

وكذلك كل اشتقاق مستقبل يلزم هذا السبيل ويتطرد عليه .
والمصادر من الثلاثي بقيت كذلك قلقة في اللغة ، ويدل على هذه الملاحظة أن القلق لا يعدو الثلاثي أيضاً بينما نجد المزيديات على اطراد وغير تخاف إن في المصادر أو في الأفعال ، ولا ريب في أن هذا القلق الذي لا يتجاوز كونه في الثلاثي فقط

(١) راجع الضرائر للألوسي ص ٢٦ .

(٢) راجع سفر السعادة لاسخاري .

مصادر وأفعالاً ، كان للأسباب التي قدمناها وهي معقولة جداً فإن الثلاثي كان في اللغة بمنزلة التراث القديم . وربما أتينا في بعض بحوث المقدمة بكلام على المصادر مصنفة إلى مصادر متعينة في المصدرية ، وإلى مصادر معنوية (أي تابعة للمعنى) حتى تمرى القواعد من الاضطراب الواقع . وتزيد بظن ان المصدر الميمي كان أشبه بمحاولة من العربي لطرده في الثلاثي على وجه مطلق كما هو الحال في الزيدات .

وكذلك الجموع لم تستقر إلا في قلة من الكلمات ، غير أن العربي أخذ بصورة جدية لاقرارها . ولنعرض مثلاً فيه قدامة وفيه تطور . وهو (دِيَوَان) ووزانه (فَعَال) أخذ بالاعلال . ويؤيد هذا جواب ^(١) أبي عمرو بن العلاء حينما سئل عن ديوان هل ينطق بفتح الدال ، فقال لو جاز هذا لقل في جمعه (دَيَاوِين) فقال خلف الأحمر وكان في مجلسه ، انه سمع شاعراً حميراً يأنشد :

عديني أن أزورك أم عمرو دياوين تشق بالمداد

فما حاوله ابو عمرو استنكاراً ، وانما قال ، ان حمير لم يندھا هواء نجد . وهذا يحتمل أن يكون جمعاً قديماً أميت في دور التنقيح بدواوين ، أو جمع قبلي متخلف ، أو هو فعلة من خلف ، وكل هذا غير بعيد وان كنا نميل إلى أنه جمع قبلي ويؤكدده رد أبي عمرو .

واليك أمثلة أخرى ^(٢) نحن على يقين من انها قديمة ، لانها جموع لأسماء الأيام والأشهر ، وهي أدخل في التقدير من غيرها في أن تكون كذلك . فقالوا في جمع (سبت) اسم اليوم أسبت ، سُبوت ، أسبات ، أسابت ، أساييت .

وقالوا في جمع (رمضان) اسم الشهر .

رَمَضَانَات ، أَرَمِضَة ، أَرَامِضَة ، أَرَامِض ، رَمَاضِي ، رَمَاضِيْن ، أَرْمُض ، رَمَضَانُون . الخ

وقد يكون دليلاً على القدامة كثرة صيغ الجموع ، لأن معناه انه لم يتنخل بمحاولة التنقيح .

(١) راجع أدب الكتاب للصولي ص ١٨٧

(٢) راجع أدب الكتاب ص ١٨٥

وبقيت فوضى في ناحية ثانية من اللغة ، وهي الناحية المعنوية فلم تحدد للصيغة دلالة على اطراد ، فتحمل الكلمة معنيين أو معنى مؤلفاً مما تفيد الصيغة والمادة التي منها الاشتقاق .

وليست معالجة هذه الناحية على طرف من السهولة ، بل على العكس صعب جداً ومفيد جداً ، وضروري أن لا تخلو عنها لغة توسم بسمة الرقي الوضعي ، إذ هي أجلى ظاهرات الرقي المعقدة . وهذا التحديد الميزاني يجعل الوضع الاصطلاحي خاضعاً لعمل آلي ، يوفر عناء الواضع وعناء المستعمل على السواء ، واللغة التي تكون على فوضى منه ، تبقى ضعيفة عن تناول الاشياء ، وإذا تناولتها فلا تكون لها الصيغة الغوية المحكمة .

على ان العربية مع كل ما نرى فيها من فوضى هذه الناحية ، لا ينكر انها أخذت في سيطرة الاشتقاق وغلبته بهذا النحو ، فاستقرت في موازين لم تعد تستعمل إلا على وجه لا يتخلف عنه دلالة الهيئة ، كما في مفعل ومفعال ومفعلة للآلة وكما في فاعل ومفعول إلى كثير من مثلها . ولربما كان هذا الأمر لا يعني العرب القدماء ، لأنه لم تكن بهم حاجة اليه من جهة عدم شمولهم بحركة علمية ، بيد أنه يعتينا كثيراً وكثيراً ، فإن بقاء الموازين على فوضاها لا يتناسب مع المفاهيم العلمية الدقيقة ، التي تضطرننا لأن نجعل دلالة لازمة أبداً للهيئة الميزانية . ومن ثم لا يكون عناء الواضع كبيراً كما نرسم للميزان أيضاً صورة عند السامع تكون على مقدار من المعنى .

فعلى الواضع^(١) الجديد ، أن يتوفر على تخصيص الموازين بما يقارب أن يكون جامعاً لشتى المشتقات عليها ، والا لما لم يكن الوضع على هذا اللون فلن يكون فيه غناء ، عدا عن التفاوت الذي يستغرق المقاييس وتبدو معه اللغة على تباينات وعدم تساوق .

ومن جملة هذا الشرح ، تخرج بأن العربية لم تزل على فوضى من الأفعال والمصادر والمجموع والموازين ، ولكن عمل العربي القديم على اقرارها .

(١) وضعنا لأول مرة في كتب الدراسات العربية خصوصيات ثابتة للموازين فراجعها

في المقدمة من ٥٣ الى ٩٦

وكشي . صحيح التقدير ان العربية وقفت فجأة دون ما تمام العمل اللغوي ، ولقد أحس الأولون بهذا وعزوه إلى القرآن واحترامه ، وهذا سبب لأجله وجهاً صحيحاً ، بل على العكس كان القرآن وسيلة فعالة للتقدم في اللغة والبيان . والحق ان السبب كل السبب هو توزع العرب في الأنحاء ، وتناول اللغة تلامذة المدرسة اللغوية ، التي كان طابعها الجمع فقط ، والوقوف في وجه كل اجتهاد يرمي إلى تحرير اللغة ، فكان تلامذتها من هذه الناحية محافظين جداً وعرباً أكثر من العرب .

فأي أخذ من هذا الذي ندعو اليه ، هو عود بالعربية إلى سابق نهجها ، واتساعها من بين القيود التي غلت بها ، وانتهاء بالعربية إلى مستقرها الكامل .



القسم الثالث

السمع او ليس في كلام العرب

روي أن سائلاً سأل أبا عمرو بن العلاء ، عن ما لو سمع من العرب شيء ، يخالف لفظه فقال له (اسمي ما وافقني قياساً وما خالفني لغات) .

هذه عبارة على اقتضاها حتى نجبي ، في كلمات ، وعلى اختصارها حتى تقع في حروف ، تشرح غامض الموضوع ، ككتاب واسع المادة . وأظنها ظاهرة بنفسها حتى لا تحتاج الى تعليق . ولكن ما نحن في حاجة إلى فهمه ، هو السبب الذي حدى بأبي عمرو ومدرسته ، إلى أخذ العربية بهذا النوع من التقييد ، والضرب من التحكم . ولعل السبب قد أتى مشروحاً بالكلمة نفسها أو هي تشرحه بالفعل ، وتدل عليه بصراحة كبرى لا خفاء فيها ولا غموض ، وهو لا شيء . أكثر من أن السماع أقرب سبيل إلى ضبط العربية ، حين يخفى ما يمكن أن يكون علة جامعة .

وهذا الأخذ طبعي في أول الأمر بالدرس ، ثم يتشكل على وجه آخر . ولكن المدرسة اللغوية انتهت بما ابتدأت به ، من اصول لم تجاوز رسومها إلا على وجه الندرة . وقامت أسباب عززت بعض هذه الأصول ، حتى عادت من العربية كما نكون العربية من نفسها ، ومن هذا القليل السماع فقد اعتبر من أجل سبب ساذج بسيط ، لا يعدو كونه أخصر طريق إلى الحصر ، ثم اشتط اللغويون في اعتباره إلى حد كبير ، أخذ عليهم الطريق الحقيقي لدرس العربية على وجه صحيح .

فكان ما اتخذوه الأول وسيلة إلى الضبط في فاتحة الدرس ، علة الفوضى في خاتمه . والأسباب التي توفرت عند متأخرة اللغويين لتمسك بالسمع نجبي في أمور .

(١) أنه أقرب طريق للحصر والشرح .

(٢) تشبعهم بنظرية التوقيف في اللغات .

(٣) الخوف على سلامة اللغة أي إحاطتها دون أن تبث بها الاهواء وتنال بالفوضى حتى تبعد بها عن صيغتها الاولى .

(٤) خدمة البيان القرآني في اعتقادهم . فانهم ذهبوا مع الظن بأن اطلاق القياس في العربية يبعد بها عن لغة القرآن .

(٥) الانانية العلمية أو الارستقراطية العلمية فان أهل الاختصاص من اللغويين اذا تسامحوا بالقياس لم يعد لهم المقام السامي الذي يتمتعون به مما جعلهم يتشددون بالسمع إذ كان السبب الوحيد الذي يحفظ لهم هذه الرعاية المهددة إذا أباحوا للناس القياس .

هذه في نظري الأسباب الهامة التي جعلت اللغويين يلحون في الاعتداد بالسمع إلى حد منكر ومتعدي . وما أخذوا فيه بالاعتدال كما أخذ الأولون منهم ، بل أفرطوا في تحكيمه حتى انتهى بتقييد العربية على الوجه الذي نشكو منه ونألم له . وأدى بالعربية إلى الجمود والتحجر والالتواء المطلق .

والعجب أن يكون السماع الذي اتخذ سياجاً للعربية من أن يعيث بها مهّد إلى العبث بالكذب والاختلاق ، فان أكبر ما حمل اللغوي على الاختلاق هو السماع ، ضرورة ما كان من عدم الاطمئنان إلا إلى الشاهد والنص والرواية . فكان إذا وضح له شيء من أسرار العربية يجد نفسه مضطراً ليق الناس بما انتهى إليه ، وليسمع عنه ما يقول ، ان يدّرع بشاهد أو بشواهد وربما بقصيدة أو بقصائد .

هذا شيء نعرف من نوادره كثيراً حتى أكون في غنية عن ايراد أمثلة مما حفظت كتب الأدب والتراجم . والذي يلفت حقيقة من أمر هذه الشواهد أنها لا تحفظ في الغالب الكثير إلا شطراً أو شطرين ، ولو طلبت لشطراً آخر ولبيت مثلاً لأعياءك الطلب كأن الشطر لقطة الطريق والبيت يضة المقر .

ولكن ما لا شك فيه أن إباحة القياس للعفو ، قد يعمل على الاختلاف الكبير في الوضع والاصطلاح ومذهب البيان وما إلى ذلك . مما يضطر معه إلى إبقاء عمل السماع في المحيط اللغوي ولكن على معنى آخر غير معناه . فلسنا نعني به الورود عن العرب ، وإنما نعني به الإباحة للواضع فقط (كالعرف الشامل أو المجامع) فثلاً قلب

الماء زاباً كما في زمك وهمك ، لا يجوز أن يترك للمستعمل يجري فيه على هواه دون نواضع أو اصطلاح ، وكذلك فيما بقي من القوانين النادرة .

وهنا نأتي على معنى القياس عندنا أيضاً . ونعني به وقوف المستعمل عند وضع الواضع والتصرف بالمادة على حسب القانون المحول في الاشتقاق والتصرف ، والواضع هو (العرف الشامل والمجامع والعالم) بعد تصحيح الوضع على مقتضى الاستعداد الحرفي وقواعد الاشتقاق . وعليه فمفهوما في أحصر عبارة .

السمع : الإباحة للواضع ، على قانون العربية في أشیائها النادرة .

القياس : الإباحة للمستعمل ، على قانون التصريف والاشتقاق .

وما وراء ذلك من القياس والسمع عبث مطلق وتلاعب حقيقي ، ولما لم يكن للسمع مفهوم صحيح له اعتباره . اختلف العلماء على الدوام في تطبيقه ، فما يراه بعضهم سمعاً محجوراً ، يراه البعض الآخر قياساً سائغاً . وهذا شيء عام في المفردات والضوابط ، وأقرب مثل أسوقه كلمة (اقتطف) التي ردها كثير من اللغويين بدعوى عدم السماع والحفظ ، بينما قبلها آخرون واستشهد بأنها وقعت عند الأعشى وجريرو . فإن السماع مبني على الحفظ وما لم يحفظ أكثر مما حفظ كما قال أبو عمرو بن العلاء . مما يكون سائغاً معه أن تقبل ما يؤيده القياس وكفى . على أن اعتماد السماع المشدد جعل اللغويين يتحلون لكلهم يصححونها كما فعل الشهاب في شرح درة القواص ، مما كان تلاعباً محضاً وعبثاً منكراً سبب إليه سماع دعوى السماع .

الثلاثي

سبق منا القول بأن الثلاثي وحدة كلم العربية ، وعليه استقرت في الثروة البالغة عظماً واتساعاً .

وعلى ملاحظة الثلاثي بنى اللغويون أبحاثهم في المعاجم والقواميس رغم اختلاف الاصطلاح ، وما كانوا يترددون في هذا النظر ، ومن ثم قال ^(١) الميداني (والاسم المتمكن لا يكون على أقل من ثلاثة أحرف ، حرف يبدأ به ، وحرف يوقف عليه ، وحرف

(١) راجع نزهة الطرف ص (٧)

يفرق به بين الابتداء والوقف) ولتشبعهم بهذا الرأي ردوا كل مزيد إلى ثلاثين ،
وتكلفوا في ذلك عرق القربة كما يقولون ، وبالغوا في هذا التكلف حتى ألفوا شأنه ،
وظنوه مقياساً لغوياً لا اختلاف عليه أو ليس مما قد يختلف فيه ، وعليه وحده بنى
ابن فارس الكلام في كتابه (مقاييس اللغة) وأكده أيضاً في كتابه (الصاحبي) ونوه
بهذا الصنيع ققل^(١) (قول العرب للرجل الشديد (ضبط) من (ضبط وضبر)
(صهصلق) من (صهل وصلق) وفي (صلدم) من (صلد وصدم) الخ .
وكيفما كانت النتائج المركبة التي انبنت على اعتبار الثلاثي ، فلا شك في أنهم على
حق من هذا الاعتبار المذكور . فتحن إذن على وفاق معهم في أمر الثلاثي ، بل نشفع
رأيهم بتأكيد لا تردد فيه ، على ما في هذا من وضاعة لا تستدعي خلافاً أو منازعة .
ولربما انحصر خلافاً معهم في وجهين :

(١) كيف نشأ الثلاثي

(٢) ليست كل مادة من الثلاثي وحدة على حدة ، بل هي طرف من وحدة
تستوي في دائرة الثلاثي .

عند هذين الوجهين يكون اختلافنا واللغويين القدماء ، وليس هذا بالأمر الذي
لا يؤبه له من حيث ترتب النتائج ، بل له شأنه وسيظهر لك كيف هو جدير بالبحث
المشبع وحرى بالدرس المستفيض .

وينبغي أن نتكلم هنا في بحث القواعد بتحر وأناة بالغين ، وأن لا نرسل الكلام
إرسالاً يأتي معه ضعيفاً ، شأن كل مرسل على عواهنه .

أما الأول : وهو وجه كيف نشأ الثلاثي ، فحديثنا عنه الآن ليس على معنى ان
الجماعة الاولى في شعبة الدرس اللغوي ، وقفت عند الثلاثي على تقدير انفصاله عن
عهد ثنائي لون العربية بلون يشبه أن يكون طابعاً عاماً ، كلا فقد قدمنا بأن الجماعة
اللغوية لم تكن ملاحظتها نشوئية ، وإنما اتخذت اعتماد الثنائي وملاحظته لخدمة الضبط
والحصر ، ولتحقيق الاشتقاق فقط .

وكيفما كان الأمر ، فحديثنا الآن عن تأكيده ان الثلاثي نشأ عن الثنائي ، وان كثرة من الثلاثيات احتفظت بها العربية بعد تصحيح الصوت حرفاً، وهذه الثنائيات التي نزلها هي المعلات . وهذه المعلات المحفوظة في شتى المعاجم ، يجب أن نتخذها عدتنا في الدرس لفهم الثلاثي على وجهه ، لأنها الأصل الذي انفصل عنه ، ولم يكن عمل التصحيح إلا ضرباً من إقرار اللغة على صورة واحدة من الثلاثية ، قالوا ي منها ينظر إلى الضمة الممدودة ، والياء إلى الكسرة كذلك . ومن ثم يتأيد ما ذهبنا إليه ، من ان هذه الحركات تراءد^(١) لمان بعينها في العهد الصوتي ، ثم تصححت كل حركة بحرف من جنسها بعد أن اتخذت العربية وحدتها في الثلاثي .

وعليه فهذه المعلات ثنائيات مصححة ، وهنا يلزمنا أن نتكلم عن ضروب التصحيح التي لجأ إليها العربي وهي عند نظرنا تقع في امور .

(١) جعل الصوت حرفاً . وهذا السبب هو الذي ادى الى الاحتفاظ بالمعلات رغم أنها ثنائية .

(٢) التضعيف . والمثل عليه (بصا) نقل الى (بصن) بخطف الحركة وتضعيف الحرف والأخذ بهذا النحو يرجع الى عهد ارقى من الأول في الفظلية، فان الأمل تصحيح بالتحويل وهذا تصحيح بالحذف .

(٣) ابدال الهمزة . كما في (يش) نقل الى (أش) .

(١) ولا يكون فامضا بعد هذا وجه اختلاف المعنى مع عدم اختلاف المادة الا بالواو والباءية فقط كما في (دحوة ودحية) لان اختلاف حرف الصوت يغير في المعنى ومن ثم نجد الافعال تختلف معانيها باختلاف الابواب لانه ينظر الى هذا الملحظ فكان العربي إذا أراد تأليف الكلمة عمد إلى حرف ما على صوت بعينه ليبدل على معناه فإذا غير الصوت تغير المعنى على مقدار من خصوصية الصوت . وبالاخص إذا علمت أن الثلاثي في العربية جملة مؤلفة من ثلاث كلمات في طبع العربي القديم وبارتقاء اللغة تناسوا اختلاف الدلالة باختلاف الصوت واستقرت هذه الالفاظ في معانيها على أشكالها من الاختلاف الأثري . وهذا هو السر في تعدد أبواب الثلاثي ولقد اعترضني باحث لغوي بالافعال التي حفظ ضبطها في المعاجم من بابين كشيخ وفسد في غير اختلاف معنوي وكان أن أجبت بأن عدم حفظ الخصوصية لا يتقيا ولقد يمكن تطيل عدم الخصوصية بتناسي العرب لها أو بحذفها على الرواة ولقد ثبت ان الرواة اعتمدوا في تعيين المعاني على المفهوم من الشعر أو النثر ومن ثم جاءت كلمات كثيرة على غير تحرير

هذه هي الوسائل التي نظن أن العربي تذرع بها لتصحيح الصوتي ، وهي تختلف في مقدار أثرها على اللغة ، ولكن وإن اختلفت شيوعاً واختصاصاً فقد كان لجميعها تأثير واضح . ونستطيع أن نقول من بعد هذا ، أن مطلق الثلاثي نشأ عن الثنائي على هذه الصورة التي عليها المعلات بزيادة حرف من الهجاء قد سبق لنا بيان أن محله ^(١) الوسط ، ولكن لم نخض هناك في مقابلات على الظن المذكور ، نظراً إلى أن مهمتنا إذ ذاك التاريخ حسب . ولناخذ في سرد امثلة ومقابلتها ، حتى نخرج منها بترجيح

(١) لا انكر ان الاخذ الاحتمالي في ان يكون المزيد على الثنائي . الفاء او العين او اللام الذي قرره دارسو اللغة من قبل . قد يبدو على بعض الكلمات ضرورياً حين لا يظهر تمام المعنى الجامع في الحشو ولكن مع ذلك لا ارى في هذا ما يهدم اعتبار النظرية كئي . يشمل اللغة في اكبر عدد من المواد المحفوظة وهذا وحده كاف في التعويل على نظرية زيادة الحشو فان النظريات المعروفة في صدر التاريخ وما اليه تركز على المشاهدات الاكثر انتشاراً . هذا من وجه ومن وجه آخر يبدو ما انتهى اليه الجماعة لا يجاوز ان يكون احتماليا لا يصح ان يكون نتيجة درس تعتمد على ان مما يجب التنبيه اليه هو ان المداليل المعجمية المحفوظة ليست هي المعاني الحقيقية احياناً بل تأصلت بعد نقل او تجاوز وليست هي كل المعاني فاصنع اكثر مما حفظ ومن وراء كل هذا يباح في نزعة العلم ان نتمد نظرية الزيادة حشوا بدون تردد في دراستنا اللغوية التاريخية . وطريقة تطبيق النظرية ان تتناول المادة بعد تجريد حرف الوسط وتتناول معها المعلات التي وقع فيها هذان الحرفان على ترتيبهما فاذا اردنا ان ندرس (شح) وجب لنحقق معناها تماماً ان نأخذ معها (شحي شح شوح وشح) لأن هذه المعلات جميعها ثنائية صوتية صححت بحمل الحركة حرفاً والحركة تراوحت بين ان تكون عند الاول والوسط والآخر فتشأ بعد التصحيح المثال والأجوف والناقص وكما سبق ونبينا ان لهذه الحركات معانياً في العربية الساذجة فلا عجب اذا وجدنا هذا التباعد المعنوي بين المثال والأجوف والناقص مع كونها من ثنائي حرلي واحد ويترتب على هذا انها اذا أخذت بالتضيف فينشأ عنها جميعها ثنائي واحد وهو (شح) ومن ثم تنتظم له جريدة من المعاني المتخالفة وهذا الرد الى المل هو الذي يضمن لنا توزيع المعاني الى الجذور الاولى على وجه حقيقي وقد بقي شيء آخر يجدر التنبيه عليه وهو أن تعيين المعنى الاصل أو الجامع المعنوي فيه عبر غير قليل ولكن بين أيدينا ظاهرة قد تعين بعض الشيء وهي ثبوت المعنى الواحد في التطورات فلجذر الثنائي الواحد وهي المل مثل (شح شوح شحي شحي) والمهموز مثل (أشح شح شحاً) والمضعف الثنائي مثل (شح) والثنائي المكرر مثل (شحشح) فانها ثبوت بان تكشف عن المعنى الاصل . هذا ما بدالي حقيقياً واطنه كذلك لا شك فيه ولكنه يحتاج الى الاثارة بالدرس والى عدم التطلع بالانكار والتفنيد والتروي بالمقابلة . فان المسألة لغوية تستند على ما بين أيدينا من (تقليدات لغوية) تشبه كثيراً التقليد للمؤرخ والحفري وتبعد اشد البعد عن الهاكمة العقلية المحضة . فهي تعتمد المقارنة بين المواد ومعانيها وادراك وجه التعاشق فيها .

لاحد وجهي التقدير ، وان كنا نقرر أن تقديرهم قد يتبادر لأول وهلة وهو علامة الحقيقة ، ولكن لا يستقيم الى النهاية بل يتخلف كثيراً . والسرف في هذه الظاهرة هو ما قدمنا من أنه راجع الى دلالة الحروف المجتمعة ، فان لها دلالة مقاربة ومتفاهة . ومن ثم اشبه الاولون ولكن العلامة الفارقة دائماً في تحرير التقديرات ترجع الى ما يتم عليها المعنى . وسيظهر هذا في عرض الامثلة ومقارنتها .

(عَـبَل) قال اصحاب المعاجم في معناها (الضخم من كل شيء) وكأنه وحدة المعاني في المسادة فلي منهج الأولين ترد الى (عب) زيدت عليه اللام ، وعلى منهجنا ترد الى (على) زيدت عليه الباء ، والوجه في ترجيح ما نذهب اليه ، أن (عل) من مشتقاتها ما يدل هذه الدلالة ، قالوا (العل) ذكر المعزى الضخم العظيم وأيضاً القراد الضخم . وفيه نجد تمام معنى (عبل) بينما أخص ما استعملت فيه (عب) يدل على تدافع السائل فقيل بحر عباب وهكذا .

وأنت تجد أن وجه الملاحظة بقطع النظر عن الاستعمال في السائل ، التدافع لا التضخم كما هو ظاهر .

وخذه في الزيادات . فعند الاولين (عبث وعبث الخ) مما لا يظهر فيها جامع إلا على تحمل بينما نجد فيما ترجع اليه (عبث) على رأينا . وحدة معناها بدون قصد وهو (عث) ومن مشتقاتها (العثاث) الترم في الفناء و (العثة) المرأة البذيئة . والزيادات عندنا (عتل وعتل الخ) وانظر كيف نجد بينها جامعاً معنوياً ظاهراً قالوا (العتلة) الهراوة الغليظة والعصا الضخمة من حديد وقالوا (العتل) الغليظ للضخم إلى غير ذلك مما يظهر بالتبع ويتضح بالاستقراء آخذاً هذه الطريقة بالشكلية . فنحن نخالفهم في هذا ونلحظ في المخالفة ، وأرانا على حق في هذا الخلاف أو هو كل الحق والصدق ، وكيفما كان فإنه لا يعنينا في العمل القوي أبداً ، لأن العربية لم تعد على شيء سوى الثلاثي ، وانما هو يمت إلى التاريخ القوي في التأصيل والتفريع على المواد المحفوظة .

وأما الثاني من وجه خلافتنا مع الأقدمين . فهو في أن وحدة الثلاثي المقاليب السمة ، وليست وحدته المادة الواحدة . وهذا ما نسميه (بالقلب) ويسمونه

بالاشتقاق الكبير وأما القلب عندهم ، فيعنون منه غير هذا . يعنون به (الترادف في صورة القلب) كجذب وجذب ويأس وأيس فكلاهما بمعنى واحد . وهم يرجعون سببه إلى تزامن حروف الكلمة على اللسان وتسايقها . وعلة أبو عبيد البكري بسبب ذهني ، ومن هنا فرقوا بينه وبين ما مرجع الترادف فيه إلى اختلاف اللغات كما أنه عليه ابن سيده في مقدمة المخصص وناقشهم في جذب وجذب بأنها من القلب لأنهما عنده لفتان .

ومن ثم لا يكون للقلب عندهم عمل في تكثير اللغة إلا في كلمات الترادف فقط على أنه كشيء غير مقصود أيضاً . ومن هذا نعرف أن صاحب الفلسفة اللغوية لم يتحرر عنده معنى القلب في اصطلاح الاقدمين إذ لم يفرق بين القلب واللغة قال (١) (القلب عبارة عن تقديم وتأخير أحد الحروف من اللفظ الواحد مع حفظ معناه أو تغيير طفيف وهو أقل وروداً من الابدال) فعبارة تشعربقصدته وأنه يكون على تغيير في المعنى وليس بصحيح ، ولا بأس من تحرير مفهوم هذا الاصطلاح والاختلاف في وقوعه .

ذهب الكوفيون إلى وقوعه في الأفعال وسواها ككل ولبك وطامس وطاسم ، ورد البصريون في الأفعال والمصادر ورأوه لغة ، وأثبتوه في مشتقات المعاني كما في جرف هار وهائر . ومن هذين المذهبين نشأ مذهب آخر إشتدالي وهو ما حكاه السخاوي في شرح المفصل بقوله (إذا قلبوا لم يجعلوا الفرع مصدراً لثلاث يتبس بالأصل ويقتصر على مصدر الأصل ليكون شاهداً للاتصال نحو يئس يأماً وأيس مقلوب منه ولا مصدر له فإذا وجد المصدران حكم النحاة بأن كل واحد من الفعلين أصل وليس بمقلوب نحو جذب وجذب وأهل اللغة يقولون إن ذلك كله مقلوب (٢))

وعبارة السخاوي تفيد أن الخلاف بين الكوفيين والبصريين اشتهر بمذهب أهل اللغة وبأن المذهب الثالث اشتهر بمذهب النحاة وهو ارتقاء متأخر .

والقلب على هذا المعنى نسميه (بالقلب اللفظي) وهو غير واقع عندنا في اللهجة

(١) راجع الفلسفة اللغوية ص (٢٠) .

(٢) راجع المزهرج ١ ص ٢٨٥ .

الواحدة إلا على قلة لا يمكن تحديدها واكثر منه بين الالهجات . وأما هو فليس له عمل
أبدأ في النمو اللغوي والتزيد اللفظي ، وهذه الكثرة التي بسوقونها ترجع في رأينا إلى
ما قبل عهد الاستقرار ، وتنظر إلى عهود كانت فيها كاملة الحياة ، ثم تناقصها المد
الزمني حتى لم تبق منها إلا بقايا داخل الرواة في بعض منها لعدم التميز ، وداخل
العرب في البعض الآخر اكتفاء بدلالة المادة العتيقة . فثلاً وجود (يأس وأيس)
يدل على أن أيس أثرية امينت مشتقاتها لأنه لم يدخلها عمل الاعلال .

وبالجملة فنحن نوافق ابن السكيت في دعوى ابطال القلب بهذا المعنى إلا في قلة
ترجع إلى لهجات القبائل واختلافها ويمكن تحديدها . وهذا القلب اللفظي بديهي انه
غير القلب الذي نعنيه لأن ما تقصده هو ما يلاقي الاشتقاق الكبير في عبارات الاولين
ولنأت بين يدي الموضوع بمذكرة تاريخية عن اقتراح هذه الفكرة عند علماء الاشتقاق
القدامى .

تاريخ فكرة الاشتقاق الكبير

يمكننا أن نؤرخ فكرة الاشتقاق التحقيقي (بالخليل بن احمد) وهو بهذا رأس
طبقة كان يتوسع عملها بين حين وآخر منفعلاً بالمقابلة التي تخدمه ولون الثقافة السائدة .
ولا شك في أن للثقافة العامة أثرها من حيث توجيه شتى البحوث ، ولقد ظهر هنا
في بحث اللغة فلسفة عند الطبقة التي يجيء على رأسها (ابو علي الفارسي) وتلميذه له
طابع فلسفي من الطابع السائد لذلك العصر . ومهما يكن من آثار من تعاقبوا في طبقة
الخليل لم يجاوزوا خطته واعلامه ، بل تقول انهم لم يتحققوها كما يجب وأيضاً تقول في
غير مبالغة، لم يكن عمل الطبقة الثانية إلا شرحاً لما بدأه الخليل ، فهو أول من تبين الوحدة
بين المقاليب وتناولها بالدرس ، وزاد بأن أراد حصر ما في العربية من الثلاثي على
صورتها بعد تحقق أن للكلمة الثلاثية ستة مقاليب فيها المهمل والمستعمل . ومن ثم كان
عمله خطيراً جداً ولا يفهم من هذا أنه قصد الاستفادة من المهملات بعد عمل نظامي

عليها ، وإنما كان جهده فيها عملاً تحقيقياً فقط . ولقد توسع على فكرته (مخبرة النديم) في كتابه^(١) جامع النطق الذي شرحه الزجاج .

ولا توسع في ذكر عمل هذه الطبقة ، لما ان يحتمل وان انجبه هذا الاتجاه غير انه بقي محافظاً جداً ومنطبعاً بالرواية ، ولكن لا ينكر أن انتاج هذه الطبقة في الاشتقاق الصغير كان بالغاً جداً وقوياً أيضاً ، وهو يعادل انتاج الطبقة الثانية في الاشتقاق الكبير التي يجيء على رأسها الفارسي وتلميذه ابن جني وان كان تلميذه هو وحده صاحب الثروة الطائلة والمتنوع الواسع الذي قسمه إلى طبقاته . ومع ان ابن جني اعتمد هذا الاشتقاق وبالغ في اعتماده لم يكن على اقتناع من ان عمل العربي كان آخذاً هذه الصورة قال^(٢) السيوطي (وهذا مما ابتدعه الامام ابو الفتح وكان شيخه الفارسي يأنس به يسيراً وليس معنداً في اللغة ولا يصح أن يستنبط به اشتقاق في لغة العرب)

والطبقة الثالثة تبدأ بالعلامة الحاتمي وتلميذه السكاكي ولا نفعل فيها ذكر ابن الاثير صاحب المثل السائر ، فهؤلاء حققوا النظرية بصورة أكثر عملياً . على انا لا نعرف للحاتمي أثراً باشره بالتأليف في هذا الموضوع سوى ما نقله عنه تلميذه السكاكي في المفتاح . وحتم علينا أن نذكر عبارة السكاكي وابن الاثير ليتضح لنا مقدار تطور التعليم عند رجال الطبقة الثالثة . قال^(٣) السكاكي في المفتاح (وان تجاوزت إلى ما احتملته من معنى أعم من ذلك كيفما انتظمت ، مثل الصور الست للحروف الثلاثية المختلفة من حيث النظم . والاربع والعشرين للأربعة . والمائة والعشرين للخمسة سمي الاشتقاق الكبير) وتأمل جيداً قوله والاربع والعشرين للأربعة وقف على ان تعليمه لم يكن أكثر من تصور عقلي يعوزه التطبيق والاستقراء ، ومع اني اذهب في احترام الحاتمي مذهباً بعيداً يجعله الثالث بعد الخليل وابن جني ، أعتبر هذه النظرية مجازفة منه ومن تلميذه ذي المجازفات الجلة في بحث الفنون الأدبية ، حتى قصد في

(١) راجع معجم ياقوت ج ١ ص ١٤٩

(٢) راجع المزهج ج ١ ص ٢٠١

(٣) راجع المفتاح ص (٧)

حين أن يصطنع المنطق بمصطلحاته في محيط الأدب مما أدى الى مسخ حقيقي فيه ، ومع ذلك كان صاحب عبقرية نادرة .

ثم يزيدنا هذا التلميذ المخلص ، أن شيخه الحاتمي أحكم قانوناً في الدرس اللغوي مما بالاشتقاق الأكبر وسيظهر لك من عبارة السكاكي أنه إغراق في الاستنباط والتحليل . قال ^(١) (وها هنا نوع ثالث من الاشتقاق كان يسميه شيخنا الحاتمي رحمه الله الاشتقاق الأكبر وهو أن يتجاوز إلى ما احتمله إخوات تلك الطائفة من الحروف نوعاً أو مخرجاً ، وقد عرفت الأنواع والمخارج على ما نبهناك وأنه نوع لم أر أحداً من سحرة هذا الفن وقليل ما هم حام حوله على وجهه إلا هو) ومثاله بأن تنتقل بالحروف إلى ما يجانسها في (قط) مثلاً التي تنوع إلى (قطب وقطف وقطع وقطل) وكلاهما تتضمن معنى القطع .

ويجانس (قط - قص) ومنها (قسم وقصل وقصف وقصر وقصا) وهي تفيد معنى القطع في جميعها .

ويجانس (قص - قض) ومنها (قض وقاض وقضم وقضب وقضع)

ويجانس (قص - كس) ومنها (كس وكسر وكسع وكسم)

ويجانس (قص - جذ) ومنها (جذ وجذب وجذف وجذم)

ويجانس (جذ - جز) ومنها (جز وجزأ وجزر وجزع وجزح وجزم) وجميعها تنافس في القطع .

وهذا كما ترى شيء يعتمد الحدس فقط ونظن بأن قانون الاشتقاق الأكبر سرى عند الحاتمي من المشجرات اللغوية التي أفردتها اللغويون بالتأليف ، ومن قارن بينها ظهر له مقدار التقارب غاية ما في الأمر أن تلك مشجرات كلية وهذه مشجرات حرفية . ومع أن قاعدة الاشتقاق الكبير بلغت عند الحاتمي كما ترى بقية قاصرة جداً ، ولم تخدم إلا خدمة بيانية فقط وكأن الحاتمي قصد إلى هذه الغاية البلاغية خاصة .

وفي هذه الطبقة ينفرد ابن الأثير بملحظ دقيق ولكن لا أدري أوقع له عفواً وهو ما يظهر أم قصد إليه قصداً بناء على تصويره أن العربي جنح إلى الوضع على هذا

الترتيب مراعيًا المشابهة بفاء الكلمة . قال ^(١) (وأما الاشتقاق الكبير فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول فتعقد عليه وعلى تراكيبه معنى واحداً يجمع تلك التراكيب وما تصرف منها وإن تباعد شيء من ذلك عنها رد بلطف الصنعة والتأويل إليها ، ولنضرب لذلك مثلاً فنقول (ان لفظة (قر) من الثلاثي لها ستة تراكيب وهي : (قرم - قرم - رمق - رقم - مقر - مرق) فهذه التراكيب الستة يجمعها معنى واحد وهو القوة والشدة) والملاحظ الذي أقول بأن ابن الأثير انفرد به على جميع باحثي الاشتقاق الكبير ، هو هذا الترتيب باعتبار القاء . مما كأنه يرمي إلى غاية نشوئية حاصلها أنا لو فرضنا مادة كذا أصلاً ، فالمادة التي يكون لها فاؤها عقيبت بها اشتقاقاً كما ترى في صنيعة (قر قرم) وإن كنا نستبعد لأنه لم يشر إليه أصلاً .

وبعد ابن الأثير لا أظن أحداً عرض للقلب بعمل مشر ، وإنما كان كل عمل الأدباء بعد ذلك نحويًا ومعجميًا فقط .

وبالجملة لم تكن هذه النظرية أكثر من وسيلة يستروحون إليها ويتعللون بها ، كما قال (محمد صديق حسن خان) في رسالته (العلم الخفاق) ولهذا السبب ظلت أبحاثهم فيها مضطربة فلم تقيم على أساس قهني ، وقولنا بأنها غير قهنية لا يطمئن على علمهم أو يقلل من قيمته ، وإنما هي السنة الفكرية الدائمة في كشف الغوامض تبدأ غامضة ولكن مع ذلك فيها عناصر الحل الأخير . وأهم النتائج التي أجتهد في أن أتوصل إليها من وراء قاعدة المقاليب .

(١) تصحيح المعاجم بتحقيق الوحدات بين مختلف المواد .

(ب) الوقوف على المئات كمحرو على الدخيل من الأصيل كما في (جبت) ^(٢)

(ح) اعتماد الجامعة المعنوية بين مواد الثلاثي كاعتمادها بين مفردات كل مادة .

(١) راجع المثل السائر ص (٢٩٤)

(٢) اظن أن كلمة (جبت) في العربية بمعنى (الصنم) غريبة عن العربية واقدر تقديرًا قد يطمأن إليه وهو أنها محرقة عن (ايجبت) اسم مصر عند اليونان ويظهر أن آلهة مصرية حملت إلى بلاد العرب في زمن البطالسة وصبت فيها ولا يبعد أن يكون وصولها إلى الجزيرة ومبادتها حدث بعد حملة البطالسة على الجزيرة التي وصلوا فيها إلى أقصى تهامة .

(٥) وهي نتيجة النتائج . أن نأخذ بالوضع الجديد على مقتضاها لنسد قص اللغة ونكفي حاجتها .

القلب أو قاعدة الدوائر

هنا نريد أن نتكلم على القلب وقواعده في نتائج بحثنا ، غير متأثرين أحداً ولا ملزمين به ، وإنما كشيء نراه الكفيل بحسب بمنجاة العربية في مستقبلها البعيد . وقد نكون على خطأ في تقدير أنه خطة للعربي القديم في الوضع ، وقد نكون على صواب والاصابة غير بعيدة عنه . وسيان لدينا أكان هذا القاتون في طبع العربي أم لا ، ما دام يسد عوزنا وفيه البلاغ ، وينزل من طبعنا منزلة ما لم يكن العربي يفيو عنه أو ينكر أمره .

نبهنا فيما سبق على أن القلب في عرفنا يستوي مع الاشتقاق الكبير في عرف أئمة اللغة . وقدما أيضاً أن الزيادة في الثلاثي تكون في محل (العين) ولم تنفرد من هذا الرأي إلا بطرده في كل ثلاثي . وتقدم بين يدي الموضوع التنبيه على أن عمل القلب خاص في محيط الثلاثي لا يتجاوزه إلى غيره مما ظنه العلامة الحاتمي وقدره تقديراً مرسلاً لا يعتمد شيئاً من المنطق ، وهو في جملة لا يجاوز كونه معادلة حساية فقط تقوم على الأرقام والاعداد .

تقدماً^(١) بشرح قاعدة القلب ، ونكتفي هنا بإيراد مثال يتضح عليه سير القلب النظامي كما نحب أن نقرره وهو (ز ف ن) فإن أقدم مواد هذا الثلاثي (زفن) لأنها الأوفق للترتيب الهجائي وينفرد عنها بمقتضى القاعدة (فنز) وهذه يتفرع عنها (نzf) وهذه لا تفرخ إلا مادة الأصل (زفن) على نظام التفرخ السابق . وعليه فلا بد من التباير حتى يستقيم الثلاثي في تفرينه . وبمقتضى التباير المعتبر يتفرع من

مادة الأصل (زنف) التي هي الأصل الثاني وينشأ عنها على نظام التفرع السابق (نزن) وهذه يتفرع عنها (فنز) ومن ثم يقف الثلاثي عن الاتجاج أبداً .
على هذا النسق ^(١) قد كان القلب عند العرب الأولين ، وقد يستبعد باديء
بدأ ولكني على غير ريب في أن تطبيق القلب بنظامه على اللغة ، سيكون كفيلاً
للاعتداد به واعتباره عند أي باحث كان . وعلى هذا نتمكن من بحث أية مادة وتعيين
المعنى الوضعي لها حقيقة ان كانت من ذوات الخصوصية في الاطلاق أو التقييد كما انه
يأخذ بيد الوضع الجديد الذي سيضطر الى الأخذ في السبيل العربي الصحيح ، دون
الترقيع البالي الذي لا يكون في رقبه بأكثر مما أعوز اليه .

(١) قدمنا أن هذه المواد الست تجمعها وحدة معنوية هي الملاحظ الوضعي الثابت وإنما
تختلف بالخصوصية فقط وسبيل تعيينها يشيئين (١) موقع المادة من الدائرة (٢) الاجتماع
الحرفي في المادة أما الاول فتعني به أن المادة يختلف معناها على اختلاف الموقع من الدائرة .
واعلم أن كل دائرة تجتمع في وحدة اخص تكون أكثر ظهوراً في المواد الثلاثة من الوحدة العامة
ثلاثي في مواده الست . فوحدة الدائرة الاولى تكون بملاحظة المعنى فيها يقوم فيه . ووحدة
الدائرة الثانية تكون بملاحظة المتلبس بالمعنى والوحدة العامة هي المعنى نفسه ببداً عن الدلائل
الحسية والمعنوية . وعليه فالمادة الاولى من الدائرة الاولى تدل على الوحدة في اوضاع صورها
الحسية . والمادة الثانية تدل عليها في ملائسات حسية والمادة الثالثة تدل عليها في ملائسات معنوية
والمادة الاولى من الدائرة الثانية تدل على وحدتها في جلاء ووضوح والمادة الثانية تدل عليها
مع افعال ظاهر والمادة الثالثة تدل عليها مع افعال مستخف . وأما الثاني . وهو الاجتماع
الحرفي في المادة فتعني به رد الثلاثي الى الثنائي على الطريقة السابقة لمعرفة المعنى الاصل ثم تحرير
معنى الحرف لتحديد المعنى المجموع ومن هذا اصبح ضرورياً ان نتكلم على تحديد معاني حروف
الجدول بما تسمح به النصوص المحفوظة

(الهزة) يدل على الجوفيسة ، وعلى ما هو وعاء للمعنى ، ويدل على الصفة نصير طبعاً .
(الباء) يدل على بلوغ المعنى في الشيء بلوغاً تاماً ، ويدل على القوام الصلب بالتفصل . (التاء)
يدل على الاضطراب في الطيبة أو الملابس للطبيعة في غير ما يكون شديداً . (الثاء) يدل على
التعلق بالشيء تعلقاً له علامته الظاهرة سواء في الحس أو المعنى . (الجيم) يدل على العظم مطلقاً .
(الحاء) يدل على التماسك البالغ وبالاخص في الخفيات ويدل على المائبة . (الخاء) يدل على المطاوعة
والانتشار ، وعلى التلاشي مطلقاً . (الدال) يدل على التصلب وعلى التغير المتوزع . (الذال)
يدل على التفرّد . (الراء) يدل على الملكة ويدل على شيوع الوصف . (الزاي) يدل على التقلع
القوي . (السين) يدل على السعة والبسطة من غير تخصيص (الشين) يدل على التفشي بغير نظام

مناقشات

وجه المناقشة في القاعدة على النحو .

(١) اعتمادها الجدول الهجائي أساساً .

(٢) دعوى أن أقدم المقاليب ما وافق ترتيب الجدول .

(٣) دعوى أن التفریح المادي يكون باعتبار العين واللام .

(٤) دعوى أن التغير لتحصيل رأس الدائرة الثانية يكون بتقديم اللام إلى

موضع العين .

(الصاد) يدل على المعالجة الشديدة (الضاد) يدل على الغلبة تحت الثقل (الطاء) يدل على الملكة في الصفة وعلى الالتواء والانتكاس (الظاء) يدل على التمكن في الغرور (العين) يدل على الخلو الباطن أو على الخلو مطلقاً (الغين) يدل على كمال المعنى في الشيء (الفاء) يدل على لازم المعنى أي على الوضع في المعنى الكائن (القاف) يدل على المفاجئة التي تحدث صوتاً (الكاف) يدل على الشيء يمتزج من الشيء في احتكام (اللام) يدل على الانطباع بالشيء بعد تكلفه (الميم) يدل على الانجماع (النون) يدل على البطون في الشيء أو على تمكن المعنى تمكناً تظهر أعراضه (الهاء) يدل على الثلاثي (الواو) يدل على الاتعمال المؤثر في الظواهر (الياء) يدل على الاتعمال المؤثر في البواطن . وبتقرير هذه القواعد للاشتقاق أصبح سبيل الوضع معبداً جداً فهو من موقع المادة في التفریح ومن هيئة اجتماع الحروف عين الخصوصية في غير تكلف جهيد ولا مناء ملحف . ومثاله (فزن) فإن من هذا الثلاثي ما هو غير محفوظ كإدتي (فز) و (فزن) فلا اردنا تعيين المعنى لكل منهما فإنا علينا إلا أن نبعث من موقعهما الدائري من وجه وعن اجتماع الحروف من وجه آخر وبعد هذا النظر والملاحظة نخرج بتحديد صحيح (فزن) يظهر منها في (فز) وهي الحقة و (النون) تدل على البطون والمعنى المؤلف (الحقة المتحركة الباطنة) وبما أن موقعها الثانية من الدائرة الأولى فتدل على الوحدة في ملابسات حسية وقد بقي مزيد يدل على الرقص وهو (الفترج) و (فزن) يظهر معناها في (فز) وهي الحركة في ميد و (الزاي) يدل على التلقح القوي وعليه فالمعنى المؤلف (الحركة المتقلعة في ميد) وبما أن موقعها الثالثة من الدائرة الثانية فتدل على الوحدة مع انفعال مستخف وعليه فدلالته الشاملة (الاضطراب المتأثر بتأثير باطني) كاضطراب ذوى الامراض العصبية ورجفان الهرم وتوقد الموتورات وهكذا . وإذا أخذنا في زيادة أخرى كالهزة مثلاً نخرج من المادة بمعنى (الاضطراب الطبيعي المتأثر بتأثير باطني) في (فزناً) كالمولود المرتجف لعلل فيزيولوجية خلفه . وبمعنى (الحقة الطبيعية التي تظهر أعراضها بتأثير باطني) في (فزناً) وهكذا .

هذه وجوه دقيقة ، والجواب عليها ليس هيناً على سبيل البسط والتحرير ولكن يمكن أن نجيب عنها بجواب اجمالي ويعتبر كافياً في الرد مع ذلك . وحاصله أن الافتراض العلمي أي المصوغ على أساليب صحيحة يعتبر مبدأ علمياً ما دام يصلح أن يكون علة لسؤال عن الشيء ولا ريب في أن هذه القاعدة صالحة لأن تكون جواباً عن كل ما يسأل عنه في اللغة .

ولأن الموضوع على شيء من الدقة كان ضرورياً أن تعرض لشرح انحاء المناقشة وبالاخص فيما يتعلق بالجدول . حينما حاولت درس هذا الخاطر وتطبيقه على كالم اللغة الشتي ، وقعت على نص أشبه ما يكون (بالتقليد) فهو اذن أثري ، وفيه ما يدعو إلى التساؤل لأنه يخالف كل ما عرف واشتهر ومضى الناس على تقريره واعتماده وهو ما أورده ابن التديم في الفهرست قال ^(١) (وإن قرأ من أهل الانبار من أباد القديمة وضعوا حروف الف ب ت ث وعنه أخذت العرب) وهو يعزو هذا الزعم إلى ابن اسحاق وأنا على اعترافي بما عند القدماء من اسطورية في التحديث عن الماضي البعيد ، لا أنكر انه أنه من خاطري المطمئن إلى الابجدية ، بحيث جعلني آخذ بامتحان القاعدة على وجه آخر ولهذا الشك وجوهه .

- (١) هذه المسحة في الابجدية التي هي أقرب إلى الاصطلاح والضبط .
- (٢) انخاذ الابجدية في حين عوضاً عن الارقام الذي ينظر إليه (حساب الجمل)
- (٣) الظن القوي في دائرة المباحث المشرقية بأن للعرب أحرف هجاء خاصة كتبوا بها لا قل ^(٢) قدماً عن الخط الميروغليقي والاشوري .

فنحن اذن منه على ما يدفع بنا إلى الشك ، فلم ندخر وسعاً في تتبع المواد وتقدير المعاني ، الأمر الذي أفضى بنا إلى اعتماد الجدول في كثير من الاطمئنان وإن كنا لم نزل على رية من انه كذلك كان بكل حروفه ولكن لا يسعنا إلا اعتماده على ما هو بدون تمييز لتصحيح الوضع في المستقبل . ولناخذ بعرض مادة غامضة أخرى

(١) راجع الفهرست ص (٧)
 (٢) كما حققه الاستاذ سايس والدكتور كلير . راجع مجلة المعارض البنددية السنة الاولى ج ١ ص ١٢١

مقدار ما فيه من صدق . (عقر) بمعنى جرح ومنه العقيرة بمعنى الصوت في قولهم (رفع فلان عقيرته) حمل اللغويين على التساؤل في حيرة ، عن السبب في تولد العقيرة بمعنى الصوت من عقر بمعنى جرح . ومن ثم ذهبوا ينتحلون له التعاليل والفروض حتى انتهت عند ابن دريد (وهو من هو في اتحال الحكاية) برواية قصة ^(١) طريفة جداً زعم أنها وقعت لرجل عثرت به رجلاه فجرحت فرفهها ووضعها على الأخرى ثم نادى بأعلى صوته فقال الناس رفع فلان عقيرته أي رجلاه المعقورة وتناصوا فيها دلالة الأصل لتدل على القصة من باب تأصيل الفرع . وعندنا أن الأصل في معنى (عقر) الصوت بدليل ظهوره في أغلب المواد من مثل (رعى) و (قرع) ونقل إلى الجرح بالملابسة في موضوع بعينه ، وأميت في عقر المعنى الأصلي وبقيت العقيرة كحلقة اتصال بين التطورين على ما أثبتته القاعدة .

هذه هي أنحاء المناقشة على القاعدة ، ولقد يرى في وجوه الدفع على اجتماعها ما لا يصحح الفرض ولكن هذا لا يعني الشك في صحة القاعدة أبداً . فإن جميعنا نذكر حديث الفروض الطبيعية الذي بها يتم التفسير الكوني . وصموت الطبيعي ووجوه الحائر أمام التجارب التي لا تزال بجمولة الناموس على أن موضوع كون هذه القاعدة على ترتيبها اعتمادها الوضع القديم في واد ، وموضوع ضرورة اعتماد الوضع الحديث لها في واد آخر . فلقد تقرربا لا يحتمل ريباً أن بين مواد التسلائي الست جامعاً معنوياً وانما وجه الخلاف في الخصوصية فقط . وما من ثلاثي يمكن فرضه إلا وضع العرب عليه . يد أنه لم يتم وضع كل مواده دائماً ، وعليه فيمكن انتزاع الجامع المعنوي منه وتعيين الخصوصية بمساعدة الثاني الذي لا تظن في أمره مناقشة . وبهذه القاعدة يترتب الوضع ويستقيم وتظهر فائدتها في الأشياء التي تتفرع أنواعها عن وحدات كالفصائل في الحيوان والنبات والجراثيم . فالمادة الأولى تخص بالدلالة على الفصيلة ، ويوضع منها للنوع الذي تكون فيه أوضح ، ويوضع لبقية الأنواع على مقدار ما فيها من مشابهة في اللزوم أو الانفكاك . وفي حال ما إذا لم يعتمد تقديرنا في أن العربي كان سائراً

بالأفعال طردها على باب (ضرب) نتمد مذهب أبي زيد الانصاري الذي اعتمده
الفيروزبادي في القاموس وهو اذا جاوزت المشاهير من الأفعال فانت بالخيار بين
الكسر والضم . وان كنت أميل الى طرد الكسر للجمع بين مختلف آراء النحويين
فان الفراء يذهب إلى أن الأصل في المضارع الكسر وعليه فأبو زيد يميزه والفراء يمينه .
صرحنا منذ سألنا ان القلب عامل هام في تزايد الثروة اللغوية حتى أشبه من
كل وجوهه التكاثر بالانقسام في النقايات . ومن هنا كان ذلك المد اللغوي الدائم في
العربية حتى لم تعرف له جذراً إلا حين وقف عمل القلب فيها . ولقد بقيت عوامل
أخرى ضعيفة في نفسها وضعيفة في إنتاجها عملت في اثلاثي عملاً محدوداً جداً وهي .
القلب اللفظي . الاعلال . الاتباع . تداخل اللغات . التخفيف بالاسكان . فعلية
المصدر . الرد الى الأصل . التضاد . الاشتراك . المزاوجة .

القلب اللفظي

هذا الذي عناء الأقدمون باسم القلب، وقد خرجوا عليه كثيراً واختلفوا في أمره
كثيراً وأغرق فريق فأنكره كابن السكيت . وهم مع هذا التعليق الطويل والأخذ
بالموضوع مأخذ الدرس الواسع لم يتحدد كما يجب فبقي غامضاً في شروطه غير متوضح
في منحاء التعليمي . وكان في أوضح بحوثه قائمة من السماع .

وقد قدمنا شيئاً عنه وعلقنا على اختلافهم ، وليس بنا من حاجة هنا للاعادة مرة
أخرى . وإنما سنقصد من أول الأمر للكلام على رأينا فيه دون ماوقوف عندما قرروه
من أمثلة وشواهد . ولكن بما أن هذه الكثرة المثالية عرفت بأنها من القلب فلتكلم
على العوامل التي سببت اليها ونظن بأن لها سببين .

- (١) اضطراب الحروف على اللسان . فلا تنطق موزونة ويدخل فيه الاختلاف
القبلي وهذا هو القلب اللفظي فقط ومن أمثله - لعمري ورعلي ، وما أطيبه وأطيبه الخ .
- (٢) الأمانة ونعني بها أن تكون مادة المقلوب حية بكل اشتقاقاتها ثم لا يعرف
متى إلا اشتقاق واحد بقي إما نسياناً أو استغناء فيلحق بالأقرب صورة ومعنى وأمثله

ما سلسال وسلاسل والحدخد والحدخد مما يمكن تمييزه بالرد إلى الأصول الثابتة التي هي المعلات وتبين المعنى فيها . إذن فهذه تنظر إلى مواد كانت كاملة الاشتقاق ثم أميتت ، ولم يبق منها إلا هذا النادر وقد بقي في العربية كثير من هذا النوع ومنه (كف) و (محارة) وهذه الأخيرة توضح شيئاً من غموض الموضوع . فإن القويين لما لم يجدوا لها فعلاً ألحقوها (بحور) . وهذا النحو من القلب ليس خاصاً بالمفرد بل يدخل الجموع ويظهر عليها بأكثر من ظهوره في المفرد . قالوا في جمع بئر آبار وفي جمع رثم آرام . إلى حد أنه يماود وجوده مرة أخرى على كل لسان فأنا كثيراً ما نغلط عين الغلط في مثله ، وهو شيء فاش في اللهجة العامية ، فكثير من المناطق السورية ينطق (أليم في لثيم) والاستدلال^(١) بعامة اليوم له وجه من الاعتبار . وضروري أن لا نغفل هنا شيئاً آخر كان له أثره وهو غلط الرواة وتحملهم بدون تمحيص . ولقد يكون من الظن القريب احتمال أن القلب نوع من الاتباع (فحسن بسن) اتباع بالابدل (مسبب وبسبب) اتباع بالقلب .

وبالجملة فليس في القلب اللفظي ما نستفيد منه في الوضع المستقبل أية فائدة بل على العكس هو مسبب للاشتباه والمغلطة وإذا قصدنا الاستفادة بشيء منه ففي الجمع قط إذا سمينا به فإن الجمع العلمي يرفع اليبس .

الاعلال

حديث الاعلال في العربية منسج عريض ، فكان ظاهرة قوية الوضع وعلى نحو بارز في الأفعال والمصادر والموازين والجموع ، والاعلال عندنا مظهر من مظاهر الاعتماد اللغوي والبلوغ الفني ، وهذه نتيجة ضرورية للعمل النظامي الذي نشاهد أثره في شتى

(١) راجع المبهج لابن جني فقد احتج بعامة بغداد في عهده لمير مامرة . والامر العجيب أن بعض النواحي في لبنان لا ينطق أهل المهور الا مقلوباً مما لا يبعد عنه التقدير بأن المهور المقلوب من لهجات القبائل التي ربما يرجع إليها القوم الحاليون على طريقة المرحوم حفي ناصف

الألفاظ المملة . ولقد تدهش حقاً للتحويلات التي لانشذ ولا تختلف وإنما تتبع سنة واحدة فيها من القوة ما يجعلها ذات أهمية .

ومن ثم كان حديث الاعلال طريفاً أيضاً من حيث كونه حيلة لغوية لبقية ابتدأها العربي للمرة الأولى في الصميم من اللغة اداة لتصحيح^(١) ولتمكين اللفظي واختفاء لمواطن الضعف في الكلمة . وفي العرض والتحليل غنية وكفاء . فاذا أخذنا مثلاً قانون (اعلال^(٢) الاتباع) الذي هو ملاحظة الحركة قبل النقل وتأثير هذه الملاحظة فيما بعد النقل ، وقف على مقدار الملاحظة الفنية العميقة ، وان تمكن على تكلف فلا تنفي انها فنية جداً وعمل موزون وانه سبق بارتقاآت لغوية سامية أدت اليه . وأظن أحداً لا يخالف أبداً في براعة قواعد ادخال الواو على الياء والعكس وعمل التعويض في (اصطناع^(٣)) وقواعد الابدال في أحرف اللين إلى غير ذلك .

فالاعلال تصرف يأخذ طريقة ارتقائية محفوظة النسب لا تختلف إلا على ملاحظات معتبرة ، مما لا يدع شكاً عند الباحث بأنه نتيجة لمبالغات عالية في البناء والاسلوب ، وأفكار ناضجة في اللغة وفيه وحده مقنع للدارس اللغوي بما تناول اللغة من جهود وما استقر فيها من افكار تسامت بها .

ولا يحك في صدر أي باحث حوك من ظن أن قواعد الاعلال اصطناع النحاة واللغويين ونتيجة لتقدير اتهم الشخصية المحضة . لان الاعلال حقيقة راهنة في صميم اللغة سواء كان متخذاً اسلوب النحاة ولون تعبيرهم أم لا . ومن ثم ينبغي أن لا يتجاوز شكنا هذا اللون من التعبير فقط الذي اصطنعه النحاة ولم يشرحه على وجهه وأما هو في نفسه وحقيقته وفيما يكشف عنه من تسام صريح فمالا فيه ولا شك . وان مجرد ان يكون (قال) مثلاً أصله (قول) واعتبار هذا الاعلال في كل الاشتقاق الفرعي عنه يحملنا على الدهشة المزدوجة بتقدير العقلية اللغوية التي صدرت عنها هذه التفعلات

(١) نعتي بالتصحيح هنا التمكين اللفظي وليس المعنى الصرفي فانه معه على طرفي سلب وإيجاب .

(٢) راجع شرح الجواليقي على أدب الكاتب لابن قتيبة .

(٣) راجع التصريف الملوكي لابن جني .

واذن فالاعلال في غايته يراد للتصحيح ، وهو وسيلة لبقه جداً وسامية . وان كنت اعجب من شيء فاكثراً ما اعجب له . الشك في رقي عقلية العرب من هذه الناحية . وهذا لا يمنعنا من الدعوة الى اعادة النظر في قواعد الاعلال التي اقرها النحاة في اسلوب قد لا يجد شواهد عليه لا لعدم صدقها ولكن لانها انبتت على لف ودوران كثير . فاذا أخذت مثلاً (اعلال الأتباع) رأيت فيه ظاهرة من هذا الفن ليست بأقل مما تجده في وجه اعلال مطايا وقضايا ويسد وسواها مما هو كثير . بينما كان يمكننا أن نقرر قواعده في بساطة متناهية وصدق أيضاً فقد ظهر أن الاعلال وجه من الاتباع بالمثل أو بالاشباع ، وهو رأي أقرب ما يكون الى الصواب ، فان الاتباع قانون واسع العمل في العربية جداً يدخل في الأعراب والموازن والقلب والابدال ، ولا عجب فان اللغة التي تعطي من جانبها ميلاً شديداً للجرس والنغم وتبني الكلمة والاسلوب بناء موسيقياً تترك لسلسلة الاتباع أثراً هاماً ، وقد يخرج هذا عن حد التقدير الى الاعتقاد حينما تقف على الانحاء التي وضع أثره عليها في بحث الاتباع .

وهذا لا يعني الآن كثيراً وسيأتي بسطه في محله . وانما اريد أن اقول في جملة الموضوع بان ما عرفناه من قواعد الاعلال وما اكثر به الصرفيون لم تعد اليه حاجة أبداً . وأما ما يفيدنا منه في الوضع الجديد فقد يكون غير يسير اذا أبقينا على التصحيح مع موجب الاعلال للدلالات بعينها . بعد تعيين مفاد الاعلال والتصحيح على الاطراد . فالاعلال يفيد المعنى الطبيعي كما في (طال) فانه يفيد الطول بنحو طبيعي و(ماد) يفيد التحرك كذلك . والتصحيح مع موجب الاعلال ، يفيد المعنى بتكلف او باضطراب (يفيد) يفيد التحرك باضطراب او بتموج و (طول) يفيد التكلف في الطول .

الاتباع

لست اعلم قانوناً كان اكثر عملاً في اللغة من قانون الاتباع ، حتى كان في آخرته طابعا لغوياً فظهر أثره ^(١) في الاصول والزوائد والكلمات والادوات والاشتقاق .

(١) ولا أدل على ذلك مما ذكره الزحمر في الكشف عند تفسير قوله تعالى (فاعبد ربك مخلصاً له الدين) قال وفري بضم الهمزة اتباعاً لحركة الباء

وهو يفسر غوامض اللغة تفسيراً بسيطاً جداً غير متكلف شيئاً من الفلسفة التي طالما أكثر من احتمالها اللغويون الذين ارتضعوها وانطبعوا على أسلوبها . وقد ادى النحاة فهموه ووقفوا على طرف من عمله ، وبدأ يتوضح لهم شيئاً بعد شيء . كما غمض عليهم أحياناً فلم يفهموه في الاعلال والقلب المقتضي والادغام ، بينما نجد تفسيراً معقولاً لكل هذه الأشياء التي اعتبرها الاولون قوانين تعمل بنفسها غير متأثرة .

ولقد يهمننا أن نفهم الاعلال على هذا الوجه ، لأنه عدا عن كونه يقرب العمل الصرفي ويحتزله يوقفنا على تأثير ما للنغم والتناسب من عمل في اللغة ويجعلنا نفسر الاعلال تفسيراً لا يتفاوت في النظائر ولا يستبعد مع طبيعة اللغة . فان القواعد الصرفية المقررة للاعلال قد لا تستقيم كثيراً بهذه (يمد) واصلاً (يوعد) وجهوها بان الواو لما وقعت بين عدوتيهما الياء والكسرة حذفت ولكنه لا يتجه في (نمد) و (تمد) وهكذا يداننا نجد توجيهه من باب الاتباع يستقيم في كل النظائر والشواهد لان الاتباع خفة وذلاقة . ونسوق هنا امثلة نأخذ عليها بمقارنة عجلى ياناً لمدى الدقة في تخرج الاعلال من باب الاتباع بدون ما اعتماد لشيء آخر .

قالوا أن الاصل في (مطايا) جمع مطية (مطايو) قلبت الواو ياء لتطرفها بعد الكسرة ثم قلبت الاولى همزة كما في صحائف ثم ابدلت الكسرة فتحة ثم الياء . قائم الهمزة ياء فصار (مطايا) بعد خمسة أعمال . ونحن نقول بان تقدير الاعلال على هذه الشاكلة عدا عن ان فيه محذور اجتماع اعلايين في قلب الياء همزة ثم قلبها ياء ، يبعد وقوعه على هذا المقدار من المبالغة ووضح منه واقرب حتى لا يظن سواء في طبع العرب ، نخرجها من باب الاتباع وبيانه أن كسرة الياء في (مطايو) ابدلت فتحة بجائسة أو اتباعاً للألف قبلها ثم قلبت الواو الفاء اتباعاً لحركة الياء . بدون تهويل ولا مظالمة ولا عبث مرهق طويل . وهم يقولون في اعلال (مدار) ان اصلها (مذور) قلبت حركة الواو الى الساكن قبلها ثم قلبت الواو الفاء لتحركها بحسب الاصل وافتتاح ما قبلها بحسب الآن . وعندنا ان الواو وقلب الفاء اتباعاً لحركة الميم ، لما أن الساكن حاجز غير حصين وشاهده قنوا ان اتبعوا الحرف بالحركة مع وجود الساكن فقالوا قنيان كما سبق . وعرفت الوجه عندهم لاعلال (نمد) وعندنا أن الواو قلبت ياء اتباعاً للكسرة ،

ولأخذ العربية باللفظية أخذاً عنيماً حذفت . ويظهر أن العربي أخذ المثال في كل امثله بالحذف في المضارع خفة ، وأن مجيئه في كل الباب كذلك دليل على ثبوت التطور في اللغة وعلى أن الاعلال اتباع قطع .

ولتشرح الاتباع في شيء من البسط لهذه الاهمية التي له في تشكيل اللغة ، قلنا في بحث الاعلال أن الاتباع شمل انحاء من اللغة ويجدر بنا هنا تعدادها وهي .

- (١) اتباع بالابدال : كحسن بسن .
- (٢) اتباع بالقلب : كسبب وبسبب .
- (٣) اتباع بالحركة : كما في زئبر ومنخر وسجدات وتنضب في تنضب .
- (٤) اتباع بالاعراب : كما في يا أيها الناس وكما في الجر بالمجاورة .
- (٥) اتباع بالاعلال : وهو على وجهين اعلال بالمثل كما في (كي) واعلال بالاشباع كما في (مدار) .
- (٦) اتباع بالادغام : كما في عَصَ وَمَصَ وقد تمسكن هذا الاتباع في منطلق العرب حتى أجروه على الحروف المتقاربة .
- (٧) اتباع بالمزاوجة : كما في (ليرجن مأزورات غير مأجورات)
- (٨) اتباع بالتحريف أو التصحيف : كما في قول العباس (هو لشارب حل وبل)

وانما يعنينا هنا من كل أنواع الاتباع ما كان بالقلب وهو الذي اشتهر عند قدامى رجال اللغة بالاتباع على الاطلاق . وهم قد شرطوه بشروط آتى عليها اللغويون في كتب الدراسات كالزهر والبلغة في أصول اللغة . ونحن لا نرى منها إلا شرطاً واحداً فقط ولنا لا نذكر غيره ، قال السيوطي في المزهري^(١) (ولا يكون مثل قول العباس في زمرم هي لشارب حل وبل من الاتباع لوجود العاطف) فكأن شرط الاتباع بالقلب عدم العاطف لما انه يفيد الغيرية كما هو مقرر عندهم . وانما اعتمدناه لما انه يساعدنا في الاستفادة منه كعامل في التكثير اللغوي .

(١) راجع المزهري ج ١ ص (٢٤٥) .

ورأيي في الاتباع بالقلب انه لا يكون إلا في حروف المعاقبة والإبدال السماعي .
والذي الفت نظري إلى هذا تعبير وقع للامام ابن الجوزي في كتابه^(١) المدهش قال
(وقد يريدون تكرير الكلمة ويكرهون اعادة اللفظ فيغيرون بعض الحروف وذلك
يسمى الاتباع فيقولون اسوان اتوان وشيء تافه نافه وعفريت نفريت) الخ . قلت
تعبيره بقوله يكرهون اعادة اللفظ فيغيرون . يفيد أن التغير جار على أصول ثابتة
وليس متروكاً للعفو مما يعين انه جار في حروف الابدال أو المعاقبة أي الحروف التي
تناوب وتفيد عين الافادة .

هذا شيء نحن نستتجه لأفئنا ، ولا ندري بعد إذا كان ابن الجوزي يقصد
هذا القصد أم لا ، ولكن على أي حال كذلك رأينا وفيه تعليل صحيح للاتباع بالقلب
ولا يجعله على قوضى في لسان العرب . وإذا صح هذا نستطيع أن نرتب حروف
المعاقبة والإبدال في جدول منظم متسق وهو يفيدنا جداً في سير الاشتقاق الجديد
كما سيأتي في بحث الابدال وأظن بأن هذا التفسير للاتباع بالقلب يقرب من الواقع
إلى حد أن يكونه . وأما تصور انه كان متروكاً للعفو أو للخاطر فانتزاع له خبيث .
وكان العرب يقصدون بالابدال على هذا الوجه من المزاوجة والروي تأكيد المعنى
وتحويل مقامه وربما فسره قول العربي لمن سأله عنه (هو شيء تد به كلامنا) . وهو
من جهة عمله يدخل في الكلمة والقصة - الصفة - ولكن الأمر الذي يدعو إلى
التساؤل عدم استعمال القرآن لشيء منه على شتى ألوان التعبير فيه . وفي الحق انه
تساؤل له أهمية . ومما لا يبعد احتمالاه^(٢) أن يكون الاتباع خاصاً بالكلام المرتجل .

(١) راجع المدهش لابن الجوزي ص (٢٥)

(٢) بسطنا الكلام في فصل (ثل القرآن) من مقدمة التفسير وذكرنا هناك وجهها
آخر لتعليل عدم وجود الاتباع بالقلب في القرآن ولا في الشعر . فبيناه على ما ذكره سبئر في
عرض كلامه على الرقي من أن اللغة التي تحكم بالنغم تكون على طفولة فلا بدع أن يكون الاتباع
الذي فيه قسط كبير بل أكبر قسط من الاعتماد على النغم والجرس ان يكون ظاهرة من الطفولة
وعلى كل فالامر الواقع أن القرآن لم يستعمل الاتباع في لون أبدأ من البيان وأن القرآن أهمي أثر
أدبي تمحضت عنه اللغة فلا بدع أن يكون لشيء مما ذكرناه أو لشيء آخر لم يتضح لنا .

والذي نستطيع أن نستفيدة منه في الاشتقاق الجديد ضئيل جداً في الكلمة وأما في القصة فيكثر إلى حد أن لا يختلف عما كان في العربية الأولى ، وأرى أن يوضع منه كل ما لا يتأدى باللفظ الواحد كما قالوا (السكان مان) .

وبالجملة فالاتباع لا يختص بموضع من الكلمة فيكون في الفاء والميم واللام على حسب الانساق وانتظام الروي ويكون واحداً وأكثر .

المزاوجة

ذكرنا أن المزاوجة نحو من الاتباع ، وهي لا تكون إلا في القصة . ومن ثم يظهر أن عملها في الاشتقاق ضعيف أو لا عمل لها أبداً وإنما قصدت ذلاقة في الأسلوب ومسايرة للانساق اللفظي .

والمزاوجة لا تختص بوجه من الوجوه التي يقع فيها الكلام ، بل تكون في المفرد كما تكون في الجمع وتكون في الأداة كما تكون في الكلمة . قالوا (رأيت الوليد بن اليزيد مباركا) وقالوا (ليرجن مأزورات غير مأجورات) إلى كثير تجده في كتاب (ليس في كلام العرب) وكتاب (الاتباع والمزاوجة لابن فارس) وكتاب (سر الفصاحة لابن سنان الحفاجي) .

وإذا أخذنا بتحليل قول النبي (ليرجن مأزورات) وقوله (خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة) استطعنا أن ندرك سر المزاوجة . فإن (مأزورات ^(١)) وأصلها (موزورات) وهي من المثل الذي سبق أن قررنا في شأنه أنه يصحح بالهمز ، تدلنا على أن المزاوجة إنما تجري في الحروف المتقاربة والمتقلبة . والمزاوجة لأنها تختص بالقصة فليست تفيد في العمل الاشتقائي أبداً . وإنما فرضها التناسب بين مفردات الجملة الواحدة . على أنه يمكننا أن نستفيد من المزاوجة في الوضع الجديد بما يخص المشتقات فقط ، وأما في المواد فيمنع أمنا لبس . ودعوتنا إلى الاشتقاق عليها ليس لأنها ثابتة العمل على

(١) وكذلك (مأمورة) فلها ترجع إلى (مومورة) أي كثيرة النتائج .

الاطلاق بل لأنها من العوامل التي قد يستفاد منها ولو على قلة . وتكون لافادة معناها مع التأثير بما زاوجها .

التخفيف بالاسكان

هذا العامل قدره اللغويون الأولون في كلم كثيرة من اللغة ، حتى من كثرته عدوه قياسيا فيما كان حلقى الثاني ، وأوردوا عليه أمثلة كثيرة جداً . والذي يلحق اليه كلامهم انه مرادف للمتحرك ويظهر انه تطور من المتحرك ، ونظن زمن تولده في الدور الثاني من العهد اللغوي ، ومع الاعتقاد بأنه تطور نرى بأنه يراد للتنويع ولكن عدم حفظ الخصوصية صيره مرادفاً . فمن الضروري أن نستفيد منه نحن اليوم . وتحرى ما وقع فيه التخفيف بالاسكان وتتبع دلالاته بدقة ومقارنة . ولا بد اننا خارجون بعد هذه المقارنة بفارق قد نستفيد منه فائدة لها قيمتها في الوضع الجديد .

وعندي ان التخفيف يفيد أو يخص لافادة الملكية وزيادة التمكن في الوصف فاذا حاولنا تحديد (ثَبَّتْ وَثَبَّتْ) كان لنا منها الدلالة في الأول على المثبت وفي الثاني على ذي الملكية . على انه وان كان قد ترك في العريه ثروة لا بأس بها . فلما نستفيد منه اليوم في وضعنا الجديد إلا فائدة نذرة جداً ليست بذات بال كما يقولون .

فعلية المصدر

هذا بحث جديد الموضوع وجديد التفسير . كان الغرض منه درس أشكال من اللغة فيها غموض ليس بالقليل . واذا صح وجه الشرح الذي نأخذه به فلا ريب في أن العربي كان صاحب حيلة لغوية ولباقة بارعة .

حفظ عن العرب قولهم (تَمَنَّدَلْ) و (تَمَذَّرَعْ) و (تَمَسَّكَنْ) إلى الفاظ عدها ابن خالويه في كتاب (ليس في كلام العرب) ويظهر من قوله (ليس في كلامهم تفعل الرجل انما هو تفعل إلا تمنفراخ) انه وزان غير مقصود ، كما نلحس في عبارته

حيرة واضحة في وجه تحليله ، وكذلك إذا وقفت على ما عند ابن جني في كتابه المبهج حيث قال ^(١) (وتبحسوا زيادة الميم في الفعل وإنما هي من خواص الاسم ومثله تنطق من المنطقة) . وعندي أن الأمر على عكس ما قال ابن جني تماماً وذلك لأن العربي بعد أن اشتق المصدر الميمي ليؤدي به معنى مخصوصاً وتأدية بعينها ، عاد فتوسع عليه توسعاً ظهر غريباً جداً فنقله إلى الفعلية بزيادة التاء . ولكن بقي سؤال يحتاج إلى تفسير حتى يتسق ما نجيء به وهو لماذا كانت الزيادة بالتاء دون غيرها ؟ وما المعنى المقصود من هذا الوزن ؟ والجواب الذي يتبادر عندي أنه يراد لغاية هي الدلالة على التشكل بالمصدر وهذا آت من حرف (التاء) الذي أصله (تاو) بمعنى (علامة) وإذا لاحظنا هذا المعنى في التاء وأضفناه إلى المصدر الذي هو (منطلق) مثلاً ، كان المقصود منه (التنطق الذي صار علامة للفاعل) . ويدل على هذا أن التاء تدخل على الوزن بدون ما تغير فيه كما في (فَعَلَ) مثل (حَجَّرَ) تقول منه (تَفَعَّلَ) ومثاله (تَحَجَّرَ) ومعناه الذي صار الاستحجار علامة له ، ونفهم في هذين الوزائين قصوراً على الفاعل وهو ناشيء من كونه علامة . واعتبر هذا ملحظاً دقيقاً جداً ولا أظن خلافاً له أو عليه لأن هذه الظاهرة وهي عدم تغير ما تدخل عليه التاء لا تفسر إلا على هذا الوجه .

ولا يبعد احتمال أن العربي خرج بالمصدر الميمي إلى الفعلية ابتداء بدون زيادة التاء فقال (مفعَلٌ يَفْعَلُ) ولكن هذا وإن كان يستقيم في بادي الاحتمال يحتاج إلى أمثلة عليه من صميم اللغة تثبتة ولقد سقطت على ما يمكن أن نكتفي به الآن عند ابن جني في المبهج (قالوا ^(٢) مَرَحَبَكَ اللهُ ومسهلك) . ودون هذا وذاك فهو يفسر ناحية غامضة من اللغة أو في طبع العرب اللغوي أحسن تفسير ويوقفنا في غير مشقة على نشوء الفعل من المصدر ، وهو وإن يكن مزيداً فإنه يدلنا على مكان هذا الطبع من العربي بحيث كان يصدر عنه حتى في الثلاثي أيضاً .

الرد الى الاصل

هم اعني الصرفيين يعللون مثل (غَطَّى وَتَغَطَّى) بأنه تفعل من (مَطَّ وَغَنَّ) ولكن كرهوا التكرار ، فاصطنعوه هذا للصنيع تشبيهاً له (بِفَعَّالٍ) على ما ذكره ابن خالويه والاعلم الشنمري في شرح ديوان طرفة . ونحن أولاً لا نسلم لهم نوحهم أن تغطى (تفعل) من ظن بل من ظنى وعدم وجود المفعول ليس دليلاً على العدم ، لاحتمال الامانة وهذا كثير كما تقدم لك في كهف ومحر . وعلى مجازاة الجماعة في التقدير المذكور فخرج من باب الرد الى الأصل لأن أصل الثنائي المضعف ، ثنائي مفعول كما سبق . فاذا زادوه زيادة تفضي به إلى الاستكراه اللفظي ردوه إلى الأصل أحياناً بدليل وجود كثرة من (تفعل) لثنائي على وجهه كما في تمخدد وتمجدد وسواء كان الصحيح فيه هذا الوجه من التخرج أم غيره . فوجه الاستفادة منه اليوم بجعله (تفعللاً) من الثنائي المضعف ويراد للدلالة بعينها غير دلالة لو كان على وجهه ، وضروري هنا أن نعرض لتحديد كلا الدالتين .

فدلالة التفعّل على وجهه من المضعف الثنائي ، التصنع .

ودلالة التفعّل في صورة الرد إلى الأصل ، على المفاجأة .

وعليه (فَتَغَنَّ) يدل على تصنع الغنة دائماً . و (تَغَطَّى) يدل على المفاجأة بالغنة . وهذا قد يكون تخصيصاً محضاً أو اعتبارياً ولكنه لا يبعد أبداً عن الملاحظ الوضعي والاستعمالي في طبع العرب . ويصح أيضاً أن تلغى هذه الملاحظة من الاعتبار الوضعي في غير العلوم بحيث لا يكون الملاحظ الوضعي فيها إلا التحكم والتخصيص ، كما لو أخذنا مادة (ش ط ط) التي جاء منها بمعنى جار وقالوا منها بهذا المعنى (تشطط) وقالوا منها (الشط) بمعنى سيف البحر فيمكننا أن نقول منها على هذا المعنى (تشطى) أي سار على الشط .

الضد

ظاهرة غامضة تلك التي تسمى في العربية بالضد ، ومع كثرة البحوث عليها في

أقدم ما يكون قدامة وفي أحدث ما يكون حداثة ، لم تزل غامضة ولا استثنى ظنوني أيضاً وإن كنت أطمئن إليها نوعاً ما وعلى مقدار . وهي لا تزال تنتظر إلى قصد في تفكير الغربي تناوشه الرغام ، ولم يبق منه إلا ما لا يكاد يبين في مواضع الألفاظ رغم الجهود المنشورة في هاتيك البحوث الشتى . ولعل أقرب الباحثين قصداً في التقدير ابن حبيب البصري حين ذهب مذهباً فذاً ولكنه قريب من المعقول أيضاً ، وكانت نتيجة البحوث التي عرض بها للاضداد ونشرها أو انتشر بها على اللغة ، أن الضد وجوده ليس بالقصد إليه وإنما كان من عموم المفهوم اتفاقاً فهو من لواحق الماصدق . وانظر كيف يخرج مثلاً (وراء وجلل وسواهما) التي ذكروا أنها ضد قال (وراء) حرف موضوع بمعنى التواري وهو حاصل في الأمام والخلف . و (جلل) حرف موضوع للغاية في الشيء . فيوصف به العظيم والحقير ، ثم قام مقام الموصوف فكان ضداً الخ . وكل ما يهول به من هذا لا يخرج عن أن يكون اجتهداً صرفاً لاشاهد عليه من اللغة يثبت له هذا الانفصال .

وأما نحن فترى في وضعه رأياً آخر يجعل كل تقدير يرمي إلى عدم قصده بالوضع خطأ محضاً . وذلك لأننا رأينا كيف كان العربي يستخدم الملاحن في أغراض حازبة وظروف مرغمة مخرجة ، على ما عرض علينا القالي من أمثالها وشيخه ابن دريد من قبله في كتاب (الملاحن) . وتجاوز ابن دريد حد العرض إلى نوع من الاستفادة بها لا يبعد أن يكون كذلك عند العربي ولهذا الغاية . قال في سبب التأليف (إنه وضعه لأجل المضطر والملجأ إلى الشهادة أو اليمين) أي وضعه حيلة قضائية عن طريق اللغة وإذا صح هذا فقد كان العربي يقصد إلى الوضع على هذا النحو من الغرض لينسج له تحقيق أغراضه حين الملحة ، والابانة عن أفكاره حينما تحوم من حوله الاذن . وإذا كانت الاضداد حيلة لغوية تفسر على هذا الوجه فيتحم علينا جداً أن نقرئ في درسها لأنها قد توقفتنا على نحو من (الشيفرة) عند العرب إذا قبلت هذه التسمية ، وسواء صح هذا الرأي في منشأ الاضداد أولاً ، فإن من الخطأ نحوياً النظر إلى الضد كظاهرة وحده بل ضروري أن يجعل وجهاً من الاشتراك الفظلي . وعليه فيقسم الاشتراك إلى قسمين .

(١) (ملاحن) كمين وحاج .

(٢) (اضداد) كبعد ووراء .

وللاحظ هنا أن الملاحن اللغوية ، غير الملاحن الأدبية لأن الأولى مرتجىها الى تعدد الوضع فيها والثانية مرتجىها الى لباقة الاستعمال وتصنع الكناية ولوفي الموضوع وضعاً واحداً كما في قصة الأسير في بكر بن وائل . وإنما نبهنا على هذا لأن ابن دريد اتسع في كتابه للتوعين بدون تنبيه ولا تفرقة .

على أنه يبدو لنا وجه آخر يمكن أن ينزل منزلة الاعتبار أيضاً في هذا الذي يسمونه بالضد وهو الاستعمال^(١) الخطأ وغلبته

وبالاجمال فالاشتراك الذي الضد نوع منه ، ظاهرة من ضعف اللغة وطفوليتها مهما التمس لتفسيره ومهما استخدم في شرحه وتعليقه . وأما من حيث ما يلزمنا منه اليوم في العمل اللغوي فإنه لا يلزمنا في شيء بل على العكس يضربه ضرراً بليغاً ويغلبه بكثير من القلق وعدم الاستقرار .

الترادف

يتخذ بعض من دارسي العربية اليوم ، الترادف علامة على قلق اللغة . وبعض آخر يتخذ أثراً من الاختلاف القبلي أو ما يشبه الرواسب المتبقية من جراء امتدادات طويلة . والحقيقة وإن كان في المذهب الأخير شيء من القوة والصدق ليس هو كل الحق .

(١) ورعاً وجدنا الشاهد عليه في العربية الشائعة اليوم فإن الاستعمال المشهور جرى هل احلال البرهة في محل الفترة القليلة من الزمن وكان الوضع العربي القديم ارادها لمعنى مكسي تماماً ولكن من يفهم استعمالها اليوم على حسب الوضع ومن يستعملها على مقتضاه وأذكر قصة وقعت لصاحب لي كان يدارسني القاموس فينبأ كان يسرد مقدمته اجفل على معنى الدهشة لكون صاحب القاموس وهو من هو يستعمل لفظ البرهة في غير ما وضعت له حين قال (كنت برهة من الدهر اتبس كتاباً جامعاً بسيطاً ومصنفاً على الفصح والشوارد محيطة) ولكنه دهش ثانية حينما نبته الى أن هذا صواب استعمالها والشائع هو الخطأ .

وأما الرأي الأول فليس إلا منكرًا من القول وزورًا لا ريب في ذلك ولا شك، ولقد يكون صحيحًا لو لم يكن من مواد لا تزال دارجة في اللغة ولها حياة قوية. فان من المعقول أن وجود مواد الاشتقاق بخصائصها المعنوية التي تعين ملحظ الاشتقاق في المترادف دليل على قصده بالوضع، فأين منه القلق المزعوم.

كما أن تعليله بالاختلاف القبلي ليس مقبولاً على إطلاقه، لأن من المعقول أيضاً أن الاختلاف بينها لن يبلغ هذا المبلغ الكبير إلى حد أن يكون المترادف في رقم الاربماية أحياناً وفي رقم المائتين كثيراً وهكذا مما ذكره حمزة الاصمباني. حتى قال ابو منصور الثعالبي (كثرت أسماء الدواهي من الدواهي) .

والحقيقة فيه انه عنوان على فراغ الأمة إلا من القول من وجه وعلى مرونة اللغة من وجه آخر، وبما انه أصبح صفة ظاهرة من العربية إلى حد التفرد وليس هذا فقط بل أصبح الأديب العربي يضيق جداً اذا لم تكن له فسحة من الالفاظ الشتى التي تتلاقى على معنى واحد، وجب على الواضع الحديث أن لا يهمل هذه الناحية أبداً وفي اللغة كفاء وغناء. ولكن ضعف الطبع اللغوي في اللغويين جعلهم يتمنون على اللغة الأمانى، يتمنون أن لو كان لهم بهذه الكثرة من المترادف غنى يتناول ما في العلم وما يجيش به النفس، ولكنها أمنية لو علموا تنالهم أنفسهم دون اللغة. فان في هذا المترادف الذي سخرؤا منه جوابها على الإجيال. هذا غناي إلى حد التزيد وهذا ضعفكم حتى عن الاستفادة بالاعلام المثورة في متعرف السبل.

تداخل اللغات

لا أدري مقدار تأثير هذا العامل في اللغة على وجه التحديد، وان كنت لا أرتاب فيه كذبي أثر في توليد عدد من المواد والمشتقات، وكما أظن بأن من الخطأ الشك في تأثيره وعمله، كذلك أظن بأن من الخطأ المبالغة في عمله إلى الحد الذي يصطنعه دارسو اللغة اليوم. لأننا على شبه اليقين أو اليقين كله في أن اللغة خضعت لقوانين عامة ومواد عامة، وكان أكبر الاختلاف يرجع الى اللهجة فقط، وأما هذه الانفرادات

القبليّة التي يرويها اللغويون فهي بقايا من متارك التطور عند التحقيق . كما رأينا في اسم الفاعل (من حديث التطور) ولكن هنا نذكر رأياً غريباً في اسم الفاعل نص عليه الفيومي قال ^(١) (وذهب آخرون إلى أن ورود فاعل من المضموم في الأصل من لغة أخرى فيكون من تداخل اللغات)

يمكننا أن نرى في دعوى هذا الأخير مقدار المجازفة ، قلت دعوى التداخل لا تتم إلا بثبت هو أشد ما يكون افتقاراً إليه . ونخرج من جملة خلاف الجماعة بأن الشواهد المنصوبة من اللغة تثبت كل هذا الاختلاف . فهي تشهد للمنع كما تشهد للصحة وتقرر القضية بين السلب والإيجاب مما نفهم بأن المسألة تعليلاً آخر غير ما يقدرون هو ما سبق لنا الاجتهاد بتقريره ، سنة عامة في اللغة فهي أثريات مضبوطة أو تنويحات لم تنعم والشاهد في هذا أن كثيراً من اللغويين كانوا يلجئون إلى دعوى التداخل كما ضاقت بهم وجوه الحيلة في تعليل ما يقعون عليه من شذوذ . واليك شاهداً آخر ، تنهم منه أن لا معنى لهذا الاتساع في فهم التداخل والاختلاف القبلي . وهو ما أورده ^(٢) صاحب المصباح ، أفعالاً عن مجي . فاعل لا فعل كاعمل البلد فهو ما حل ثم قل عن ابن القطاع زعم أنها من تداخل اللغات . وهو خطأ من جملة ما هو من باب هذا التقدير ، وذلك لأنه بقي بين أيدينا ما يبين لنا نحواً من التلبس اللغوي وتداخل الأوضاع بنسبان الخصوصية أو بتقاربها قالوا (أحب الرجل ومفعوله محبوب وحَبَّ وفاعله مُحَبَّب) واستغنوا بهذه المداخلة غير المقصودة عن حَابَّ ومُحَبَّب لتقارب الخصوصية بين المزيد والاصل ، ويؤيد هذا مجي . اسم الفاعل من هذه الرباعيات على وجهه كما في أورس فهو وأرس ومورس وإن نصوا على قلته أي مورس وكونه قليلاً يقوي لنا وجه الاستدلال به . لأن قلته عنوان على الأخذ باماته بحكم الاستغناء عنه . وبالجملة فالتوسع بفهم الاختلاف القبلي والتداخل إلى هذا الحد خطأ محض . وقدامى اللغويين لم ينفعلوا عمل هذا الضرب بل زعموه في الاعراب

(١) راجع المصباح المنير ج ٢ ص ١٠٦٦

(٢) راجع المصباح ج ٢ ص ١٠٧٠

واللغة على السواء ، وساقوا من أمثله في اللغة (هلك يهلك) وأمثلة سواها ذكرها ابن خالويه والميداني ، وليس بنا حاجة إلى ذكرها هنا ونكتفي بمثل نبني عليه رأينا في الكيفية التي تمكنتا من الاستفادة في العمل اللغوي الجديدة .

قالوا على ما ظن النحاة بأن هلك كانت تنطق في قبائل من باب (ضرب) وفي قبائل من باب (طرب) فدخلوا بين اللغتين . وهذا ظن قد يكون صحيحاً وسواء أصدق أم لا فإن سبيل الاستفادة منه على وجه أن ندخل بين البابين لأفادة أخرى فباب ضرب هو الأصل وباب طرب يدل على المفاجأة فتدخل بينهما لأفادة الشيء بمجيء تارة مفاجئاً وتارة على الطبيعة فإذا حللنا عليه (هلك) مثلاً دلّت من باب ضرب على الهلاك الطبيعي ومن باب طرب على الهلاك العجائبي وفي التداخل على الهلاك مما لا ينتظر كالموت من الجرح البسيط بالنسم . ويسمى هذا العامل بعد تقريره على هذا الوجه (بتداخل الاوضاع) .

الرابع

لن يكون حديثنا عن الرابعي أقل مفاجأة من كل ما رأيت أو سمعت في منشأ الثلاثي وأدواره التي يحش فيها على ما تقادى بنا التقدير هناك ، ولكن شيئاً سيميز به هذا الحديث ، وهو أن له مساحة الحق من كل وجوهه ومعناه أيضاً . فهو حق يمكنك أن تطمئن إليه في غير تردد ولا ضعف منه ، ويمكنك أن تعتمد عليه في درس كل ما تحتفظ به المعاجم من الكلمات على الرابعي في غير وجل من تأنيبه وأي وجل في التحويل على ما يفسر العربية من هذه الناحية تفسيراً صحيحاً وتصديق عليه صدقاً مطلقاً . وهو وإن يكن تقديرأ يري العربي على بلوغ لغوي حيث يعتمد ارتقاآت نظامية جداً وقواعد فيها من العقلية شيء غير يسير ، وهذا قد يستبعد مع ما كان عليه العرب من فطرة مطلقة ، فإنه الحق الذي لا سبيل إلى سواه . ونحن مهما حاولنا أن نعض النظر عن نيل العربية قاتها ناطقة بذلك . ومن ثم كان من الخطأ أن نفسر اللغة بتاريخ العرب وإنما نكون أكثر قصداً إذا فسرنا تاريخ العرب باللغة ،

وستكشف الأيام عن شيء غير يسر . وعلى أي الاعتبارات قاني أعتمد ما وصلت اليه من هذا اعتماداً غير محدود . ولناخذ بالكلام عليه دون أن ننظر الى استبعاد مستبعد أو استنكار مستنكر ما دما نفهم منه كل ما نريد أن نفهمه من العربية وكفى . نرى في الرباعي أنه حلقة من حلقات التطور اللغوي وقد وفق فيه جيداً إذ توصل اليه ببساطة ودقة حتى كان عملاً فنياً منقطع النفاير ، واكثر ما يقضي به العجب انه استطاع أن يحفظ الفكرة الواضحة على تطورها ، وأن يجعل منها كائناً له أطواره الحية ومراحله التامة .

وهنا نستطيع أن نحصر خلافتنا مع الأولين وقدامى النحاة . فهم يظنون على وجه العموم انه نشأ بواسطة النحت والاختزال من ثلاثين ، فالرباعيات أو أكثرها ترجع عند هؤلاء إلى ثلاثيات اختزلت ، وهم يطمشون الى هذا الفن كثيراً ، وربما لا يشكون فيه فان ابن فارس اعتمد بصورة محضة في كتابه (مقاييس اللغة) وخرج عليه من هذا شيئاً كثيراً . وهذا التخرج إن يكن يدل على شيء فلي قدرة لغوية فقط وتحليل عقلي ، واما شيء غير هذا فيما يتعلق بأنه صواب في نفسه ، وصحيح انه كذلك كان في صنيع العرب فليس من وجهه . وأظن بأن الذي روج لهذا التقدير ان كل الذين تناولوا العربية وحلواها وتفحصوها بلدها كانوا أجنب يرون في لغاتهم شواهد منه فأخضعوا العربية لما ظنوه قانوناً لغوياً عاماً تشترك فيه اللغات على اختلافها وتباين ما بينها . وأياً كان حقيقة تعليقه فالأمر الذي لا ريب فيه ان الأولين اعتمدوا الاختزال اعتماداً كاد يكون قانوناً يستندب في درس أي رباعي ومضوا على هذا قدماً في غير خلاف ولا نكرة . وهؤلاء هم أصحاب المذهب التعليمي للغة ومع ان أسلوبهم غلب في العهد الأخير وظهر في كتابات كل اللغويين بقي في نظرهم كشيء ظاهر الغرض لا يطمئن اليه إلا كما يطمئن للنكتة المستملحة . ولهذا لم يتناولوه كثيراً بالتحصيل ومحاولة التصحيح بل اقتصروا منه على مقدار ما به تكون تطريبات الدراسات اللغوية التي قد تحتاج إلى طرافة من هذا القبيل . واما انهم عولوا على نتائج التقدير المذكور كما لو كان شيئاً يتم به التصحيح فلا . ولهذا لن اعنى كثيراً بالتوسع في مجاذبة نظرية الجماعة لأنه ليس لها عناصر النظرية قبل أي اعتبار .

ولنخلص من هنا لتقرير نظريتنا في المزيد على الثلاثي مطلقاً في غير ما تكون الزيادة فيه حرفية وقد تقدمنا بشيء من هذا في الكلام على نشوء الثلاثي . قلنا يفرغ العربي من كل الوضع في الثلاثي ولا تزال في نفسه بقايا من معاني الأشياء لا يجد لها ما يمجدها أو يحكي عنها في معجم الالفاظ . ولما كان للحروف اعتبارات ومعان . وهذا ما لا ينكر في مذهب اللغوية العربية ، فيدلف من طريقها ليعبر عما يلامس نفسه ويمجده في الطبيعة مما تسخر له اللغة ، فكان أن ابتدع المزيد الاشتقائي بإضافة الحرف على آخر الثلاثي ليدل المؤلف الحرفي دلالة الثلاثي تزيد فيه الخصوصية على مقتضى الحرف وهذا هو الرباعي الأصم المعروف كذلك في تعبيرهم ، ومثله الخماسي وما إليه . وهي نظرية تبدو لأول وهلة شاذة غريبة ، بيد أن الاستقراء والاستقراء وحده يصححها ، وسنرى في عرض الأمثلة بساطة متاهية تحكي الحقيقة في غير اصطناع ولا شطط . وماذا كنا فعل لو أخذنا بأسلوب الاكراه والعنف سوى إنا نفرض على اللغة ما نريده فرضاً وسوى أنا نراوغ لأجل ما نريغ إليه فقط . وفي نظري انه لا يستقيم لنا بحث إلا اذا صححنا طريقة العرض المتبعة اليوم ، تلك التي تكون في حقيقتها عرضاً للنفس والفكرة الشخصية فحسب . ولذلك كنا في أكثر أبحاثنا المنشورة شخصيين على وجه خالص ، ولهذا أسباب من التقاليد الثقافية التي تكيف اتجاه التفكير عندنا على نحو قاصر جداً يكون كحركة الرحي تبيت وتستقر في جهد ضائع لا ينتقل بوضع الرحي ولا يترك شاهداً على انه كان أو انه وجد .

ومجسبي أن آخذ سبيل العرض المجرد فقط بدون أية محاولة تكون في صالح النظرية وأنا أطمئن إلى هذا العرض وهذا البسط وهذا الاستدل الذي اعتبره بريئاً بالمعنى المطلق ، على اني أتجاوز في فقه وفهم أسلوب الاستدلال إلى حد أن اتهم كل محاولة تزيد عن حدود العرض أو توضيحه ، وكذلك يرى كل من يحترم الامانة العلمية ويفهم مقدار ما في المجازفة خارجاً عنها من تبعات ويقدرها قدرها الصحيح . (جنذب) الضخم الغليظ يرجع الى (جنخد) الضخم وهذا يرجع إلى (جدى) الذي من مشتقاته الجدية بمعنى القطعة المحشوة ويظهر معناه في (جد) ومن مشتقاته ما بمعنى الاثنان السمين .

(طمرس) اللثيم يرجع الى (طمر) ومنه الخبأ والدفن وهذا يظهر معناه في (طر) ومنه ما بمعنى الخلس والوغد .

(قلطف) الخفة في صغر جسم ترجع إلى (قلط) القصير جداً من الناس والخفيف وهذا الثلاثي يرجع الى (قطي) بمعنى قارب الخطو ويظهر معناه في (قط) ومنه فلان قارب الخطو وأسرع .

(طحلب) خضرة تعلو الماء المزمع يرجع الى (طحل) بمعنى فسد الماء وأنتن من حاة ومنه الطحل الماء المطحلب وهذا يرجع الى (طلى) ومنه قولهم المنهل الطالي أي المطحلب .

ويقوي نظريتنا في الرباعي تقدير الامام أبي العباس ثعلب في (زغذب) انه من (زغد) والباء زائدة وتقدير محمد بن حبيب في (غسل) ان أصله (غنس) ولكن المعجب من ابن جني هذه اللهجة التي قابل بها تقدير الامام ثعلب في (زغذب) واليك عبارته قال ^(١) في الكلام على بشر بن لقيط (كأنه من معنى الابنث ولست أقول ان الراء زائدة كما قال احمد بن يحيى ان الباء من زغذب زائدة لأنه أخذه من الزغد وهو الهدير يقطمه البعير من حلقه ، هذا ما لا أستجيزه وأعوذ بالله من مثله وأحسن الظن بأبي العباس أن يريد ما نذهب إليه نحن في نحو سبط وسبطر ودمث ودمثر ولؤلؤ ولآل وجففة وجففة من انها أصول تقاربت وليست من واد الخ)

لهجة قاسية حقاً هذه التي توشع بالاستعاذة وعدم الاستجادة وكأن الأمر منكر لثيم من القول وعدوان من التخرج ، كل ذلك لاقتناعهم بامر بن الاختزال في الرباعي ، وان الرباعي مولود انبراعي لا ينظر الى وجود سابق .

الرباعي المثلى او الجملى

تقف هنا على عنوان جديد ورأي جديد ، لم يتعرف عليه الأولون إلا على وجه

عام . فهم لم يتركوه على معنى الإهمال له ولم يدرسوه دراسة تعنيه بالقدات ، وإنما من حيث كونه وجهاً من الرباعي أو بعبارة أصح مثلاً من أمثاله . هذا صحيح وقد كانوا موقفين نوعاً ما في فهمه والذي فعليه بالتوفيق انه وحده الذي يمكننا أن نسله لهم على مستهم في اعتبار الرباعي وكونه .

فالتحت له عمل ثابت في هذا النوع بعينه من الرباعي فقط لا شك في ذلك ولا ريب . ومن قلة محصولة في اللغة نسمح لأنفسنا بأن لا نعلمه في جملة القوانين التي عملت الثروة الهائلة ولا تزال آخذة بعملية الخلق والتكثير . وينبغي علينا أن نعين الآن ما نعني بكل هذا الذي نقوله .

قررنا منذ هنيهة بأن الرباعي ليس في الحقيقة وليداً إلا لزيادة الحرف فقط حسب أي ليس وليداً للاختزال من الثلاثين فأكثر مما أكثروا التحويل به في ماضي حلقات الدرس المرسل . وقدما هناك مقدار ما تشهد به اللغة للظن الذي نظنه ، ومقدار ما تشهد به من تكلفة التقدير الآخر حتى كأنها تقول بأنه ليس منها . ولكن في هذا اللون من الرباعي نحقق انه وليد النحت وأثره ظاهر فيه بحيث لا يقتضي مجهوداً تبينه ، فلو أخذت (بسمل) و (حوقل) ومثلهما ثم تعاطيت لاذن عربية أي على طبع منها ، لم تترد في التحويل على التخرج لها من بابه . وإذا صبح هذا فبمكنتنا أن نتحقق من الشروط التي تلزم في النحت . ونراها في أمور

(١) المفاجأة أو الكناية أو المثل : مما فيه اعتبار مجازي طريف أو تعريضي .

(٢) السهولة اللفظية .

(٣) وضوح الاختزال : ونعني بهذا أن لا نشبه صورة المنحوت رباعياً له

معنى مادي .

ومع انا لا نحدد مجيئه من الكلمات فان مما يجب أن يلاحظ فيه ان مجيئه من الجملة المؤلفة من أكثر من كلمتين أكثر جداً . ويجدر بنا أن نأتي بتطبيقات على ما نرسله أو نقله حتى لا تنتظر من غير العربية حكماً أو ملحظاً اعتبارياً .

قالوا (بسمل) و (حوقل) و (جمل) الخ وتقتصر من أمثلها على هذا

المقدار وفيه غناء . فان (بسم) وأصلها (بسم الله الرحمن الرحيم) كناية مبنية على اعتبار طريف عند ابن أبي ربيعة في قوله :

لقد بسمت ليلي غداة لقيتها فيا حبذا ذاك الحديث المبسل

ويقوم على سهولة لفظية وعلى وضوح في الاختزال . و (حوقل) وأصلها (لا حول ولا قوة إلا بالله) تشتمل على مفاجأة وسهولة ووضوح . و (جيسل) وأصلها (حي على الفلاح) تشتمل على مفاجأة أو كناية وسهولة ووضوح . ويحسن بنا أن ننبه هنا بأن المختزل الواحد قد يكون وارداً مختزلاً لاعتبارات شتى وكما يقتضي عين الاقتضاء .

وقد جاء المولد أحياناً جامعاً لكل ملاحظ الاختزال وأحياناً قاصراً عنها فشلاً (مسلم) كل القصد فيها السهولة فقط ، فلا تكون عجيبة بكل ما يلزم فيها . بينما جاء بها الزمخشري على وجهها تماماً في قوله :

قد شيهوه بخلفه فتخوفوا صنع الوري قستروا باليلكة

فان (البلكفة) وأصلها (بلا كيف) كناية مبنية على اعتبار لاذع من التعريض وتشتمل على سهولة ووضوح ، وهي منه حسنة جداً وطريقة للغاية وجيدة أيما جودة . وكذلك يكون ذو الحاسة الفنية الدقيقة ومن كالزمخشري لغة وبياناً . هذا رأينا نعرضه بعد دراسة نظمتها ساحة لنا بكل ما أتينا به من امتتاج حول الموضوع .

الرباعي غير الأصم

لن نقول شيئاً جديداً حول هذا اللون من الرباعي ، ولكن سنأخذ بمناقشات على ما قالوا فيه وما ظنوا في نشوئه وما قرروا في معناه ، وليس قليلاً أن تبين أن غاية ما تكلفوا فيه لم تكن إلا احتمالات مرسلة في غير نحر علمي ولا توفر على الدرس المتعبر .

قالوا^(١) في نشوئه أنه تضعيف بالزيادة على الثاني المضعف فككب أصله ككب ورقق أصله رقق وأنشدوا

وتبرد برد رداء المسرو من في الصيف رقرقت فيه العيرا

أراد رقت . هذا ظنهم في نشوئه وهو يقوم على تتبعات غير واقية ودراصة جد ناقصة لا تكون خليفة باعطاء نتيجة ما . وفيما إذا أخذت بالاستقراء تخرج بنتيجة صادقة جداً ولما اعتبارها وتقديرها الواقع ، ونحن هنا سنأتي على ما استطعنا فهمه فيه وأراني غير مقصر بدرك واقعه .

ينشأ الرباعي غير الأصم من ثنائيين يراد بضمهما (دلالة بين بين) وإذا صح فيه هذا الظن الذي يستقيم معناه عليه كثيراً ، أمكننا أن نتحقق من صدق ما قدمنا به من أصالة الثاني في اللفظ . وأدركنا شيئاً آخر له قيمته ، وهو أن هذا الوزن متأخر بمشتقاته لأنه يدل على معنى تركيب في صورة البسيط . وكأنهم لاحظوا فيه التركيب الذي صارت عنه وحدة كما في الحركات العكسية المتعاقبة . فالذهاب والاياب السريعان المتعاقبان على المكان الواحد يقال عليهما من هذا الوزن . وعليه فيكون ثنائياً مكرراً لافادة تركيبية فاصل (ذَبْذَب) ذَبْ وَذَبْ ، و (رَقْرَق) رَقْ وَرَقْ وهكذا ويدل لما نذهب اليه قول ابن جني في الخصائص (الواو لا توجد أصلاً في ذوات الأربعة إلا مع المتكرر نحو الوصوصة والوحوحة) وهذه القولة تهدم مذهبهم هدماً حين أحالت ما يقدرون زيادته على مقتضى قولهم في (ككب) .

ثم هم يقولون بأنه مضعف وهو خطأ . وإنما هو مكرر . و الفرق كبير بين التضعيف والتكرار ، ونحن اذا جاريناهم رأينا كيف يحاولون جملة وليد تضعيفين ،

(١) على الثاني لتحصيل الثلاثي .

(٢) على الثلاثي لتحصيل الرباعي متخذاً وضعاً من التضعيف غريباً ومنفرداً شاذاً . وقد رأيت ما فيه من خطأ ومخالفة للأقرب اعتباراً وللاكثر ، كما انا لا نرى عده في جملة الرباعي . واذا كان ما يشفع لهم في هذا قائماً هو الصورة اللفظية التي

تتألف عددياً من أربعة حروف . والأقرب في مذهب التشبيب والتقسيم أن يحد قسماً من الثنائي وقسماً للثنائي المضعف وعليه فيقسم الثنائي إلى قسمين .

(١) الثنائي المضعف كشد ومد وجد وهكذا .

(٢) الثنائي المكرر كيرب ونضض وهكذا .

وهم يقررون معناه خارجاً عن السماع ، بالقياس على مطلق الرباعي وهذا في نظري أشد أوهامهم على الإطلاق . وذلك لأن هذا الوزن الذي ابتدعه العربي لدلالة دقيقة جداً وفنية كثيراً يقد كل ذلك بالذهاب مع وهم الجماعة المذكور . وأما معناه في نظري فقد صرحت بطرف منه قبل بضعة أسطر ، وخلاصة المعنى فيه انه يعني عن العطف بالواو مع ملاحظة الورد على المورد الواحد . (فرقرق) مثلاً تدل على التموج الضعيف المتعكس . ومن ثم قالوا (الرقارق) للضفاف التي يضعف فيها التموج و (نضض) تدل على الانتهاض الالين برشاقة وخفة ، ومن ثم قالوا للأفنى (نضناض) وهكذا مما لو تتبعته إذا كنت تطالب المزيد .

وقائدتنا منه في الوضع الجديد كبيرة جداً . وبالأخص في الموضوعات العلمية والصناعية كما في القذبات الكهربائية والصوتية والحركات العكسية والحركات المولائية والرحوية بالاسنان .

النحت

لا يمكننا تجاهل أثر النحت في تهيئة الأوضاع التي تنتهي بها اللغات ، بل ربما كان له وحده الأثر الفعال في اعداد الالوان الشتى . ومع انا نفهمه بهذا المقدار نرى أن عمله أكثر ما يكون في الأساليب حيث تراد لتؤدي معنى واحداً على الافراد . وأما في المادة اللغوية فعمله لا يكاد يذكر ، وخصوصاً في بناء اللغات التي تحتكم فيها الحركات دون الحروف ، وتقوم على الاشتقاق دون التركيب . ولذا كان في السامية أقل منه في الآرية وكانت في العربية أقل من كل ما هو منه في سائر الساميات الأخرى . والسبب الذي جعل العربية غير خاضعة لعمله على نحوين :

(١) قيام العربية قياماً كلياً على الحركات .

(٢) كون الثلاثي يدل دلالة تركيبية .

فان الأول يؤدي الى استئصال كل ما يدخله النحت من مثل ما وضعه بعضهم لفصلية ذات الاربع الأيدي في الحيوان على طريق النحت فقال (أَرْيَدِيَّة) من أربع أيدي . وللهشوت (ضِسْقُوط) من ضد السقوط والبالون (سَفَنَجَو) من سفينة الجو والجيولوجيا (أَرْطَبَاق) من طبقات الارض و (مُهَرَّرَ كَيَّار) للموتير من محرك السيارة الى كثير من هذا الرطانة المجموجة .

والثاني لا يترك مجالاً للنحت لأن عمله في الواقع لهذه الغاية المتأدية بالثلاثي العادي . وها هنا ملحظ ينبغي أن لا يفوتنا اعتباره ، فان له خطورته في درس النحت وهو ملحظ يظهر انه صحيح قريب . وهو ان الفطريين يجتهدون باعطاء تأدييات تناول الغرض المقصود من كل وجوهه بحيث تكون أقرب الى الاحاطة التامة . واليك مثلاً ذكره الاستاذ (Q. Velken) الهولندي في كتابه (بحث عن الامومة) من لغة قبائل (ما كاسل) وهو (Passarilattasang) ومعناه الغوي المقصود (الاخوة أو الاخوات) ومعناه الحرفي (النابتون من بطن واحد) بينما نجد مثل هذه العناية بالاحاطة تخف حماها كلما انتسبت الأمة الى نوع رقي عقلي يتبعه ارتقاء لغوي ضرورة ، حتى يكاد يكتفي فيما بعد بالرمز الى وجه المعنى رمزاً وينقلب الوضع تمكياً أو لأدنى ملاسة ، ويظهر هذا ظهوراً واضحاً في المركبات الكيميائية الاصطلاحية وغيرها .

ويظهر من هذا ان اللغة عند الاولين تتحكم بالفكرة ، بينما هي عند الآخرين محكومة بالفكرة ومعنى هذا ان النحت يكون ضرورة حينما تضطر اللغة الى تأدية المعنى على هذه الصورة من التفصيل ومن ثم رأينا كيف اتت سكان جزيرة (فاكوفر) كلمة (بكبيكوكس لكوس) بمعنى الرجل الاوربي حتى صارت ليكبوس)

وكذلك اذا أردت درس النحت بنقه صحيح وجدته يدور في اللغات التي تكثر من الزوائد لتأدية المعنى الواحد . وهذه ظاهرة من طفولية اللغة ومن هنا قدرنا أن النحت لا يكون إلا في اللغات التي لم تبلغ البلوغ النهائي في التنزيل اللغوي .

هذا وان تقدير ان العربية لم تخضع للنحت يبدو لأول النظر غريباً ، بيد أنا

نظمتن اليه . لأن العربية لم تتناولها في بداءة تطورها حضارة قضى بها الى تطور سريع بل بقيت تتطور تطوراً طبيعياً محضاً وعلى وجه من البساطة جعلها تحتفظ بكل مراحل التطور . فبقي للاحادى مفهومه وكذلك للتثاني . ومن ثم استعان العربي بهذه المخلفات على بناء اللغة بناءً ثابتاً . واذا أردنا أن نحصى عمل النحت في العربية فلسنا نراه في غير الموازين وبعض الادوات فعلية أو اسمية أو مشتركة وما سبق أن سميناه بالرباعي المثلي وفيما عدا ذلك لا تكاد تقع له على أثر أبداً . ومن الخطأ بكل المعنى أن نذهب مطبقين لقانون النحت على العربية أخذاً باعتماد اللغات له ، لأن الواقع يشهد بأن العربية تنفرد باعتباريات هيأت لها مذهباً فذاً لا يتأتى تفسيره بمذهب اللغات سواها بل ربما كان هذا المنحى يزيدنا غموضاً مطلقاً .

الخماسى والسداسى

لا اطالعك في موضوع الخماسى وما اليه بشيء جديد ، فقد أبدينا رأينا في زيادة الاشتقاق وهي تستوي في الرباعي والخماسى والسداسى ، وتلزم طريقة واحدة ومحلاً واحداً ، نكون منه في غير داعية الى تكرار الكلام عليه .

ولكن شيئاً واحداً سنفرض بالكلام عليه وهو ما ذكرناه غير مرة في معرض الكلام على البناء وأعني به (السداسى) والحال أن سداسياً أصلياً لا يحفظ أبداً في شيء من الأسماء والأفعال . ونحن من هذا على خلاف ، لأن السداسية في المزيد الصرفى فرع السداسية في المزيد الاشتقاقى كما هو معقول . على ان عليه أمثلة لا تزال محفوظه في المعاجم وان كان اللغويون يخرجونها على غير باب .

هذا وجه نحن منه على خلاف ، ووجه آخر وهو دعوى أن الخماسى لا يجي من الافعال استناداً الى عدم الحفظ والورود ، وعليه ذهبوا يعللونه بعدم قابلية الفعل لثقله . قال العلامة المبدائى في نزهة الطرف (الفعل على وجهين ثلاثي ورباعي نقصت الافعال من الاسماء بدرجة لثقلها وخفة الاسماء) ونحن لا نرى معنى لعدم مجي الفعل منه مع مجيئه من المزيد الصرفى ، وأي معقول في أن لا يكون وروده في الاسماء

دليلاً على وروده في الأفعال ، وعدم السماع ليس دليلاً على العدم لاحتمال أن يكون ترك العربي له اكتفاء بالرباعي واستقلالاً له ، وبالأخص إذا لاحظنا مجيء هذه الأسماء الخماسية صفات ، مما يكون في المنطق العقول دليلاً على أن العربي صاغ منها أفعالاً ولكن أماتها بالاستغناء . ويقوي هذا أيضاً ملاحظة أن أكثر ما يجيء من الأسماء الخماسية يكون على صورة الفعل (كسفرجل) و (شمردل) . ومما يجعل منطقنا صحيحاً حينما ذهبنا نستدل بورود المزيد الصرفي . (اللاحق) فقد نجد الجماعة الصرفية على اتفاق في تخرج مثل جدول وكثروها من الجدل والكثرة باللاحق يجمعر ومثل (جعفنل) بسفرجل وهكذا مما يشعر بأن المزيد الصرفي مقيس على المزيد الاشتقائي ، هذا صريح بأنه أصل وعليه فلا معنى اذن لأن ثبت الفعل في المزيد الصرفي الختامي ولا تثبت في مثله من المزيد الاشتقائي وبعبارة أوضح ، لا معنى لأن ثبت في المقيس ما لا ثبت في المقيس عليه في محل القياس . وكذلك لا معنى لأن تثبت السداسية في المزيد الصرفي ولا تثبت في المزيد الاشتقائي ، ونحن وان كنا ندعو في عملنا الاشتقائي الجديد الى اعتبار السداسي ولكننا نقصره على الأسماء لأن التصريف يقتضي الزيادة والسداسي بلغ غاية البناء في العربية .

الاببدال الاشتقائي أو المعاقبة

لا يحتاج الى تنبيه ان ما نعنيه هنا بالاببدال غير ما اشتهر بالاببدال على لسان الصرفيين ، ولا بأس من أن نفرق بينهما بالاببدال الصرفي والاببدال الاشتقائي . وفي غير كبير جهد يمكننا أن نحدد غرضنا من الاببدال الاشتقائي الذي نريد به المعاقبة في الحروف المؤتلفة مع الترادف . ولكن يحول دون ما نبغي منه أن ما وقع فيه التعاقب ، وعلم أمره نذر جداً لا ينبغي بالقصد . يدان ما تقدمنا به من ان الاتباع يقوم على أساس الاببدال مهد بين أيدينا سبيل استخراج جدول الحروف المتعاقبة أو القابلة . ولا يمنع من التعويل عليه انه قد لا يمكن تعليقه لما انه يجري كثيراً في الحروف التي لا تتشاكل نوعاً ولا صفة وذلك لأن التعليل شيء آخر غير صحة العمل ،

والمقصد هنا ليس إلا تبين الآثار التي نهجها العربي لأحراز هذه الثروة في أكثر ما تكون غنى .

أثبت الأولون هذا الضرب من التوزيع في اللغة بعنوان آخر غير عنوان الابدال ، لما أنهم اصطلموه فيما يخص الابدال الصرفي فكان أن أخذوه بعنوان آخر ، وتبعوه في الفاظ عدوا منها كثرة باسم (المعاقبة) ونحن نستحسن لهم هذه التسمية ، وإن تكن كلمة الابدال أصرح بإفادة المعنى المراد في قصد الاصطلاح ومميزات الابدال في نظر الأولين .

(١) يجري في حروف بعضها .

(٢) يكون تابعا لرغبة المتكلم بتنويع المادة الواحدة .

(٣) يكون محتفظا بدلالته على الانفراد .

هذه هي مميزات التعاقب كما يظهر من عباراتهم ، ومن هنا لم يجدوا في الاتباع صورة من التعاقب لأنه لا يكون إلا لاحقة ، فكان أن أفردوه بالتقسيم ولم يتخط البحث هذا المقدار على طيلة العهد بيد ما كان من السكاكي حيث أشار إشارة غامضة في الكلام على تنويع الحروف من أن الحروف المتقاربة المخرج أو الصفة تتعاقب ولم يزد ، على أن هذه الإشارة لا تقرر مذهباً أو تشيد رأياً . وجاء صاحب الفلسفة اللغوية وتناول الموضوع بالدرس المقارن وخرج منه بنتائج لا بأس بها غير أنه لا يفرق كثيراً بين الابدال واختلاف اللغات ، والحال أن اختلاف اللغات شيء آخر ، ولما لم يعد قدامي اللغويين مثل قول حاتم الطائي (هذا فزدي اته) وهو يريد (هذا فزدي أنا) معاقبة . ويظهر أن الذي حمله على هذا كون ملاحظته نشوئية وأياً كان فيجب على الباحث أن يفرق بين أوجه الابدال وأن يتوضح الفرق جيداً . ونحن نرى الابدال في شعب ثلاث :

(١) الابدال الطبيعي كما في اختلاف اللغات .

(٢) الابدال الاشتقاقى . وهو المعاقبة .

(٣) الابدال الصرفي . وهو الاعلال وما إليه .

أما الأول : فلا ريب في أنه متأثر بعوامل للنشأة وبما يجدها ، وشواهد كثيرة

في العربية القديمة كمنحة تيم وتلته بهراء وفصفحة هذيل . وأما الثاني : فهو المقصود هنا بالبحث وذلك لتستفيد منه في اعداد الثروة اللغوية كما استناد العرب الأولون منه واستثمروه . وسنجهد في تمثيله جيداً حتى نتكن من الاستفادة في عمل الجانب الجديد من اللغة وفق ما طبع العرب عليه وحتى لا تكون اللغة إلا كما لو تساقطها مد الحياة فأورقت من الجانب الآخر بعد أن كانت تبدو فيه على ضهور وتقلص .

ونحن نرى على حسب الملاحظات التي قيدنا بها على مذهب الأولين أنهم فهموا الوجه العملي من المعاقبة تماماً ، وإنما نخالفهم في أمرين فقط .

(١) دعوى الترادف المطلق بين المتعاقبين .

(٢) دعوى ان الاتباع ليس معاقبة .

واذا صح ان الاتباع يجري في حروف الابدال استطعنا أن نضع جدولاً محمراً جداً لحروف المعاقبة ونحن لا نبدأ فنضع الجدول المذكور حتى نرى مقدار ارتياح الرأي العربي لهذا التقدير . وفائدة الابدال في الوضع الجديد ظاهرة جداً ، وذلك لأنه يفرغ اليه عندما تكون المادة قد استوفت الوضع ، وينبغي أن يخضع لشروط حتى لا يكون سبباً لاشتراك قريب .

(١) أن لا يستوفى من مادة الابدال كل موازين التصريف ، فلا يصاغ منها مصدر وما أشبه اكتهاء بمصدر الأصل ولا يزداد فيها زيادات تصريفية .

(٢) أن لا تجري عليها زيادة الاشتقاق .

(٣) أن لا تعم في كل دوائر الثلاثي .

(٤) أن تذكر في مادة المبدل منه لا في مكانها بحسب اقتضاء الحرف .

التعدي^(١) وال لزوم

حين انتهينا إلى النتيجة الخطيرة الشأن في موضوع الدراسات العربية ، حتى كان لها أن تغير وجهة الدرس العربي رأساً على عقب ، وتأخذ النقيض على ما كان عليه قبيضة ، وتبني الصرف وأيضاً النحو بناء آخر جديداً ، وتوضح كثيراً مما كان غامضاً وتشرح الشيء على حقيقته وعلى مقتضاه من الشرح ، وتفسره تفسيراً منطقياً ومعقولاً.

(١) بين يدي مواضع ضافية طويلة الذبول هذا أحدها حاولت فيها درس ظواهر العربية في التذكير والتأنيث والتضعيف والتقل والارتجال والافعال والاعراب والتعريب والمصادر والجموع والنسب والتصغير . ولكن ظروف الطبع آتت الاختصارها في أسطر فاسقطتها وقيدت ما فيها من أفكار جديدة . لتشر إن شاء الله كلمة في الملاحق والاستدراكات على المقدمة . (الافعال) تتلخص فكرتي في الافعال فيما عدا الجانب التاريخي والنشؤي الذي درست فيه أصل حروف (انيت) وكيف توصل العربي إلى هذه الصور التي عليها الافعال مطلقاً إذ كان منا التقدير بأن الافعال على صورها مهيبة عن صور أخرى ترى إلى أن من بقاياها أسماء الافعال . عدا هذا الجانب التاريخي وما يتبعه يتلخص رأينا في الافعال بفرعين .

١ — ما سبق لنا أن تكلمنا عليه وهو طرد الافعال مطلقاً على باب (ضرب) .

٢ — قياسية كل المزيادات الصرفية ولكن لدلالات خاصة . وقد توصل إلى شيء كبير من هذا الشق الثاني المأسوف عليه ظاهر خير الله الشويري في رسالته (الدمع النواجم) ولا يتسع المقام لإيراد شيء من تخصيصات المزيادات الصرفية على أن الصرفيين سقطوا على كثير من التحقيقات النفيسة في بحث الافعال وبلغ بحث الافعال عندهم بأكثر مما بلغ سواء ومن أراد تحقيقاً رتضيه على الافعال فعليه رسالة (الدمع النواجم) .

(التعريب) من أصعب البحوث ضبط التعريب حتى أن اللغويين القدماء انتهوا وما انتهت أبحاثهم فيه وخصه كثير منهم بالتأليف . وأنا أخالف كل الجماعة السابقة في عمل التعريب وادعياً عنيماً واعتقد بأن الأسباب التي أظهرت حاجة العرب في عصور مدينتهم إلى الأخذ به لم تكن سوى وقفة اللغويين والنحاة هذه الوقفة المنكرة ورأيت أن التعريب لا يدخل إلا في نقل الاعلام ولكن بشرطين (١) أن ينقل العلم أو الاسم على مقتضى الحروف العربية البحتة . فليس لنا من أجل نقل العلم أن نزيد في أبجديتنا بل نكسر العلم على حروف الأبجدية كما فعل العرب الأولون وكما يفعل الأجانب اليوم في كافة الاعلام الفريية والامثلة عليه أكثر من أن تحصى ولا داعي أبداً لإيجاد (جاف) وما إليها وكان أول من فكر بزيادة حروف وحركات على وفق الاجنبيات في العربية المرحوم الشيخ طاهر الجزائري في كتاب (توجيه النظر) ولكن رحمه الله كان أكثر حيلة حينما عمد إلى أحيائها من منطق العرييات المائة (٢) أن ينقل العلم أيضاً مراعى فيه وزن عربي محفوظ وإن لا يزيد عن سبعة أحرف فإذا زاد انقص منه بحيث لا يخل بالعلم . وقد وثبت

وهي النتيجة التي قضت بأن العربية خضعت ككل شيء لتاموس التطور العام، وأن القرآن تناولها وهي بين أيدي التطور أي لم تستقر بعد على أكل الوجوه. بل لازالت تنزع الى الهدف الأسمى الذي نرى مقدار ما هي تنظر اليه وتشخص نحوه في تماثل اليه وتسام قريب. حتى انتهينا الى النتيجة المذكورة التي لم تكن عليها ظاهرة واحدة من البناء أو الاعراب أو الاعلال أو الافعال أو الجموع أو تخصيص الموازين أو همز المل أو التذكير والتأنيث أو العروض بل كان لها ظواهر في كل ما من العربية في جوهرها وطبيعتها. وفي التعدي والازوم ظاهرة أخرى من ظواهر قلق العربية وعدم استقرارها،

قواعد خاصة لنقل الاعلام لا يتبع المجال لتذكرها هنا وهذا وإن بدا غريباً نائياً فإن ثمة شخصية يجب ان تحفظ ومسحة يجب ان تظهر .

(الاعراب) نعتمد الآن في هذه الخلاصة ما انتهى اليه البحث الاستشراقي في الاعراب وفي حركاته انها بقايا ضماير وادوات اشارية على ما ذكره العلامة (رايت) في كتاب (مقارنة نحو اللغات السامية) وانتهينا الى رأي جديد في التنوين وهو ان العربي لما أقر لغته في التنظيمية واستوى منطقه على اشد كره الصوتية في الحركات الاعرابية التي يقتضي مداها عند الوقف عليها ظاهرة . فقطع المد بالتنوين وقد ظهرت محاولته هذه في تنوين التثنية من مثل قول الشاعر (افلي اللوم فاذل والمثابن) والاصل المعتاب . واذا صح هذا فيكون العربي قبل التنوين كان يقف على الحركات ممدودة مما يشعر بصحة الملحظ الاستشراقي والتيء الملقط حقاً هذا التناظر الشديد بين جمع المذكر السالم وبين المفرد المنون في حالة الرفع في المفرد تقول (زيدٌ) بحيث لو مدت الضمة قليلاً مع الاحتفاظ بالتنوين نشأ منها (زيدون) وكذلك في المثني مما يظهر معه ان النون في الجمع تنظر حقيقة الى التنوين في المفرد .

(التذكير والتأنيث) في غير شك ان التذكير والتأنيث لم يتقيا في العربية من الفوضى خذ المنق والابط والابهام الخ ثم أخذوا بالاستقرار بعلامة فارقة اطردت بالتاء وكثرت بالالف المقصورة او الممدودة . وهذه الفوضى عزاهما الاصمعي والمفضل وابن الاعرابي من الرواة الى الاختلاف القبلي وكذلك النضر بن عميل وسيبويه من النحاة وهم يذهبون الى هذا الالتباس ونحن لا نطمئن ولصعوبة الموضوع خصوصاً بالتأليف ولكن يختلفون فيه اختلافاً كبيراً فاقطع ابن سيده بتذكيره يجوز فيه الازهري التأنيث. ونحن نفهمه على انه كان امراً اعتبارياً بدور مع الملاحظة بدليل ما ذكر صاحب الامالي من ان اعرابيا سمع يقول فلان جاءته كتابي فاحترقها ذهب الى معنى الصحيفة. ويقويه ان الاولين يتوهمون ذكورة واتوثة في غير الحيوانات. ولكن كما قلنا أخذت العربية بالاطراد تذكيراً وتانيثاً بما للعلامة ثمة ليس فيه علامة وهو مؤنث فائري متخلف ولقد أحس بهذا بعض قدامى اللغويين كابن السكيت وابن الانباري فقد نقل الفيومي في خامسة المصباح طائفاً اليهما (ان العرب تجتريء على تذكير المؤنث اذا لم تكن فيه علامة تانيث) هذه

الذي غرض على علماء العربية السابقين وجه تعليله ، فاحتالوا بضروب من الحيلة حتى يستوي في ملحظ يتسق مع ما يبدو من الاختلاف . وكذلك انتهى بهم الاجساد العقلي والتفكير الطويل الى ما دعوه بالتضمنين النحوي ، وهو بدون شك افتراض قدره النحوي ليعمل به هذه الظاهرة الغامضة ودائماً كانت الافتراض سنة الشرح والتفسير . وهنا قص حكاية التضمنين كما تصور منه . لما أخذ النحوي يحدد مفاهيم الادوات وانتهى إلى أن (على) قيد الاستعلاء و (في) الظرفية و (الباء) الالتصاق . أعترض بأمثلة لا يمكن أن تخرج على معانيها أو خصوصياتها فكان معقولاً (وهو لا يقدر بأن للمرية أدواراً عاشت فيها فقد تكون متخلفات) أن يقدر شيئاً آخر ، فقدر التضمنين واقتنع به وأطمئن اليه في كثير من البقن ، ولأن كل القصد قد كان تفسير وجه النحو قسب اليه . ولما قويت حركة البيان أخذوا هذا التضمنين على وجه آخر ودعوه بياناً وهو يقوم على ملاحظة معني لفظ المضمن والمضمن فيه ، ومن ثم اختلفوا في أنه حقيقة أو مجاز أو واسطة أو جمع بين الحقيقة والمجاز وهكذا مما تجده في حاشيه (يس) على التصريح . ونقل الاتيبي في تقريره على حاشية السجاعي لقطر ابن هشام

القالة التي تحفظ عن ابن السكيت وناهيك به تفسح المجال لظن أكيد الصعة . وعليه فالتصنيف الذي نراه لكلمات المرية مطلقاً .

١ — يتعين التذكير أو التأنيث فيما كان وضعه على الحيوان بفارقة أو بدونها وهذا ما يسمى بالحقيقي .

٢ — يتعين التذكير أو التأنيث تبعاً للفارقة في غير الحقيقي .

٣ — يرجع التذكير فيما لا فارقة فيه نظراً إلى أن العربي يجرؤ على تذكير ما ليس فيه علامة .

(التضمين) انهيئنا فيه إلى أنه على ضربين (١) التضمين البسيط وأمثله معروفة . (٢) التضمين المركب وهذا شيء نحن نراه تعليلاً لمجيء زيادتين في أوزان المرية كمثل (ضمفيل) و (فطمال) وتأمل هذا التناظر المدهش بزيادة الفاء والعين في الاول وزيادة العين واللام في الثاني .

(الارتجال والنقل) ليس عندنا شيء غير منقول وما زعموه من الارتجال توهم محض جاءهم من عدم الحفظ لمادة الاشتقاق أو من المجيء على خلاف القياس والحال أن القياس معناه ما استقرت عليه المرية بعد تطورات طويلة . فما يسوته مرتجلاً هو من هذه البقايا الاترية . وبالجملة فالاعلام في نظري تشتمل على قدر زاخر من تطور المرية لأن الاعلام تمتاز هذا من انها وليدة اتصالات عدة بكونها تتناقل مادة على صورتها .

تصريحا هما وهو ان أول من قدر التضمين البياني العلامة الأول السعد ، اخذاً من عبارة وقعت للزنجشري في الكشف على ما ذكره ابن كمال باشا في رسالة التضمين .

هذه حكاية التضمين في قسميه النحوي والبياني على ما نرى ، وهو حق من كل وجهه فاذا كان كل أمر التضمين البياني عبارة تقع من الزنجشري لم يرد لها محصلة أبداً لما فهمه السعد وبنى عليه . فكذلك كان الشأن من قبل في التضمين النحوي . شي . أدت اليه مصادفة الألفاظ المرسل ، والذي عندنا من أمره انه وان كان تكلفاً لاغياً في أوله ، فقد عاد وله محل من الحاجة على أن يصطنع بمقدار من فصاحة البيان . وبحسبنا هذا المقدار من حديثه لناخذ في حديث التعدي والازوم وما هو في أصله ؟ والوضع الذي ينبغي أن ينتهي عليه . وهو لمن يريد أن يتناوله بالدرس على وجهين :

(١) كيف التعدي والازوم .

(٢) معاني الحروف والتعدي على معانيها .

أما الأول : فيظهر ان الأصل في الافعال القصور على النفس والازوم لها والتعدي من عوارض الافعال الثانية ، فكان من المعقول أن تبدأ الأفعال وهي لازمة ثم تأخذ في تعدي عليها . فاذن التعدي فرع الازوم وهذا معنى قول الاولين (واقع وغير واقع) . ولقد جنح العربي الى التعدي بعدة وسائل بالحرف والهمزة والتضعيف ثم يكتسب الفعل التعدي بنفسه . وفي هذا شاهد جديد على ما قررنا من تأثر الأصل بالحالة التي يكون عليها الفرع . وهذا ليس كلاماً مرسلأ بل فيه مشكلة شديدة من الحقيقة واليك ما يشهد له قالوا (وقف ، واوقفه ، ووقفه) وعدوا (ياب المغالبة) وهو رجوع بالمزيد الممدى الى الثلاثي اللازم ليتعدى تعديته وبحسبي من شواهد الرأي المذكور (باب المغالبة) .

واليك صورة التطور من الازوم الى التعدي على ما اتضح لنا .



وإذا صح ان التعدية تسير هذا السير الارتقائي كان لنا أن نتحلل من بعض قيود التعدية وال لزوم لا على اطلاق القول فان فيه ما يذهب بشخصية العريية وطابعها من بعض الوجوه .

وأما الوجه الثاني : الذي هو معاني (الأدوات) والتعدية على معانيها فأكثر ما يكون لزوماً ، وبالفعل قد أخذت العريية في هذا السبيل وقطعت شوطاً واسعاً فيه كما يظهر في (على وفي واللام) .

وقبل أن أتعي بالكلام عند هذه الغاية المجملية أنشر تساؤلاً وأجتهد بالجواب عليه . لماذا لزم بعض المصادر ومشتقاتها التعدية بحرف شخصي من مثل (قصد) الذي يعدي (بالي) و (عمد) الذي يعدي (باللام) على ما هو الاقصح ، وتخصيص الحرف بالفعل يكاد يكون عاماً في مصادر العريية اللازمة . والذي يظهر انه آت من تدقيق الملاية بين تمام معنى المصدر ومعنى الحرف فأننا بدرس (عمد) مثلاً ومشتقاتها

(العمد والعمود والعمدة) نخرج بمعنى الارتكاز والتجامل على الشيء . بثبات . وهذا لا يناسب أبداً حرف (الى) التي تفيد الانتهاء . ولم ترى مناسبتة ظاهرة مع حرف (اللام) التي تفيد الاختصاص أو الملك . هذا هو وجه السر فقط على ما اتضح وليس آتياً أبداً من طبيعة الحروف أو من اعتبار آخر .

وإذا كان هذا هو السر في اختصاص الحروف فقط ، فلا ترى حرجاً للكاتب العلمي والفني أن يجاوزه على ما وجدنا في (عمد) و (قصد) كيف يجاوز العربي بهما فصيح الربط ودقيق الملاسة في الاستعمال الشائع ، بدون أن يقال بتخطئة أو غلط . وإن كنا نتحرج مع الأدب أمره وتأخذه بفصيح الروابط ودقيقها ما دام يختص للأدب ويكتب لخدمته .



نمذجات من المعجم الجديد

ليس هذا المقدار هو كل ما انتهى وضعه من المعجم بل قد استوى وضعه مع الجدول الهجائي بكامله على نسق هذه النمذجات وانما لم تنشر إلا مادة أو مادتين ليكون مثالا للطريقة التي نجتهد في إحلالها محل العمل والقبول . وهو إذا لم يحز من ثقة الناس واعتدادهم بالنصيب الذي نرغب به فلن يكون شيئاً يزيد على انه عمل لنا مما نرى عبثاً محضاً اخراجه كذلك وافياً قبل أن يبدي الرأي العربي ارتياحه اليه . ونحن لن نلبث حتى نخرج المعجم الجديد في حجم (لاروس) أو يزيد قليلاً على أبلغ ما يمكن تحريراً ودقة من حيث موضع الاصطلاح ومنزلة الاسم العلمي من روح الدلالة .

هذا وقد اصطللنا على ما هو نسق أجنبي في وضع المعاجم من التمييز بين الاسم والصفة والحقيقة والمجاز واصطللنا على الرمز الى الابواب بحروف مفردة بقطع النظر عن مزايلة المصادر أحياناً بين بعضها وكذلك اصطللنا على الرمز الى المصدر والتصريف والوحدة ^(١) المعنوية والوحدة ^(٢) المادية والاشتقاق والتعددية وهذا شيء نجد مثله كثيراً في المعاجم الاوربية تكتب بأحرف أخرى وتنزل وسط الأسطر في سير الشرح ولا نجد حرجاً من الأخذ على شبهه في وضع معجمنا العربي .

وهنا أسوق راموز الاصطلاحات على ما تم في المعجم .

(ل) الباب الاول	(حد) الوحدة المعنوية	(ج) الجمع .
(ن) الباب الثاني	(وحد) الوحدة المادية .	(جج) جمع الجمع .
(ث) الباب الثالث	(تص) التصريف .	(مك) المذكر .
(ع) الباب الرابع	(مص) المصدر .	(مث) مؤنث .
(خس) الباب الخامس	(مع) المعدى .	(سم) اسم .
(س) الباب السادس	(شق) الاشتقاق	(صف) صفة .

(١) نعي بالوحدة المعنوية المعنى الذي تشترك فيه جميع المشتقات وتتلاقى عليه

(٢) نعي بالوحدة المادية جعل معنى كل مشتق على الانفراد وحدة للاشتقاق

(أيج)

« هجر » الأبدية في الاشياء (تعني)

هـ ؛ (معنى) أيج . (شئ) الأئج

« وهجر » الأبد

[أئج] (صف) الشئ : يحتفظ على

الابد بصناعة تدخله تقول هيكل رعسيس

ايج . وهياكل المصريين القدماء على وجه

العموم آباج (سم) الايج والابجة الموميا

[أباج] (صف) صورة المتأبد

(سم) مجموعة صور الموميآت تقول

أباج نفيس

[إباجة] (سم) علم الاخنولوجيا

أي علم آثار الاقدام في طبقات الأرض

وإباجي (صف) أي بحث يتعلق بأثر

من هذا النوع كقدم النبي المزعومة على

الاحجار . تقول رأيت بحثاً طريفاً حول

آثار قدم النبي من الناحية الاباحية .

[أئجين] (سم) الشخص المسيطرة

عليه فكرة الخلود على هذا الشكل . تقول

كان قدماء المصريين أباجن والفكرة نفسها

(أئجئة) تقول بحث حول ابجئة المصريين

القدماء .

[إئجين] (صف) خلاصة تجمل

الجسم متأبداً (سم) الاديبوشيرا وهي

مادة بيضاء تعلو تلافيف الحيوان اذا دفن

في منطقة باردة أو في الثلوج تحفظه من

الفناء .

(أبد)

(هجر) التماذي في جانبي الماضي

والمستقبل والتوحش أيضاً وهو مجاز مرسل

عن المنزل القفر لأنه تهادى عليه الدهر

(تعني) ل . هـ ؛ في التوحش والنفور

؛ ع ؛ في الغضب وجاء منه تأبد الرجل

توحش . (معنى) أبود . أبد (مع)

بالباء . (شئ) الأبد (وهجر) الدهر

الطويل غير المحدود .

[أباد] (سم) صورة الابد تقول

أبادة أي صورة من حياة الانسان في

أقدم التاريخ .

[إبادة] (سم) العلم الذي يبحث

الاشكال التي كان عليها العالم في أقدم

ما كان .

[أبادية] وبالتشديد (سم)

الفلسفة التي تقول بقدم المادة وان الدهر

أسباب ونتائج متواصلة .

« وهر » برد يشق قلبه المرأة من غير
كين . سراويل بلا رجلين .

[الأثب] (سم) الثوب يلقى على
الكتفين وهو المعروف في الأجنبية
(بالكاب) .

[الإقاب] (سم) الثوب تلبسه
المرأة في البيت كالعباءة يدعى في الأجنبية
(كنو) .

[الأثيب] (سم) الثوب تلبسه
المرأة تحت الثياب الرسمية أشبه بالحمالة لها
يدعى في الأجنبية (كبلزون) .

[المثب] (سم) سراويل
الاستحمام والسباحة ويدعى في الأجنبية
(مايو) . (شعر)^(١)

يا فتنة تنثر على ضفاف البحر
وباقة تزدهر على دوار الصخر
يا جذاء مسرحاً والحدود فيه تجري
خرائد مثل الدمى
يثرن أسباب الهوى في وثبات الجري
برزن في (مآتب) يقطن سحر السحر
ثم انحدرون غوصاً بين عباب البحر
فحسبهن بين موج الماء يلقى الطير

[إبديت] (صف) الذي يستخفي
فيه التوحش ويكون له روحان واحدة
عصرية وأخرى جيلية ترجع به الوراثة القهقري
أحباباً وهما يحكماه في تعاقب كالتى صورها
الكاتب جاك لندن في اقصوصته (الحياة
الاولى) تقول بمبحث حول شعور الابديت .
[إبدين] (سم) اكسير الحياة .

[إبديان] (صف) المسائل إلى
التوحش في تفكيره وتقاليده . وكذلك
الذي يرمي إلى رد الناس إلى حياة الفطرة
(كروسو) قول كان روسو ابدياناً في
مذهبه الاجتماعي .

[أبدوان] (صف) المنزل التاريخي
يصبح قفراً قول رأيت أبدوان سامراء
كيت أقبر حيا ثم لفظ أنفاسه في صموت
موجع .

(اتب)

« هر » الرقة في غير تماسك شديد
على الاشياء (نص) ؛ نه ؛ وجاء منه
اتب الثوب صير اتبا . وتأتب به وأتتب
لبسه . (مصى) أتب (سى) الإتب

(أثب)

« مر » السهولة في تبدل ويظهر
معناها في (وثب) والهمزة منقلبة .
(نص) ؛ ن ؛ أثب الرجل ^{الرجل} لعبت به
الريح فجعلته في ارتفاعات وانخفاضات
واثب الماء اذا تسرد (مصى) أثب .
مأثب (شى) مثب « ومر » الارض
السهلة والجدول .

[مثاب] (سم) آلة تختص
بالاراضي الرملية .

[أثبان] (صف) المتفوق بتصوير
الجداول أو بنحتها .

[أثبوة] (سم) الجدول ينحدر
من جبل ويوافق الجبل في هبوطه إلى
الارض (شعر)

ان لبتان في الطبيعة عدن
صنوهايك في خيال الجنان
تسهم النفوس بين ذراه
وبأرجائه تهيم الأماني
(أثبوات) من فوقنا صامات
فاذا ما انحدرن هن أغاني
مثب « ومر » ما ارتفع من
الارض .

[الآثوب] (صف) المرتفع من
الأرض ارتفاعاً يسامت معه السحاب .
قول جبل آثوب وجبال هملايا
أواثيب .

(ابر)

« مر » الانسلال في الشيء والخروج
منه بدون أثر يترك . « نص » ل . هـ ؛
وجاء منه أبر الزرع أي أصلحه . وأبر
الكلب أطعمه الابرة . وأبر العقرب لدغ
بأبرته . وأبر الرجل اغتابه . « مصى »
أبر . آبرة . آبار « مع » بالنفس
« شى » آبرة « وبرة » آلة دقيقة
فولاذية أو عظمية أو عاجية ذات رأس
محدد تستخدم في الخياطة والتطريز وما
أشبه .

[إبرور] « سم » ربو المحددين
الذي يحصل بسبب غبار فولاذي يتمزج
بالهواء ويدخل رئات عمال الابرة .

[إبرورة] « سم » رمد في العين
يحصل بهذا السبب نفسه عند المحددين .
[مثبر] « سم » الآلة التي تمنع
من غبار الابرة فلا يصيب المحددين .

[مثبر] « سم » الآلة التي تصنع الابرة

بطريق غير شرعي كما لو قضى على شخص
بالابرة والأبيرة نفس الاهلاك تقول
اتخذ لخصومه ابيرة لثيمة جداً .

الأبِر « وهر » للعقب المدغ
بالابرة .

[يُوْبُر] « صف » لدغ كل ماهو
على شاكاة العقب أي يحمل ابرة يدفع
بها عن نفسه تقول فصيلة يُوْبورية
وحوان يُوْبوري .

مِثْبَر « وهر » موضع الابرة .
[مِثْبَرَة] « سم » موضع الابرة
مطلقاً من الآلات أي اسم للاداة التي
تمسك الابرة .

الأبِر « وهر » للبتر احتفاره .
[مِثْبَر] « سم » الالة التي يحفر
بها الآبار الحديثة

الآبَار « وهر » البرغوث .
[مِثْبِر] سم برغوث الرمل .
ويشتق من الوحدة المعنوية للعمليات
الجراحية الماهرة تقول استأبر في استئصال
الزائدة المعوية بصورة مذهشة .

[أْبِير] « صف » الماهر في
الجراحة إلى حد كبير « سم » لقب
التفوق الذي يعطاه الجراح .

الأبِر « وهر » للزرع اصلاحه
[إِبَارَة] « سم » فن اصلاح
الزرع .

[أِبَار] « صف » صورة الزرع
الصالح « سم » نموذج بالصور من اصلاح
الزرع أو التعليم الزراعي المصور .

[أْبُرُم] « صف » توليد نوع أجود
بالاصلاح المستمر على النبات « سم »
قانون مندل ونخص (أْبُرْمَة) بالتاء
لتجربته التاريخية على القمح تقول درس
على الابرة أي تجربة مندل على القمح .
إبرة العقب « وهر » طرف ذنبها
الحاد .

[أْبُرَة] « سم » العضو القائمة فيه
الابرة المذكورة ويتحرك بعمل عضلي .
الأبِر « وهر » لخصوم اهلاكم
والنخبة أيضاً .

[إِبْرِيت] « صف » صاحب
النفسية التي لا يحلو لها العمر إلا بالايقاع
بين الناس وكذلك تكون مفضولة على
أن تنضح بالبعض الويل لأفراد النوع
الانساني .

[أْبِير] « صف » الذي يهلك

[مَأْبَرَات] « سم » الشرط
الكهربائي الذي يكوي في وقت الجرح .
(أبت)

« مر » اشتداد الحرارة . « نصي »
هـ . ع . ل ؛ أبت اليوم اشتد حره فهو
آبت وآبت وآبت . وتأبت الجمر احتدم .
« مصي » آبت . أبوت . « مع » بالنفس
من « سي » الآبت « ومر » اشتداد
الحر .

[الْآبَتَاء] « صف » التميز بشدة
الحرارة قول آلة ابتاء وسنة ابتاء « سم »
خط الاستواء قول مقاطعة ابتاوية أي
واقعة في خط الاستواء .

[الْآبُتُوءَة] « صف » الثاني . من
الحرارة قول ابتوة الحروق للثؤولة التي
تحدثها « سم » مرض باطني يمتاز بحرارة
تحدث في سطح الجلد تنوءاً .

[الْإِيُوت] « صف » كل ما يتولد
من تفاعل حرارة « سم » الغسابة التي
تتهرق بمجرد احتكاك شجرها إذا حركها
الريح .

[مَأْبَتَان] « صف » مقوي الحرارة
أو مضعفها بصورة آلة .

[مِثْبَت] « صف » أداة تهيج
النار واذكائها « سم » أداة تقوية المجري
الكهربائي .

[الْآبَت] « ومر » شدة حرارة
الجو في النهار في قولهم آبت اليوم .
[الْإِيُوت] « صف » الآلة تنشأ
عن شدة الحرارة الجوية .

التأبت « ومر » احتدام الجمر في
قولهم تأبت الجمر .

[الْإِيَت] « صف » حالة احتدام
الآلات المولدة للحرارة أو النار مطلقاً
قول السيارة في آيت أي في حالة احتدام
شديد .

الآبَتَة « ومر » شدة الغضب في
قولهم آبتة الغضب .
[آَبَات] « سم » صورة الغضب
الصحيحة عنه .

(أيز)

« مر » السير بتوثب « نصي »
هـ ؛ قالوا أيز الظبي وثب أو تطلق في
العدو والانسان استراح في العدو
« مصي » أيز . أبوز . أيزي « سي »
الأيز « ومر » الوثب .

[إِبْرَز] « صف » وثب الحيوانات
المصغرة الذي لا يقال له الديق .
الأبْرَز « وعد » الظبي المنطلق في
العدو .

[أَبْرَز] « سم » السيارة تسير بدون
مبالاة كسيارات الاسعاف والحريق .

[مُؤَبَّرَز] « صف » الذي يحس
في باطنه توتبا من مرض أو عارض « سم »
رعشة الغضب المكتومة أو رعشة الغضب
على تذكر اهانة أو اساءة .

[إِبْرَبَت] « صف » الذي يريد
أن ينتقم للتاريخ ويشور له أشد الثورة
وبوده لو يستقبل تاريخ الحادث حتى
يحرق الارم .

(ابيض)

« عد » النشاط البالغ « نصن »
ع ؛ « مصى » أبيض « سى » الأبيض
« وعد » النشاط

[أَبَاص] « صف » النشاط
المتجسم تقول رجل يطالعك بأباص دفاق
« سم » صورة النشاط البارعة أو مجموعة
الصور من ذلك .

[إِبْرَز] « صف » وثب خفيف
منظم « سم » الوثب في الرياضة الملحقة
بالالعاب السويدية .

[أَبْرَز] « صف » الذي يفعل
الوثب في مضاعفات « سم » حيوان
الكنجرو .

[إِبْرَان] « سم » الذي يثب في
الهواء في مرات والذي يتقلب في الهواء
مع الوثب .

[أَبَاز] « سم » صورة الوثبة البارعة
مطلقاً ومجموعة الصور من هذا أيضاً تقول
أباز جميل .

[أَبْرَة] « صف » ما يوثب بدفع
« سم » كرة التنس .

[إِبَاز] « صف » تماطي الوثوب
مع آخر « سم » لعبة التنس

[إِبَازَة] « سم » فن هذه اللعبة .
[أَبْرَز] « صف » السير بالوثوب
تقول حيوان أبْرَز وفصيلة ابْرِيَة .

[إِبْرَز] « سم » مرض ينشأ عن
الوثب .

[أَبْرَز] « سم » الحركة العضوية
التي يقوم بها الحيوان الانقلابي كالحوانات
النبانية .

الذي يعطي نشاطًا باطنيًا بدون إجهاد
كحركات التنفس الهندي الموزونة .
أَبْوَص « وهر » القوس النشط
السباق .

[آَبْوَص] « صَف » صنف الخيل
المتأز « سم » حامل جائزة السبق من
الخيول .
[أَبْص] « صَف » نشاط الحيوان
مطلقًا .

(ابض)

« هر » العقل بحيث يأخذ المسارب
« نص » ه : ع ؛ قالوا منه تأبض بمعنى
أبض « مصى » أبض « مع » بالنفس
« مئى » الأَبض « وهر » شد رسخ
البعير الى عضده .

[مَبْض] « سم » الفرام في
الاتومويلات وسواها .

[مَبْاض] « سم » مفتاح أو أداة
الايقاف في السيارات الشديدة الاتدفاع
في الجوا أو البحر أو الأرض .

[مَبْض] « صَف » نسبة قوة
الفرملات .

[أَبْصَن] « صَف » من عنده نشاط
روحي قوي « سم » الشخص يتقوس
عنده أثر العقل الباطن حتى يحل المسائل
المعضلة في النوم . وتضاف التاء لافادة
الوضعية تقول بحث حول (الابصنة) أي
هذه الظاهرة .

[إِبْصِن] « سم » الشخص ضعيف
النفسية الى حد الخور .

[أَبْص] « صَف » النشاط يكون
في مضاعفات من النشاط تقول رجل ابض
« سم » الرجل الذي يفوز بالبطولة في
لعبة منشطة .

[مَبْض] « صَف » أداة التنشيط
مطلقًا « سم » آلة التنشيط المطاطية
أو الزنبركية .

[مَبْاض] « سم » الأدوات
الحديدية المبنية على نسب رياضية للأكف
والاصابع والأيدي والصلب وهكذا .

[مَبْض] « صَف » نسبة النشاط
« سم » ميزان النشاط الرياضي .

[إِبْوَص] « صَف » المعارض
المرضى ينشأ من النشاط .

[إِبْص] « سم » اللعب الرياضي

غير شيء من الظهور « نصي » به . لـ
قالوا ابطه الله هبطه وجاء منه تأبط وضع
تجت الابط . وأتبطط اطمأن واستوى وفي
النفس ثقلت « مصي » أبط « مع »
بالنفس « شي » الابط « وهمر » مارق
من الرمل .

[مأبط] « سم » الأرض تكون
مغمورة بطبقة رملية رقيقة .

[أبط] « سم » الطبقة الرملية في
باطن الأرض .

الايط « وهمر » باطن المكتب .
[إوط] « سم » الآفة تصيب
باطن المكتب كالقرحة .

[أبطان] « صف » أكل ما يكون
عليه الابط من جبال في التكوين .

التأبط « وهمر » ادخال الثوب من
تحت اليد اليمنى والقاؤه على منكب اليسرى .
[إبطيان] « سم » لباس جندي

الرومان القديم « صف » كل لبسة تكون
مائلة إلى التأبط .

[مبطض] « سم » المبطض الحراكي
(الاوتوماتيكي)

الإباطض « وهمر » الحبل الذي يشد
به رسغ البعير .

[إباطضه] « سم » قطعة الحديد أو
الحشب في عربات النقل التي تجمل فوق
الدولاب للتوقيف أو إبطاء الحركة .

[إبطضة] « سم » قطعة الكاوتشوك
أو ما يقوم مقامها من الآلات المصغرة
كالبيكليات وهكذا .

المأبطض « وهمر » باطن الركبة .

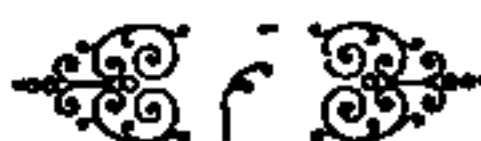
[إبوطض] « صف » الآفة تصيب
باطن الركبة كالقرحة .

الأبطض « وهمر » الدهر .

[الأباطضية] « سم » المذهب
الدهري المنشأ وأصحابه يحملون الموت
أمنية الاماني تقول كان الحيام أباضيا أي
دهريا منشأنا شديد التطير بالحياة .

(أبط)

« همر » الاستخفاء غير التام أو في



تنبيه

وقفت في الكتاب أخطاء قصدت أن أتجاوز عنها وثوقاً بأدراك المطالع . وأعرف شخصاً تطلب عليه العناية ، كان يشبههم إذا عثر على جدول للخطأ والصواب ، ذاهباً إلى أن معناه عدم الاعتداد بالقارى . وهذه وإن تكن فكاهة فما لا ريب فيه أن على المطالع أن يتسامح إذا عثر على خطأ من هذا القليل ، فإنه أقل ما يتعمسه من الإغواء . وقد نهيت على أخطاء صنعت لي سنوحاً ولها موضع .

خطأ	صواب	صفحة	سطر
الظلال . . .	الزلال . . .	في قصيدة الأهداء . . .	البيت ١٤
الظلال . . .	الزلال . . .	في قصيدة الأهداء . . .	البيت ١٥
فكثير . . .	فكثيراً . . .	•	١١
•	•	•	١٣
(لقي) . . .	لقي . . .	•	٢٣
ينحي . . .	أن ينحي . . .	١٠	•
يعطيانا . . .	يعطيانا . . .	١١	٢٢
العام الفات . . .	سنة ١٩٣٧ . . .	١٢	٢٧
التشوي . . .	التشوي . . .	١٥	٦
فرد . . .	نفرد . . .	١٥	١٩
(an arabe)	(an arabian)	٣٠	٢
(par)	(pear)	٣٢	٣
يريدونها . . .	يريدون . . .	١٠٤	١٦
وهو (طومار)	(طومار) . . .	١٧٢	٩
بأنها أسماء . . .	بأنها من أسماء . . .	١٨٥	١٢
وقيت . . .	وقية . . .	١٨٥	١٨

Bibliotheca Alexandrina



0412568